أبعاد روحية في الشريعة الإسلامية

« ولذكر الله أكبر »



اذكروا الله ذكرا خالصا تحيوا به أفضل الحياة وتسلكوا به طرق النجاة

عبد الرسول محمد



الذكر معراج الروح

ولذة المحبين

" إذكروا الله ذكراً خالصاً تحيوا به أفضل الحياة وتسلكوا به طرق النجاة "

ـــ أمير المؤمنين (ع) ـــ

﴿ ولذكر الله أكبر ﴾

الذكر معراج الروح
ولذة المحبين

تأليف :
عبدالرسول محمد

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م

نداء الخالق :

يابن آدم :

ماخلقتكم لأستكثر بكم من قلة . . .

ولا لأستأنس بكم من وحشة . . .

ولا لأستعين بكم على أمر عجزت عنه . . .

ولا لأجل منفعة .. ولا لدفع مضره . . .

بل خلقتكم ..

لتعبدوني طويـــلاً . . . .

وتشكروني كثيـــراً . . .

وتسبحوني بكرة وأصيـــلاً . . .

ولو أن أولكم وآخركم ، وحيكم وميتكم ، وصغيركم وكبيركم ، وحركم وعبدكم ، وإنسكم وجنكم ، إجتمعتم على طاعتي ، لما زاد ذلك في ملكي مثقال ذرة ...

ولو أن أولكم وآخركم ، وحيكم وميتكم ، وصغيركم وكبيركم ، وحركم وعبدكم ، وإنسكم وجنكم ، إجتمعتم على معصيتي ، ما نقص ذلك من ملكي مثقال ذرة ...

ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ، إن ا لله غني عن العالمين . . .)



الإهـــداء :

إلى الذين يذكرون الله كثيراً ..

وهم من خشيته مشفقون ...

إلى عباد الله المكرمين الذين ...

لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ...

إلى أهل الذكر الذين أمرنا الله ..

بسؤالهم ﴿ إن كنتم لا تعلمون ﴾ ..

إلى الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ...

وعن الزلات هم معرضون ...

إلى الذاكرين آناء الليل وأطراف النهار ...

وهم إلى قربه مشتاقون ...

ثم إلى .. الشجرة النبوية .. والدوحة الهاشمية ..

إلى قطب الزمان .. ورحى الوجود ...

ثم إلى المظلوم الصامد ... والبحر الزاخر .. والعطاء اللامتناهي ...

أهدي كتابي هذا ...

سائلاً منهم الشفاعة ... جميعاً ...

الذكر معراج الروح ... ولذة المحبين ..

الوصول للكمال القدسي .. والأنس مع الخالق .. والعروج إلى عالم الغيب .. من أكثر الأمور صعوبة ومشقة على بني البشر ..

فكيف يرقى الطين المجرد .. ذو الشهوة العابرة .. واللذة المستحكمة .. إلى عالم المثل والملكوت ..

وكيف تسمو الروح التي أثقلت إلى الأرض وإنكفأت عليها .. إلى حياة تدعوها للإنسلاخ منها والتجرد عنها ..

وكيف تبلغ النفس الأمارة بالسوء .. مرحلة الطمأنينة الذاتية ، لتستقبلها الملائكة راضية مرضية ..

ولكن على الرغم من هذه الصعوبة والمشقة في هذا العروج الرباني ..

نجد هناك من تجلت فيهم المعاني ، وتجسدت فيهم النفحات الروحية ، فاصطفاهم الله لقربه ، وأنس بمجالستهم ، واصطنعهم لنفسه (إن لنا رجالاً إذا أرادوا أراد الله ..) ، وهذا الإصطفاء ليس حكراً لأحد .. ولا يختص بأحد دون الآخرين .

بل هو لكل موحد .. أشرقت بقلبه شمس الإيمان ، وشعت بروحه قبسات النور الإلهي .. وأسلمت جميع جوارحه لأمر المهيمن الواحد الأحد .

هؤلاء .. الذين حفظ الله بهم الأرض .. وبهم رفع البلاء عن الناس .. وبهم يباهي الله عز وجل الملائكة .

هؤلاء هم الذاكرين ..

﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ... ﴾

الذين يذكرون الله .. ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾

﴿ الذين لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة ﴾

الذين تنام عيونهم لاتنام قلوبهم ..وأعينهم باكية وقلوبهم ذاكرة ، وإذا كتب الناس من الغافلين ، كتبوا من الذاكرين ...

فكان الإصطفاء بعد المعرفة والذكر ..

وكانتا وسيلة العروج للكمال القدسي ، إرتفع بالجسد المادي إلى القرب واللقاء ، وكان الذكر براق الروح وقبس النور ، الذي نكث عن النفس رواسبها وكدوراتها ، فأرتفعت إلى مصاف الملائكة .. وكتبهم الله عنده ...من الذاكرين .

المؤلف

بسم ا لله الرحمن الرحيم

المقدمة ..

عندما أرادت مشيئة القدرة الإلهية أن تخلق الخليقة ، وتبدأ الوجود الفعلي للأشياء استعداداً لاستقبال الجنس البشري ، إنطلقت الكاف والنون (كـن) لتكون إشارة البدء لهذا السيناريو الذي يقوم فيه الإنسان بدور الممثل العجول الظالم لنفسه.

فشيدت السماوات .. وتفجرت البحار .. ونصبت الأوتاد (الجبال) وأخرجت الأرض كنوزها من الخيرات .. وتفجرت العيون العذبة النقية .. وازينت الأرض وأينعت .. وخلق الإنسان ..

و لم يكن هذا الخلق إرغاماً للخالق أو تكليفاً عليه .. إنما هو هبة ومنّه أراد به أن يعرفنا نفسه ويتفضل علينا بآلائه وإحسانه .. ويرفعنا إلى مستوى الكمال القدسي والسمو الروحي (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف) وبدأت خلافة الإنسان التي افتتحها بالقتل ، عندما سولت نفس قابيل قتل أخيه هابيل ، فقتله فأصبح من النادمين ، وسينهي هذا السيناريو كذلك بالقتل ، عندما يقتل آخر خليفة وحجة لله على خلقه وهو الإمام المهدي المنتظر عجل ا لله تعالى فرجه الشريف ، فينقطع بذلك الحبل المتصل بين الأرض والسماء ، فتطوى السماء كطي السجل للكتب ، وترفع الأقلام ، إيذاناً بالحساب .

فلو قلبنا صفحات هذا السيناريو الدامي لهذا المخلوق ، ومايتخلله من ظلم واضطهاد وجوع وفقر وحرمان ومشاكل نفسية وأخرى روحية ، لعلتنا دهشة وانتابنا إستغراب وحيرة .. ولتبادر إلى أذهاننا سؤال ؟

هل خُلق الإنسان للعذاب والفقر والموت ؟ .. هل خُلق الإنسان ليعيش تحت مذلة الفقر وأوجاع المرض وسيطرة الخلق وإضطهاد الآخرين ؟ .. وإذا كان الإنسان أحب الخلق إلى الله وأكرمهم عليه .. فلماذا اذاً كل هذه المعانات والويلات ؟ ولماذا هوى إلى مدارك الحضيض ، روحاً وفكراً وسلوكاً ؟

والمترقب لأوضاع مجتمعاتنا الاسلاميه يلحظ عالماً قابعاً في بركة من مشاكل الفساد والإنحراف والبطش والإنكسار .. وما يتخللها من مشاكل شائنة كإنحراف الأحداث وحالات الإغتصاب والإدمان وإشاعة الفجور والإنحلال ، ناهيك عن التوجهات المادية التي أصبحت سمة العصر ومحور حياتهم وغاياتهم ، مروراً بانحدار القيم الأخلاقية وطمس لمعالم الدين ومعطياته الروحية .

فأصبح نشؤنا الجديد ، والذي جاء (على حين فترة من الرسل) لايرى إلا بريق المتع والأهواء والملذات واللهو ، لايفكر إلا باشباع رغباته الذاتية ، ولايتعامل إلا وفق ما تقتضيه المصلحة المادية .

أمام هذا الواقع ألا يحق لنا أن نسأل أنفسنا ... أحتمية هذا الإنحراف الذي يعيشه الإنسان ؟ أم واقع شاذ ؟ أم أن الله تبارك اسمه خلق الخلق (والعياذ با لله) وتركهم سدى كما قالت اليهود ﴿ **يد الله مغلولة** ﴾ ؟ .. أم أن الحياة مجرد أحدوثة عابرة في فجاج هذا الكون ؟ خَلقت وستنتهي كما تنتهي الأشياء .

فلو قلنا أن الإنسان مخلوق عبثي ، لأقتضى الأمر كذلك أن نؤمن بعبثية الكون والحياة ، وأنها خلق عابث لاتسير على نهج أو تخضع لقانون (فالجزء يتبع الكل) لأن الحياة البشرية جزء أساسي في هذا النظام الكوني ، ومن ثم لابد أن يشملها ويقع عليها ما يقع على الكون بأجمعه . !!

غير أننا لو استعرضنا جوانب هذا الكون اللامحدود وبحثنا بأجزائه على اختلافها لم نلحظ فيه مقدار ذرة من العبث ، فكل ماتراه أبصارنا وتدركه عقولنا ، بدءاً من الذرة وجزيئاتها إلى الأفلاك وتحركاتها ، إلى ماوراء ذلك من مجرات وعوالم لايعلم مداها إلا خالقها ،

نجدها تسير وفق نظام موزون ، وبحكمة ودراية ودقة متناهية ، لايأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ولا يتخللها الخطأ أو يعوقها الشك ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين** ﴾(١) .

فالعالم الذي يحيط بنا لايعرف أي عبث .. بل عالم إنضباط وجد ، يسير لغايته المحددة ﴿ **والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ..** ﴾(٢) ، ﴿ **وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى** ﴾(٣) ، ﴿ **والشمس والنجوم مسخرات بأمره** ﴾(٤).

شذوذ الإنسان عن النظام :

ولكن لماذا شذ الإنسان عن هذا النظام ؟ وأين تكمن مشكلة إنحرافه ؟

يعتاد مهندسو البناء قبل الشروع في تشييد وبناء أي مشروع ، من وضع خريطة تفصيلية تحدد قواعد البناء ، وتخضع لقوانين صاغها العلماء والفلاسفة في مجال الرياضيات والنظريات الهندسية ، وعندما تبدأ عملية البناء لابد أن يسير وفق هذه القوانين ويتبع القواعد والركائز الأساسية التي وضعت مسبقاً لها ، وأي إختلاف بين الرسم والتخطيط المبدئي وبين البناء الفعلي سوف يؤدي إلى تهاوي البيت وسقوط البناء .

وكما للمنزل الصغير خريطة وبرنامج عمل ، وقواعد وأسس ثابتة . كذلك لصياغة العالم ، وإيجاد الخلق ، ونشوء الكون قواعد وأسس صاغها مهندسها ، وعالمها ، وبانيها .

فا لله عزوجل هو مهندس الكون . وصانعه ﴿ **صنع ا لله الذي أتقن كل شيء** ﴾(٥) ومسير المجرات وخالقها وفاطر السماوات وماسكها .. ومفجر البحار ومنشؤها ، وخالق الإنسان ومقدرة ، كما أوحى ا لله إلى نبيه موسى (ع) : (**إني خلقتك من نطفة من ماء مهين من طينة أخرجتها من أرض ذليلة ممشوجة ، فكانت بشراً ، فأنا صانعها خلقاً فتبارك وجهي وتقدس صنعي**)(٦) ، ﴿ **هل من خالق غير ا لله يرزقكم من السماء والأرض** ﴾(٧) .

ثم شرع المناهج والنظم والقوانين التي تحكم الكون والحياة ، وقد خص الخالق الإنسان بالعديد من هذه النظم والقوانين الإلهية ليهنأ في حياته ويصل بها إلى درجة الكمال الروحي .

صنع الله أم صنع الإنسان :

ولكن بدل أن يستفيد من هذه السنن والقوانين لاصلاح حياته ودنياه نجده أغفلها وسها عنها ﴿ **وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه** .. ﴾(٨) - كالعامل الذي يتجاهل حين بنائه للمنزل مراعاة الأسس والقواعد النظرية ، مما يحتم سقوطه - فأحدث هوة بين الفعل والقوة ، بين التشريع والتطبيق ، مما أدى إلى تهاوي الأسس التي قام عليها كخليفة على الأرض ، كما تعامل معها (القوانين الإلهية) بمنظار الشك والريبة وتصورها أداة تسلب منه حريته وتقيد حركته .. فرفضها جملةً وتفصيلاً ، حتى تجاهل الناس رسالتهم ، ونسوا ربهم وعاشوا حياة المتبلدين الذين لاشعور لهم ولاإحساس ﴿ **إن هم كالأنعام بل أضل سبيلا** ﴾(٩) ، وصاغ الإنسان شخصية بنظرياته الخاطئة وأفكاره العاجزة ، فأضحى صانعاً لنفسه ، مخططاً لحياته بفكره المحدود ﴿ **وحبط ما صنعوا فيها** ﴾(١٠) ، في مقابل الصانع الحقيقي ﴿ **واصطنعتك لنفسي** ﴾(١١) فأصبح محيط الإنسان ذاته بدل أن يشمل العالم وما حوى ، وأصبح جزءاً مجرداً بدل أن ترتبط روحه بآفاق الكون الرحيب ، ويرى صغائر الأمور هدفاً والقشور جوهراً ، وأغفل عن نفسه ذلك الإرتباط الذي صاغه الخالق ورسم له منهاجه ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات** .. ﴾(١٢) .

وحتى نعود إلى البدء :

وبعيداً عن تعقيد النظريات التي عالجت مسألة إنحراف الإنسان ، وتطرقت إلى سبل انتشاله من واقعه المظلم ، نقول ببساطه ، إن خلاص الإنسان يكمن في رجوعه في الإرتباط بهذه السنن الكونية وخضوعه لقوانين الخالق عزوجل . ولاأقول جديداً عندما أُؤكد أن فلسفة الخلق وحقيقة الوجود وبيان سنن الله في الموجودات تكمن في القرآن

الكريم وآياته الحكيمة ﴿ **لا ريب فيه من رب العالمين** ﴾(١٣) ،كمـــا بين رسولنا الأعظـم (ص) بحديث صريح قاطع هذه الحقيقة (من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفـه ساقه إلى النار) فالقرآن هو وسيلة الإندمـاج بـين النفـس البشـرية وعـالم الملكـوت ، وهـو الكتاب الوافي الشافي وحجة الله على خلقه للرجوع إليه في حل ما يعترضنا من إشكاليات يستعصي حلها ، أو مستجدات نجهل الحكم فيها ، والتخلـص مـن العقبـات الـتي تعـترض طريقنا في الحياة .

ولو حصرنا جدلاً أهم المشاكل التي تواجه الإنسان لوجدناها لاتعدو (الفقر ـ المـرض ـ الموت ـ العجز ـ الخوف ـ العقد النفسية والإنحرافـات السـلوكية والاجتماعيـة) وكـل هـذه الأمور نجدها محور حديث القرآن ، الذي ماترك باباً من هـذه الأبـواب إلا طرقـه بـالتحليل والاستشهاد ثم العلاج .

فالعد التنازلي للقيم الروحية والأخلاقيـة في الأمـة الاسـلامية بـدأ عندمـا أغفلـت تطبيـق القرآن ، وفصلته عن الحياة ونكثت بحديث الرسول (ص) الذي قال : (إني تارك فيكم الثقلين ، ما إن تمسكتم بهمـا لـن تضلـوا بعـدي أبـداً كتـاب الله وعـترتي) فالكتـاب هـو التشريع والعترة هم الوسيط والسبيل في هذا التشريع .

الذكر روح القرآن ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ :

ومن السنن الإلهية التي تربط الإنسان بعالم الملكوت ، وترشح نفسه من عثرات الحياة هو (منهج الذكر) ، الذي جاء ذكره في العديد من الآيات القرآنية ـ كما سنذكر ـ وأعطـاه الخالق من الخصوصية مايعجز اللسان عن ذكره واليراع عن بيانه وإقراره .

فالذكر من الشعائر المقدسه والممارسات الروحية التي جهلنا مغزاهـا وأثرهـا المعنـوي في حيـــاتنا ، فكـــان ابتعادنا عنـــها ، وإهمـــالنا لهـــا ، ظلماً لأنفسنا وتصـــغيراً لذواتنـــا ، ﴿ **وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾(١٤) فكانت النتيجـة تثاقلنـا وخلودنـا إلى الأرض وانكبابنا على الدنيا ، فعميت أبصار قلوبنا عن حقيقة الإيمـــان وجوهـــر العبـادة

﴿ **قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ..** ﴾(١٥) ، مما كان عاملاً جوهرياً في إنحراف الإنسان عن فطرته ، وتردي حالة الإتساق المعنوية والروحية لديه .

ولاأغالي عند حديثي عن أهمية الذكر ، ومشروعيته وأثره في حياتنا ، فالله عزوجل يبين بفصيح المنطق ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾(١٦) كما يجعله أعلى مراتب الإيمان ﴿ **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً** ﴾(١٧)

فبعد مرحلة التسليم (الأقرار بالربوبية) والأيمان (الأقرار بالعبودية) والقنوت (التوجه القلبي للخالق) ، وبعد صدق الظاهر والباطن ، والصبر والإستقامه على الطاعة حتى يصل الأمر إلى مرحلة إيمان الجوارح ﴿ **ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله** ﴾(١٨) ، بالصوم ، وهو الألتزام بترويض الجوارح وعصمتها من الزلات ، بعد كل ذلك تأتي مرحلة الذكر ، وهي مرحلة الأندماج الكلي بين الأنسان وأعضائه وبين أسماء الله الحسنى ، فتبدأ روحه بالتسبيح ولسانه بالتقديس ونفسه بالتهليل ، وهذه الحالة تصفها المناجاة الشعبانية للأمير (ع) : (**إلهي أقمتني في أهل ولايتك ، مقام من رجى الزيادة من محبتك ، إلهي والهمني ولهاً بذكرك إلى ذكرك ، واجعل همي إلى روح نجاح أسمائك ومحل قدسك**) .

ثم كيف يعيش إنساناً يعلم بأن الله خالقه ومصوره ومعطيه ورازقه ومطعمه وهو لايذكره بثناء أو يسبحه بتقديس أو يحمده بشكر . فقد يعمر الإنسان إلى السبعين ولكنه لم يذكر الله إلا في أوقات الصلاة أو عند نزول البلاء .. في الوقت الذي يهدر ساعات طويلة من عمره في اللهو واللعب والحياة الرتيبة (كالبهيمة المربوطة همها علفها) !! ألا يكون هذا ظلماً للانسان بحق نفسه .

ولاأريد في مقدمة الكتاب أن أفصل في فضيلـة الذكـر أو أتحـدث عـن فلسـفته الروحيـة فذلك أتركه للقارئ الكريم في هذا الكتاب ، ولكن أحببت أن أبين أن حياة الإنسـان تبـدأ بذكر وتنتهي بذكر ، تبدأ بشهادة (لااله إلا ا لله) وتنتهي بنفس هذه الشهادة (لاالـه إلا ا لله) .. فهل يعقل أن نغفل مابين البداية والنهاية .. مـابين الإيجاد والعـدم .. ويعجبـني بحق المسلمين الجدد الذين يسلمون في مختلف بقاع العالم ، وأخص بـالذكر أمريكـا وأوربـا حيث يخصصون لأنفسهم زوايا خاصة في المساجد للذكر يحمدون ا لله ويمجدونه ويقدسونه ويذكـرون آلاءه وأسمـاءه تبـارك وتعـالى ، ويهللونـه علـى أفعالـه ونعمائـه ، هـؤلاء الذيـن يشعرون بلذيذ مناجاته .

إن هذا العمل المتواضع دعوة لإعادة التفكـير في السـنن الإلهيـة المسـتودعة بـالقرآن .. ، دعوة لاعادة النظر في تربيتنا الروحية وتقويمها بالمنهج السليم ، والعروج بالنفس إلى بارئهـا عبر منهج الذكر .. دعوة للتفكر وإعادة لشريط أحداث الحياة بصورها وأبعادها ، لنفصـل منه الغث من السمين والصالح من الطالح ، حتـى نصـل إلى درجـة اليقـين بأعمالنـا وحتـى لانكون ممن أشار إليهم ا لله عزوجـل في كتابـه ﴿ **قـل هـل ننبئكـم بالأخسـرين أعمــالاً الذين ضــل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** ﴾(١٩) .

كما أنها دعوة للتعلق با لله وباسمائه لأنها تنتشلنا من حضيض الأوهام إلى فسحة الإلهـام ومن غصص الدنيا إلى رحمة العلام ، وتأخذ بأيدينا إلى عالم يشعرنا بلذيذ مناجاته عز وجل ، ويزيل عن عيوننا غشاوة الشهوات وعن قلوبنا خطيئة الموبقـات ، كمـا جـاء في المناجـاة الشعبانية (**إلهي هب لى كمال الإنقطاع إليك ، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرهـا إليـك ، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل الى معدن العظمة وتصـير أرواحنـا معلقـة بعز قدسك**) .

إنها دعوة توجه الإنسان لعدم الإنكباب على الدنيا حتى في أمورها المشروعة ، فالإنسان لم يخلق ليدور في طاحونة الحياة أو ترس الآلة ، إنما خلـق لغايـة أسمـى وهـدف أبقـى ، مـن سعيه لآهثاً مهرولاً وراء دنياه وحاضره ، ناسياً أو متناسياً نفســه ، وإلى هـذه الحقيقـة ينبـه

الله عزوجل في حديث قدسي منقول عن خاتم الأنبياء (ص) : **(يابن آدم : تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأسد فاقتك ولا أكلك إلى طلبك ، وعليّ أن أملأ قلبك خوفاً مني ، وإلا تفعل أملأ قلبك شغلاً بالدنيا ، ثم لا أسد فاقتك ، وأكلك الى طلبك)**(٢٠)

ويرجو العبد الذليل من ربه السيد الجليل ، أن يتقبل هذا العمل المتواضع قربة إلى وجهه المنير، وأن يكون لي ذخيرة يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم إنه سميع مجيب .

هذا الكتاب ..

عندما راودتني فكرة كتابة هذه الأوراق ، وتجميع الأفكار المبعثرة حول مفهوم الذكر ، إنتابني شعور بالخوف والتردد ..

أما **الخوف** : ذلك لأني أقل قدراً ، وأضعف شأناً من الحديث عن مفهوم الذكر ، وسبر أغواره ، والعروج به من القرآن والسنة المطهرة إلى عالم الملكوت القدسي .

فأنا الضعيف العاجز الواهن .. ذو العمل القليل والذنب الكبير ، الذي حطت به الخطايا وأقعدته المعاصي .. الضعيف المسكين المستكين ، الذي يرجو رحمة ربه وغفرانه في كل همسة ولحظة ولفظة وصفة وسكون وحركة ..

والذكر هو العروج في مدارج الكمال القدسي ، والوصول إلى حضرة الرب الكريم .. والأنس بالخالق الباريء تبارك وتعالى ، فهو من أكثر المواضيع شرفاً ، وأعظمها أثراً ، وأجلها قدراً ، وأكملها أجراً عند الله عز وجل .

فكيف يستطيع عديم القدرة والفاقة والحيلة أن يتناول موضوعاً هو من أقدس المواضيع ، ويطرق باباً هو من أعظم الأبواب .. فكان خوفي أن لا أفي الموضوع حقه أو أن يصعب عليّ توضيح حكمه ، وبيان فهمه .

أما **التردد** :

فقد خشيت أن يفهم من هذا الكتاب ، أنه دعوة للرهبة والتنسك والتصومع .. دعوة لترك العمل والإنعزال للذكر ، وتنمية الجانب الروحي على حساب التكليف الشرعي في الإرتباط بالآخرين ، وغيرها من أعمال إسلامية .

لأننا لازلنا نرفض ونتمرد على أية فكرة لا تنسجم مع أفكارنا وآرائنا ومعتقداتنا ، وتشذ عن رتابتنا ومنطلقاتنا .. تارة ننعتها بالرجعية ، وأخرى بالتخلف ، وثانية بالعجز .. وما أشبه .. فقلة هي العقول الواعية التي تستوعب الإيمان ، وتعقل الإسلام عقل دراية لا

عقل رواية وحكاية ، قليلة هي العقول الحكيمة التي تبحث عن أصول الأشياء ومبادئها ، وقليلة هي النفوس الواهة التي تقنن الشريعة بمنهاجها الرباني ، وفق نظرة حضارية تشمل كل جوانب الحياة . وقليلة هي الصدور التي تستوعب الآخرين على إختلاف مشاربهم ومذاهبهم وآرائهم .

وفي المقابل كثيرة هي الأحكام الجائرة التي يتخذها البعض دون دراية أو فكرة ، وكثيرة هي النفوس الضعيفة التي تجد لذتها في النيل من كل ما هو غيبي ، أو في عالم الملكوت ، وكثيرة هي الصغائر والرتوش التي تشغل حياة الإنسان ، ويعتقد بأهميتها وأوليتها على حساب التوجه القلبي والروحي ...

فكان الخوف والتردد هاجسان يحومان بمخيلتي ، ويستنفذان قواى وطاقتي ، إلا أنني استوقفت نفسي ، ولملمت شملي ، وطلبت من الله العون والمساعدة في كتابي هذا ﴿ **واسئلوا الله من فضله** ﴾(١٢) .. فلم يبخل عليّ رب القدرة باستجابة دعائي ، فما أن هممت في الكتابة ، وإذا بيراعي ينساب على الورق كالسيل العارم والشلال المنهمر ، وإذا بالأفكار تزاحم مخيلتي ، فلم أكن أنتهي من فكرة حتى تفتحت لي أفكار ورؤى جديدة ، وكلما انشغلت بأمور دنيوية وعملية .. دفعتني قوة غيبية لمزاولة الكتابة من جديد .. كنت أشعر بفرحة عارمة تغمرني ، وبلذة روحية تنتابني ، وبدفء اللطف يحتويني .. لم أشعر بالملل قط .. فكان شوقي أسبق من قلمي .. وإحساسي أمضى من فكري .. وحبي للموضوع أوقع من طاقتي .

ومما دفعني ، وزاد من جرأتي على كتابة هذه الأوراق ، حديث قدسي كان له وقعاً صاعقاً على نفسي ، حيث أوحى الله تعالى إلى نبيه داوود (ع) : (**إن أدنى ما أنا صانع بعبد غير عامل بعلمه ـ من سبعين عقوبة ـ أن أنزع من قلبه حلاوة ذكرى**)(٢٢) .

كما جاء عن الرسول الأعظم (ص) : (**من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار**)(٢٣) ، وعنه (ص) : قال : (**تناصحوا في العلم ولا يكتم بعضكم بعضاً فإن خيانة العلم أشد من خيانة المال**)(٢٤) .

وحيث أن موضوع الذكر ومتعلقاته ، كانت لسنوات طويلة مدار اهتمامنا وبحثنا وتحليلنا ، وكشف جزء يسير من أسراره المستودعة في القرآن الكريم . فقد خشيت أن تكون المعلومة حكراً ، والأجر بتراً . فعقدنا العزم با لله ، وتوكلنا عليه وأسندنا ظهرنا إليه فكانت هذه الأوراق المتواضعة .

وقد احتوى الكتاب على سبعة فصول رئيسية ، احتوى الفصل الأول منها على مفهوم الذكر وربطه بالحب والعشق الإلهي ، والتفريق بينه وبين الدعاء والصلاة وقراءة القرآن ، ولزيادة الفائدة فقد خصصنا الفصل الثاني في التركيز على فضيلة الذكر في القرآن والأحاديث النبوية الشريفة ، والأحاديث القدسية ، وما احتوته الأدعية من أذكار متنوعة . أما الفصل الثالث فقد احتوى على سريان الذكر وتخلله لرسالات السماء على إختلاف تشريعاتهم ومناهجهم ، كما تناولنا فيه الموانع التي تحول بين الإنسان والذكر ، وحتمناه بمنبع الروحانية ، أما الفصل الرابع فقد احتوى على المعطيات الروحية للذكر ، وتم التفصيل في الفصل الخامس حول الشروط التي يجب توفرها في الذاكر .

وإذ كنا قد تحدثنا عن الذكر كمفهوم وكسلوك ، فذلك يستلزم منا ذكر مفرداته ومعطياته الروحيه ، حيث تناولنا أسماء ا لله الحسنى بإيجاز شديد في الفصل السادس ، كما تم التطرق إلى أسم ا لله الأعظم وما قيل فيه من آراء في الفصل السابع ، لتعم الفائدة لنا وللقاريء الكريم .كما راعينا في هذا الكتاب تبسيط المصطلحات العقائدية والروحية ليكون مقروءاً لكل المستويات والأعمار .

ورجائي من صاحب الذكر الأوحد ، ورسوله المصطفى الأمجد ، أن يرحمني برحمته الواسعة ، ويجعلني ممن يديم ذكره آناء الليل وأطراف النهار ، وألا يسلب لذة مناجاته من قلبي ، وماذا عساي أن أقول أبلغ من كلام سيد العابدين علي بن الحسين (ع) في مناجاة الذاكرين (**وقلت وقولك الحق فأذكروني أذكركم ، فأمرتنا بذكرك ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشريفاً لنا وتفخيماً وإعظاماً ، وها نحن ذاكروك كما أمرتنا فأنجز لنا ما وعدتنا ، ياذاكر الذاكرين ويا أرحم الراحمين**)(٢٥) .

لماذا كتاب الذكر ..

أولاً :

لقد استوقفني منهج الذكر لسنوات عديدة ، وكانت لي معه تجارب يسيرة ، تحققت من خلالها العديد من المعطيات الروحية ، التي سمت بركاتها على أرواح العديد من الأخوة والأصدقاء ، فسألت نفسي يوماً عن سبب إحجام الناس عامة ، والكتّاب والمفكرين والمؤلفين خاصة عن تناول موضوع الذكر سواء بالتأليف أو التحليل أو الشرح ؟

فعلى الرغم من أهميته وعلو منزلته ورفيع درجته ، لم أجد كتاباً شافياً وافياً عن الذكر ومعطياته الروحية وفق بصيرة قرآنية بعيدة عن شوائب التحريف ، يتوافق في مفرداته واسلوبه مع طبيعة العصر ، ويتلاءم مع الحاجة الماسة للنفس الإنسانية في القرن الحادي والعشرين .

وقد نجد بعض الإشارات في المراجع وأمهات الكتب لموضوع الذكر ، إلا أنها لا تخلو من التعقيد وصعوبة الفهم تارة .. والتركيز فقط على نوعية الأذكار تارة أخرى . مما دعاني لاختيار موضوع الذكر ، وتحري علاقة القرب والحب بين الإنسان وربه . هذه العلاقة التي يراها البعض ، أنها علاقة خوف وقهر وإذلال وإنصياع ، في حين أنها علاقة حب ، وأنس ، ولذة ، واستمتاع ، وحضور . فالذكر من أكثر المواضيع هجراً وجهلاً لدى الناس ، على الرغم من فرد جوهره ، وعظيم كنهه وفحواه .

ثانياً :

إنحسار البعد الروحي لدى السواد الأعظم من الناس ، سيما بعد التحولات التي شهدها العالم في الآونة الأخيرة ، فقل الاهتمام بالجانب الروحي ، مقارنة بغيره من الأبعاد الأخرى وفي مقابل هذا الإنحسار والتراجع لهذا البعد لانجد من يتصدى أو يتبنى اطروحة بحث مسائل تنمية سموالروح ، وما يتعلق بها من نظريات وأفكار ، حتى في مجالس الوعظ

والإرشاد التي بدأ تأثيرها الروحي يقل تدريجياً ، بعدما استنزفت طاقتها ، واستهانت بعقول روادها الذين يطلبون الكثير ، فلا يجدون إلا اليسير من البضاعة المزجاة .

في مقابل هذا الإنحسار ، نجد إستيراد النظريات المادية المقننه من الخارج ، دون الألتفات لأبعادها الروحية ، فقد أخذت نظرية (داروين) في حديثها عن رقي الأنسان ، ونزعة (فرويد) الجنسية إهتماماً كبيراً من الوجهة الدينية ، على حساب نظريات الروح الحديثة والعرفان الأسلامي ومسألة عروج الروح وأرتقائها في مدارج الكمال الأخلاقي والنفسي .

ففي الوقت الذي يثار فيه الجدل ، ويحتد فيه الصراع الفكري في بحث هل الإنسان كان خلقاً أو إرتقاءاً ، في الرد على النظرية الدارونية ، كان الأجدر بنا أن نتناول آدمية الأنسان فلا يهمنا إن كان الأنسان إنساناً منذ نشأته ، أو أنه من شيء آخر ، بقدر ما يهمنا كيف يرتقي الأنسان بآدميته وإنسانيته ، فكم من إنسان يصفه ا لله عز وجل بالحيوان ﴿ **إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا** ﴾(٢٦) أو ﴿ **كمثل الحمار يحمل أسفارا** ﴾(٢٧) أو ﴿ **فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث** ﴾(٢٨) ، فحين يعرف الأنسان نفسه (آدميته) يكرمه ا لله ويغدق عليه نعمه ظاهرة وباطنه ، ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** .. ﴾(٢٩) ، فآدم هنا ليس كل من خلق من طين ، وإنما من عرف آدميته على حقيقتها ، لأن معرفته لأدميته تدعوه لمعرفة خالقه وربه ، وبذلك يستحق كرامة ا لله ﴿ **ورزقناهم من الطيبات** ﴾(٣٠) وقس على ذلك معظم الآراء والأفكار التي تشبع بها الناس ، البعيدة عن المضمون وعن حقيقة جوهر الأنسان ، والتي أخذت أبعاداً طويلة الأمد في المناظرات والمباحثات ، في حين لا نجد هذا الاهتمام لبحث اطروحة النظريات الروحية التي جاءت بها رسالات السماء .

فكل من جاء أكمل ماقاله من كان قبله ، ولانجد من يأتي ويبدأ من جديد ، لبحث وسبر أغوار الآراء والأفكار التي تحدث بها القرآن عن الروح ، وينظر وفق رؤية قرآنية مباديء وأفكار كل ما يتعلق بالجانب الروحي ، الذي هو غاية المريدين ورحيق العارفين

فالروح وإن قال عنـها الباري ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي** ﴾(٣١) فذلك لايعني عدم الولوج في شعبها أو اختراق عوالمها ، إنما تشير الآية إلى أننا مهما توصلنا من علم عن حقيقة الروح ، عبر الأبحاث العلمية ، أو الإلهام والمكاشفات الروحية ، إلا أننا نظل في مستويات أقل بكثير من حقيقتها الواقعية ، التي لايتوصل إلى جوهرها إلا خالقها سبحانه وتعالى . فالآية الشريفة تعطينا دافع البحث والتحري عن الروح ، لا الصدود عنها وتجاهلها ، فكلما توصل الإنسان إلى حقائق عن الروح في كشف أسرارها ، وتناول متعلقاتها ، فإنه تبقى أمامه مسيرة طويلة الأمد للكشف والتحري ، تبقى إلى نهاية عمره ، وقد لا يصل إلى حقيقتها إلا عند خروجها من جسده الفاني .

ثالثاً :

إن الباحثين والمهتمين في المسائل الروحية ، يتلمسون وبوضوح الإهتمام المتزايد الذي ينتاب علماء الغرب ، فيما يتعلق بالأبحاث الروحية الحديثة ، سواء التي توصلوا إليها عن طريق الوسطاء ، أو في آخر الإكتشافات العلمية التي ألقت الضوء على البعد الغيبي للوجود

وتؤكد النظريات الحديثة أن المرحلة المقبلة ستشهد توجها روحياً عالمياً ، وسوف تطغى الروحانيات على الجانب المادي الذي ساد المجتمعات منذ بداية اكتشاف الآلة ، وسوف يكون عصر ما بعد سنة ألفين عصر الاهتمام بالروحانيات ، حتى التكنولوجيا الحديثة المتطورة ، وما توصل إليه الحاسوب الآلي من رقي ، سيعمل لخدمة نظريات الروح بالدرجة الأولى .،

وهذه الفكرة هي خلاصة ماذهب إليه نخبة من علماء الغرب وطائفة من علماء المسلمين ولكنهم في تخوف من طرحها الآن قبل تأهيل الأرضية المناسبة لها ، وإلا فسوف تصطدم بالعديد من المعوقات شأنها شأن أي عمل أو نهضة جديدة ، لاتهيأ أرضية نموها وتقبلها للناس .

ويجب هنا ألا ينتاب المسلمين الغرور والعجب ، بدعواهم أنهم هم أصحاب النظريات الروحية فقط دون غيرهم من الأمم والمجتمعات ، فقد حققت العديد من المدارس والمذاهب

في الهند واليونان قديماً وبلاد فارس والصين (على الرغم من عدم تكامليتها وكثرة الأخطاء في ممارستها) نقلات نوعية كبيرة في منتهى الدقة والوقع في حديثها عن الـروح ، ومسـائل الفضيلة وتنقية الأنسان من الكدورات العالقة ، وما إلى ذلك .. إلا أنهم وقعوا في منزلقات عقائدية كثيرة سببت نقصاً في إتمام تلك النظريات الروحية .

والإسلام جاء ليكمل مسيرة الروح التي إبتدأت في مراحل الخلق الأولى ، ويصحح تلـك المنزلقات التي عصفت بالعديد من المذاهب التي جـاءت مـا بـين فـترات الرسـل والأنبيـاء ، ويرسم بمنهاج واضح ، وشريعة لا يتخللها الشك والريب طريق خلاص الإنسان .

ولكن ماذا أعددنا نحن المسلمين من نظريات تتعلق بالجانب الروحـي ! وكيـف نطـالب بنشر الإسلام في بقاع العالم الذي يضج بالنظريات الروحية المـأخوذة عـن الهنـود واليونـان والصين ، ونحن لانملك نظرية متكاملة عن الروح ندلل ونبين فيهـا منهـج إرتقـاء الأنسـان وعروجه إلى ربه ، وكيف نجيب على البوذي أو البراهي أو الأفلاطوني أو الفيثاغوري عنـد احتجاجه علينا بتناسخ الأرواح ، أو الاتحاد مـع الله أو في نظريـة الأشـراق ، وغيرهـا مـن الآراء التي أصبحت الوعاء الذي تصب فيه غالبية نظريات الروح الحديثة .

وما بحثنا في موضوع الذكر ، وتسليط الضوء على علاقة الأنسان بخالقـه إلا جـزء يسـير وحلقة من حلقات البعد الروحي ، أرتأينا تبيانها والتأكيد عليها ، لذا فهـو كتـاب (قليـل من كثير) أو قطرة من غيث في عالم الروحانيات ، أحببنا إيضاحه وبيانه .

رابعاً :

نتيجة لعقدة الحقارة التي يستشعر بها المسلمون تجـاه الحضـارة الغربيـة ومـا حققتـه مـن إنجازات خلال العقود المنصرمه ، جعل ديدن المسـلمين يرتبـط ويحـن إلى كـل مـاهو غربـي متطور ، مما جعلهم يبتعدون عن الجانب الغيبي والروحي للإنسان ، لأنها حسب إعتقـادهم من شطحات التخلف القديمة التي أكل عليها الدهر وشرب .

وغياب هذا الأهتمام عند المسلمين (المبلغين والمهتمين والمصلحين) ، جعل عامـة النـاس يبحثون عما يسد فراغهم الروحي ، وبالأخص بعض الذين يستشـعرون بـأرواحهم توجهـاً

روحياً ، ونقاوة نفسية ، فأخذوا يبحثون دون وعي عن أية مدرسة ترشدهم روحياً ، وتوضح لهم (الطريقة) للسلوك إلى ا لله عز وجل .

فبدأت جماعات تنّظر لنفسها سبل الخلاص دون إدراك كامل ووعي متأصل في مسائل العقيدة والإيمان.

وكنتيجة طبيعية لإنشغال رجال الدين عن توجيه الناس روحياً وعرفانياً وسلوكياً ، بروز مثل هذه الجماعات والحلقات التي وإن كانت غاياتها وأهدافها مقدسة وعظيمة ، إلا أن سلوكها لهذه الغايات ينتابه شيء من الشك والريبة .

ولنا أن نتخيل المسلمين الذين إجتباهم ا لله وأكرمهم برسالته ، من دون الأمم ، وأنزل إليهم أعظم كتاب مقدس ، وبعث إليهم أشرف أنبياءه ورسله ، تخيل أن تنتقل النظريات والأفكار والتوجهات الروحية من الغرب إلى عالمنا الأسلامي ، فلا تجد من يستقبلها سوى القلة القليلة ، التي تهتم بالروح وإرتقاء الأنسان وفلسفة التأمل والتفكر ، في حين يكون المسلمين لازالوا يبحثون عن حثالة التقدم والتكنولوجيا التي سيطويها الزمن فيما بعد

لذلك أوحى ا لله تعالى الى نبيه موسى (ع) : (**وأسمعني لذاذة التوراة بصوت حزين ، واطمئن عند ذكري وذكر بي من يطمئن إليّ**) . ياموسى : (**وناجني حين تناجيني بخشية من قلب وجل ، وأكثر ذكري بالليل والنهار ، وكن عند ذكري خاشعاً ، وعلّم الجهال محامدي ، وذكرهم بآلائي ونعمتي**)(٣٢) .

الفصل الأول

ـ الذكر لذة المحبين

ـ الذكر والصلاة

ـ الذكر والدعاء

ـ الذكر والقرآن

قال موسى (ع) : (يارب أقريب أنت فأناجيك ؟ أم بعيد فأناديك ؟ فإني أحس صوتك ولا أراك ، فأين أنت ؟ فقال الله : أنا خلفك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك ، ياموسى أنا جليس عبدي حين يذكرني وأنا معه إذا دعاني)* .

حول مفهوم الذكر



حول مفهوم الذكر :

جاء مفهوم الذكر في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بمعناه الشامل ليعكس خلاصة التعاليم والتشريعات التي تؤطر علاقة الإنسان بخالقه وتوصله للقرب من ا لله عز وجل ، وتزوده بالغذاء الروحي الذي يعينه في مسيرته الرسالية التكاملية ، كما صرحت بذلك الآية الكريمة ﴿ **هذا ذكر من معي وذكر من قبلي** ﴾(١) .

ولوكشفنا الستار وأزلنا الحجاب عن المعنى الحقيقي للذكر من خلال تدبرنا في الآيات الشريفة ، والأحاديث القدسية والنبوية ، ومن خلال دراستنا للسيرة المطهرة للمعصومين عليهم السلام ، يتضح لنا أن المقصود بالذكر هي تلك الكلمات والعبارات التي إنتخبها ا لله عز وجل وخصها بمقاييس تفضيلية عن غيرها من الأعمال ، لأنها تمثل حلقة الوصل بين الخالق والمخلوق .. بين الضعيف والقوي بين المنعم والمتلقي لهذه النعم .

كقول الرسول (ص) : (أفضل الذكر **لااله الاا لله** وأفضل الدعاء **الحمد لله**) وكقول أحدنا .. (**لاحول ولاقوة إلا با لله العلي العظيم**) .. أو (**حسبنا ا لله ونعم الوكيل**) أو (**أفوض أمري إلى ا لله إن ا لله بصير بالعباد**) .. أو (**ألجأت ظهري إلى ا لله**) أو (**اعتصمت با لله**).. وغيرها من الأذكار . كما يأتي مفهوم الذكر معبراً عن التلفظ بأسماء ا لله الحسني ﴿ **و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ وصفاته سواء اشتملت على الأسم أو الصفة أو الفعل كأن تقول ياا لله ، يارحمن ، يارحيم أو ياأسرع الحاسبين ، ياغيات المستغيثين ..

والذكر هو تكرار هذه الأسماء والتخلق بها ، لينفذ كل أسم منها إلى الروح الضعيفة فتزداد لطافة وشفافية وتتخللها النورانية ، فتقوى على إختراق الحجب وتلقي الإلهام والعوالم الغيبية ، وتحمّل الصعاب والأزمات ، وبالتالي العروج إلى عالم الرحمة الربانية .

الذكر .. لذة المحبين

وتأتي أهمية الذكر كونه لب العبادة والمرجع الفرد لكافة الشعائر الدينية ، وهو التعبير الحقيقي بين المحب والحبيب .. فأقل ما يفعله المحب تجاه حبيبه هو تكرار ذكره والمداومة عليه آناء الليل وأطراف النهار (أي على مدار الساعة) لأن ا لله هو الحبيب الأول للموجودات ، والمعشوق الأوحد للكائنات ، فكل شيء إليه يشتاق ونحوه يقصد وإليه يرجع الأمر كله ، لذلك كان الرسول (ص) من أكثر الأنبياء ذكراً كما جاء في صحيح مسلم ، كان الرسول (ص) (**يذكر ا لله في كل أحيانه**) .

وكما أوحى ا لله إلى نبيه داود (ع) : ياداود : (**من أحب حبيباً صدّق قوله ، ومن رضي بحبيب رضي فعله ، ومن وثق بحبيب إعتمد عليه ، ومن إشتاق إلى حبيب جد في السير إليه ، ياداود ، ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين ، وحبي للمشتاقين ، وأنا خاصة المحبين**)(٢).

وإذا كان الحب والعشق هو شدة الأندماج والتعلق بالطرف الآخر ، وهو من الأمور الروحية والنفسية رفيعة القدر ، جليلة الوقع على المحبين ، فمن منا يرفض هذا الحب أو يترك هذا العشق .. من منا لايريد التعلق با لله .. وأن تندمج روحه برحمته وقدرته العلية .. أن تعلو نفسه لمشرب العظمة واللطف الألهي ، من منا لايريد حبيباً خالقاً رحيماً .. من منا لايريد مجالسة الهادي الرؤوف .

وكما جاء في وصية الرب إلى نبيه داود (ع) : (**بلغ أهل الارض أني حبيب من أحبني وجليس من جالسني ومؤنس لمن آنس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني ، ما أحبني أحد من خلقي ، عرفت ذلك من قلبه ، إلا أحببته حباً لايتقدمه أحد من خلقي**)(٣) .

كما جاء عن الباري عزوجل (**إذا أحب العبد لقائي أحببت لقاءه وإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإذا تقرب إليّ شبراً تقربت له ذراعاً ، وإذا تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً**)(٤) .

فالذكر هو وسيلة الحب ، وسلوك العشق ، وحلقة الربط بين الإنسان وخالقه (**فالذكر لذة المحبين**)(٥) والذكر (**مجالسة المحبوب**)(٦) ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ، ذلك أن سمة الأرتباط بين المحبين هو الذكر ، كما أن الذكر يولد فضيلة الحب والقرب من الخالق تبارك وتعالى ، كما جاء عنه (ع) : (**من أحب شيئا لهج بكره**)(١/٦) .

فكل من يعتقد أنه يحب ا لله ، وهو غافلاً عن الذكر ، فقد افترى على ا لله كذباً ، فقد أوحى ا لله تبارك وتعالى إلى نبيه موسى (ع) : (**يا ابن عمران : كذب من زعم أنه يحبني فإذا جنه الليل نام عني ، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه ، ها أنا ذا يا ابن عمران مطلع على أحبائي ، إذا جنهم الليل حولت أبصارهم إلى قلوبهم ، ومثلت عقوبتي بين أعينهم ، يخاطبونني عن المشاهدة ، ويكلموني عن الحضور ..**)(٧) .

كما جاء في حديث قدسي (**إن لي عباداً يحبونني وأحبهم ، ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم ، ويذكرونني وأذكرهم ، وأول ما أعطيهم أن أقذف من نوري في قلوبهم ، فيخبرون عني كما أخبر عنهم ..**)(٨) ، كما أخبر ا لله تعالى عن موسى بن عمران في مناجاته ﴿ **وعجلت إليك رب لترضى** ﴾(٩) ، وفسر النبي (ص) حاله (أنه ما أكل ولا شرب ولانام ولا أشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً شوقاً إلى ربه) .

وما ورد في أخبار الحب وأحاديث العشق ، سواء عن الرسول (ص) أو الأئمة عليهم السلام أكثر من أن تحصى ، حيث نلحظ الربط في موضوع العشق والحب وموضوع الذكر ، كما نقرأ في مناجاة زين العابدين (ع) : (**إلهي ما ألذ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب ، وما أحلى المسير إليك في مسالك الغيوب ، وما أطيب طعم حبك ، وما أعذب شرب قربك**)(١٠) .

وكما جاء عن الصادق (ع) : **(حب ا لله إذا أضاء على عبد أخلاه عن كل شاغل وكل ذكر سوى ا لله ، والمحب أخلص الناس سراً لله وأصدقهم قولاً ، وأوفاهم عهداً وأزكاهم عملاً ، وأصفاهم ذكراً ، وأعبدهم نفساً ، تتباهى الملائكة عند مناجاته ، وتفتخر برؤيته)**(١١) .

وقد روي أن داود (ع) سأل ربه أن يريه بعض أهل محبته ، فقال له : **(أئت جبل لبنان ، فإن فيه أربعة عشرنفساً ، فيهم شبان وكهول ومشايخ ، وإذا أتيتهم فأقرأهم مني السلام ، وقل لهم : يقول ربكم : ألا تسألوني حاجة ، فإنكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي ، أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم ، فأتاهم داود ، فوجدهم عند عين من العيون ، يتفكرون في عظمة ا لله وملكوته ، فلما نظروا إلى داود ، نهضوا ليتفرقوا عنه فقال لهم داود : أنا رسول ا لله إليكم ، جئتكم لأبلغكم رسالة ربكم ، فأقبلوا نحوه ، وألقوا أسماعهم نحو قوله ، وألقوا أبصارهم إلى الأرض ، فقال داود : ربكم يقرؤكم السلام ، ويقول لكم : ألا تسألوني حاجة ، ألا تنادوني فأسمع صوتكم وكلامكم ، فانكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي ، أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم ، وأنظر إليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة ، ولما قال داود ذلك جرت الدموع على خدودهم ، وسبح ا لله كل واحد منهم ومجده ، وناجاه بكلمات تدل على احتراق قلوبهم من الحب والشوق)**(١٢) .

فالذكر والفكر وتطهير القلب عنوان المحبة ، والسلوك إلى ا لله ، والقرب إلى رضوانه ومحل قدسه ، وإذا كان القلب محط الحب ، ووعاء العشق ، فلابد من نقائه ليكون أهلاً لاستقبال هذا المحب ، والتخلص من كل العوالق أو ما يمثل شريكا لله في القلب ، فالقلب لا يتسع لحبين في نفس الوقت .كما جاء في الحديث :

(يا بن آدم : بقدر ما يميل قلبك إلى الدنيا ، أخرج محبتي من قلبك ، فإني لا أجمع حبي وحب الدنيا في قلب واحد أبداً ، تجرد لعبادتي وأخلص من الرياء عملك حتى ألبسك محبتي ، أقبل إليّ وتفرغ لذكري ، أذكرك عند ملائكتي)(١٣) .

فالذكر هو ترطيب اللسان بأسماء ا لله الحسنى القدسية وتكرارها لتصبح ملكة وسمة متصلة به ، ملتصقة بروحه ، واللحظة التي تمر على الإنسان و لم يستغلها بذكر ا لله تعتبر ضائعة تعود عليه بالندامة والحسرة ، لذلك كان أمير المؤمنين (ع) لم يرى إلا ذاكراً حتى عندما كان يذهب إلى الحلاق لقص شاربه ، يقول له : الأ تسكت ياأمير المؤمنين حتى أقص شاربك ، فيرد عليه إن كان قصك يمنعني من الذكر فلا حاجة لي به .

وأسماء ا لله الحسنى .. هذه الكلمات القدسية الطاهرة .. والدرر المكنونه الزاهرة ، تنقل ذاكرها من حال إلى حال ، ومن رحمة إلى رحمة ومن مغفرة إلى مغفرة ومن درجة إلى درجة ، مادام نداها يمتزج بلما الذاكر ، ومادامت حروفها تنطلق من شفتي الحاضر ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر ا لله ألا بذكر ا لله تطمئن القلوب** ﴾(١/١٣).

الذكر أصل الصلاة :

على الرغم من إحتواء الصلاة للعديد من مفردات الذكر ، كالتسبيحات والحمدله والحوقلة والتكبير ، إلا أن الذكر لا يعني الصلاة ، فالذكر في الصلاة بمكان الرأس من الجسد ، واذا كانت الصلاة هي وسيلة العروج إلى السماء فإن الذكر هو وقود هذه الوسيلة ومحركها الأساسي .

ويشير ا لله عز وجل في آيات متفرقة حول هذا المفهوم ﴿ **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر ا لله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾(١٤) ، فلو كان الذكر هو الصلاة لأكتفى بذكر الصلاة أو الذكر ، وفي آية مشابهة ﴿ **رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر ا لله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار** ﴾(١٥) ، ﴿ **فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا ا لله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم ..** ﴾(١٦) فالذكر تشريع تكويني كان قبل الخلق والحياة ، وقبل أن تستقر الجبال والبحار .. ولكن الصلاة شعيرة إسلامية شرعها الخالق لتكون أداة اتصال بين

الانسان وربة ، اختلفت مع اختلاف الديانات السماوية ومورست بطرق واساليب مختلفة ﴿ **وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا** ﴾(١٧) .

كما لاتقوم الصلاة إلا بالذكر بدءاً بتكبيرة الإحرام وانتهاءاً بالتشهد ، ذلك أن غاية الصلاة هو ذكر الله عز وجل بصريح الآية الشريفة ﴿ **وأقم الصلاة لذكري** ﴾(١٨) ، فلا معنى ولافحوى لصلاة بدون الذكر ، فهي صلاة المنافقين الذين وصفهم الله في كتابه ﴿ **وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالا يراءون الناس ولايذكرون الله إلا قليلاً ..** ﴾(١٩)

فالصلاة لابد لها من الذكر ، والمصلي الغافل عن الذكر ، أغفل حقيقة الصلاة التي تعتبر عماد الدين ، إن ردت رد ما سواها . ولتأكيد هذه الحقيقة يشير الإمام الباقر (ع) في حديث مروي عن أبي حمزة : (لايزال المؤمن في صلاته ما كان في ذكر الله عز وجل قائماً كان أو جالساً أو مضطجعاً ، إن الله يقول ﴿ **الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ..** ﴾(٢٠) فالذاكر الذي يلهج لسانه بالتسبيح والتهليل والتقديس يكون كمن يقيم الصلاة ، حتى في غير أوقاتها المفروضة ، فالمداومة على الصلاة هي في الحقيقة مداومة على ذكر الله عز وجل ، كما جاء في الآية الكريمة ﴿ **الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾(٢١) فالآية تؤكد المداومة ، في حين أن للصلاة أوقات محدودة لا يمكن تقديمها أو تأخيرها .

كما جاء عن الحبيب المصطفى (ص) : (**لا تزال مصلياً قانتاً ما ذكرت الله قائماً أو قاعداً أو في سوقك أو في ناديك أو حيثما كنت**)(٢٢) .

ولو سألنا أنفسنا .. كيف تستطيع الصلاة وهي مجرد حركات ، أن تقوّم سلوك الإنسان وتنهاه عن المنكر والفحشاء والبغي ..؟ ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ..** ﴾(٢٤) لولا ارتباطها بمفهوم الذكر ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ ، الذي يربطه بخالقه ، وإلا لو إنتهى تأثير الصلاة بالتشهد والتسليم لما كانت للصلاة القدسية والمنزلة التي صرح بها القرآن وأكدتها الأحاديث بأنها (عماد الدين) ، لذلك جاء في سورة الجمعة ﴿ **فإذا نودي**

للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر ا لله ..﴾ فالصلاة للذكر .. بعد ذلك يقول ﴿ **وابتغوا من فضل ا لله واذكروا ا لله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾ أي بعد إتمام الصلاة .

وإذا كان الذكر أصل الصلاة ، ولب العبادة ، فلماذا يغفل الإنسان عن تجسيد مفهوم الذكر في هذه الشعيرة المقدسه ، ويفرغ الصلاة من مضمونها الحقيقي الذي شرعت من أجله ، فتحولت إلى مجرد ركعات وآيات بعيدة عن هدفها الذي كلفنا به الخالق تبارك وتعالى . فما أكثر المصلين الذين يرتكبون المحرمات والمنكرات ، وما أكثر المصلين الذين يتهاونون عن المنكر ويعشقون أهله .

فالصلاة إنما شرعت لتجسد مفهوم الذكر ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ وهي الحالة التي يستشعر بها الإنسان بالمراقبة الدائمة تجاة خالقة ، فتعمل على تصفيته من الذنوب والأدران التي علقت بقلبه ، ويستمر في صلاته مادام في ذكر ا لله كما جاء في الحديث الذي سابق الذكر (لا تزال مصلياً قانتاً ما ذكرت ا لله) ولهذا كانت (الصلاة قربان كل تقي) .

فحقيقة الصلاة .. رابطة تجمعك مع خالقك .. وما دونه فهي صلاة المنافقين الذين وصفهم ا لله في كتابه ﴿ ولا يذكرون ا لله إلا قليلا ﴾ .

والبعض تمر عليه الأيام والليالي لايذكر فيها ربه إلا في صلواته المكتوبة ، في حين يمضي أيامه ساهياً عابثاً مهرولاً ، مكباً على متاع الدنيا وزخارفها .. متوجهاً لبناء مستقبله وتأمين معاشه ، غافلاً عن بناء آخرته ودار مستقره وقراره .

ويحذرنا الرسول الأعظم (ص) : (**ألا أخبركم بخير أعمالكم وأرفعها في درجاتكم وأزكاها عند مليككم وخير من إعطاء الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا : بلى يارسول ا لله ، قال : ذكر ا لله عز وجل كثيراً**)(٢٦) .

الذكر والدعاء

يتضح من خلال الأحاديث الشريفة التي تناولت موضوع الذكر والدعاء ، أن الذكر هو التلفظ بالأسماء أو الصفات أو الأفعال الكمالية لذات ا لله عزوجل ، ومناجاته والتقرب إليه في حين أن الدعاء هو الطلب والاستعانه من هذه الأسماء والصفات لتحقيق غاية الدعاء سواء اشتملت هذه الغاية على كشف هم أو تفريغ كرب أو شفاء مريض أو عودة غائب أو قضاء حاجة من حوائج الدنيا والآخرة أو غيرها من أمور .

لذلك كان الذكر أعلى منزلة وأعظم درجة وأقرب للكمال القدسي من الدعاء ، لانه لايتخلله طلب ، وإنما هو إكبار وتمجيد وتعظيم وتقديس لذات ا لله تبارك وتعالى ، لذلك يقول الباري ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾(٢٧) ، في حين يقول في الدعاء ﴿ **ادعوني استجب لكم** ﴾ وطبيعي أن ذكر ا لله للانسان أعظم بكثير من كونه يحقق غاياتنا ويستجيب دعواتنا ..لذلك جاء في الحديث عن أبي عبدا لله الصادق (ع) : (**من شغل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي من سألني**)(٢٨) فمن ذكر ا لله أحبه ، ومن أحبه ا لله تعالى قضى حاجته دون تكلف وعناء أو طلب . ويذكر الفيض الكاشاني في محجته عن ثابت البناني حيث قال : (**إني أعلم متى يذكرني ربي ، ففزعوا منه وقالوا : كيف تعلم ذلك ، فقال : إذا ذكرته ذكرني**) .

والذكر .. مادة الدعاء وسر قبوله من ا لله عزوجل ، وكل دعاء خال من الذكر دعاء ذو بضاعة مزجاة ، فيكون كيله من رب العزة بالمقابل ..

كما أنه وسيلة العروج الروحية للدعاء ، فبالذكر يصعد الكلم الطيب وبالأسماء القدسية النورانية تتفتح أبواب السماء لعروج الدعاء .. كما جاء في الحديث الشريف (**مفاتيح السماء لااله الا ا لله**) .

ولا يسعنا هنا أقرار أو تناول الأحاديث الواردة في فضيلة الدعاء سواء فيما ذكره ا لله في كتابة أو حدثنا به الرسول (ص) والأئمة الأطهار إلا أننا نذكر بعضها لإقتضاء الحاجة .

جاء في القرآن الكريم : ﴿ **قل مايعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم** .. ﴾(٢٩)

عن الرسول (ص) قال : (**الدعاء مخ العبادة**)(٣٠)

وعن الامام علي (ع) قال : (**الدعاء ترس المؤمن**)(٣١) .

وعن الرسول (ص) قال : (**الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السماوات والأرض**)(٣٢) .

وعن الأمير (ع) قال : (**الدعاء مقاليد الفلاح ومصباح النجاح**)(٣٣)

وعنه (ع) قال : (**أحب الاعمال إلى ا لله في الأرض الدعاء**)(٣٤) .

وعن الرسول (ص) قال : (**مامن شيء أكرم على ا لله تعالى من الدعاء**)(٣٥) .

وعن الرسول (ص) قال : (**ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدر أرزاقكم ، قالوا : بلى يارسول ا لله قال : تدعون ربكم بالليل والنهار ، فإن سلاح المؤمن الدعاء**)(٣٦) .

وعنه (ص) قال : (**عليكم بسلاح الأنبياء ، قيل وما سلاح الأنبياء ، قال الدعاء**)(٣٧) .

وعن الأمير (ع) قال : (**امنعوا أمواج البلاء عنكم بالدعاء قبل ورود البلاء ، فوالذي خلق الحبة وبرأ النسمة للبلاء أسرع الى المؤمن من انحدار السيل من أعلى التلعة الى اسفلها**)(٣٨).

وغيرها من الآيات والأحاديث التي تبين أهمية الدعاء .

ولكن لو تفحصنا الأدعية المأثورة لوجدنا أفضلها ماكان مقرونا بالذكر، فاذا كان الدعاء مخ العبادة فالذكر مخ الدعاء ولبه وأصله . فالأسماء التي تتخلل الدعاء ، تزيل سحب الغمام ، وتفتح آفاق الملكوت لإستقباله .. ومن ثم استجابته .

فكان أصدق الأدعية ماابتدأ بالذكر ، ولو تناولنا خفاً من الأدعية المأثورة ، كدعاء كميل أو دعاء الافتتاح أو السمات أو غيرها لأتضحت الصورة جلية في اقتران الذكر بالدعاء .

ففي دعاء كميل تبتدأ بـ

(اللهم أني أسئلك برحمتك التي وسعت كل شيء وبقوتك التي قهرت بها كل شيء ، وخضع لها كل شيء ، وذل لها كل شيء ، وبجبروتك التي غلبت بها كل شي .. ثم نقول يانور ياقدوس يا أول الأولين ويا آخر الآخرين ... **بعد ذلك يبدأ الدعاء** .. اللهم إغفر لي الذنوب التي تهتك العصم ، اللهم أغفر لي الذنوب التي تنزل النقم ، اللهم اغفر لي الذنوب التي تغير النعم ... اللهم اغفر لي كل ذنب أذنبته وكل خطيئة أخطأتها ..) .

وفي دعاء الافتتاح نقول :

(اللهم إني أفتتح الثناء بحمدك ، وأنت مسدد للصواب بمنك وأيقنت أنك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة ، وأشد المعاقبين في موضع النكال والبقمة .. **ثم نقول** : اللهم أذنت لي في دعائك ومسألتك فأسمع ياسميع مدحتي ، وأجب يارحيم دعوتي وأقل ياغفور عثرتي .. فكم ياالهي من كربة قد فرجتها وهموم قد كشفتها وعثرة قد أقلتها ، ورحمة قد نشرتها .. الخ) .

وكذلك في دعاء السمات والذي يعتبر من ذخائر الأدعية وأنفسها وأجلها عظمة لما اشتملت عليه من الأذكار العرفانية .

(اللهم إني أسئلك بأسمك العظيم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي إذا دعيت به على مغالق أبواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت ، وإذا دعيت به على مضايق أبواب الأرض للفرج إنفرجت ، وإذا دعيت به على العسر لليسر تيسرت وإذا دعيت به على الأموات للنشور أنتشرت .. **بعد ذلك نقول** .. اللهم بحق هذا الدعاء وبحق هذه الأسماء التي لايعلم تفسيرها ولا يعلم باطنها غيرك صلي على محمد وآل محمد وأفعل بي ما أنت أهله ولا تفعل بي ماأنا أهله وأغفر لي من ذنوبي ماتقدم منها وما تأخر ، ووسع علي من حلال رزقك ،

وأكفني مؤنة انسان سوء ، وجار سوء وقرين السوء وسلطان سوء إنك على ماتشاء قدير، وبكل شيء عليم آمين يارب العالمين ..) .

فمجمل الأدعية المأثورة المروية عن السلسلة الذهبية ، تبدأ بالذكر سواء التهليل والتسبيح أو التقديس أو نفي الصفات السلبية عنه أو نعته بالصفات الكمالية والأسماء النورانية ، بعد ذلك يبدأ الطلب أو الحاجة .

الذكر قبل الدعاء :

فعن الحارث بن المغير قال : سمعت أبا عبدا لله (ع) يقول : (إياكم إذا أراد أحدكم أن يسأل من ربه شيئاً من حوائج الدنيا والآخرة حتى **يبدأ بالثناء على ا لله** عز وجل والمدح له ، والصلاة على النبي (ص) ثم يسأل حوائجه)(٣٩)

وعن العيص بن القاسم قال : قال أبو عبدا لله (ع) : (إذا طلب أحدكم الحاجة فليثن على ربه وليمدحه فان الرجل اذا طلب الحاجة من السلطان هيأ له من الكلام أحسن ما يقدر عليه ، فإذا طلبتم الحاجة فمجدوا ا لله العزيز الجبار ، وامدحوه وأثنوا عليه ، تقول (**يا أجود من أعطى ، وياخير من سئل ، ويا أرحم من استرحم ، يا أحد ياصمد ، يامن لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، يامن لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، يامن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، ويقضي ما أحب ، يامن يحول بين المرء وقلبه يامن هو بالمنظر الأعلى ، يامن ليس كمثله شيء ، ياسميع يابصير) ، وأكثر من أسماء ا لله عز وجل فإن أسماء ا لله عز وجل كثيرة ، وصل على محمد وآل محمد** ..)(٤٠) .

وعن أبي كهمس قال : سمعت أبا عبدا لله (ع) يقول : (دخل رجل المسجد فأبتدأ قبل الثناء على ا لله والصلاة على النبي (ص) ، فقال النبي : عجل العبد ربه ، ثم دخل آخر فصلي وأثنى على ا لله عز وجل وصلى على رسول ا لله (ص) ، فقال رسول ا لله (ص) سل تعطه ..)(٤١) .

وعن علي بن حسان ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبدا لله (ع) قال : (كل دعاء لا يكون قبله تحميد فهو أبتر ، إنما هو التحميد ثم الثناء ، قال : قلت : ما أدري ما يجري من التحميد والتمجيد ؟ قال : تقول : **اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء وأنت العزيز الحكيم**)(٤٢) .

وعنه (ع) قال : (إياكم أن يسأل أحد منكم ربه من حوائج الدنيا والآخرة حتى يبدأ بالثناء على ا لله عزوجل ، والمدحة له والصلاة على النبي (ص) وآله ، ثم الإعتراف بالذنب ثم المسألة)(٤٣) .

فالذكر مفتاح خزائن الدعاء وعمود النور المتصل إلى عرش الرحمن ، به تفتح المغاليق ومن خلاله ينفذ الدعاء .

عن أبو الحسن الرضا (ع) قال : (وجد رجل صحيفة فأتى بها رسول ا لله (ص) فنادى الصلاة جامعة فما تخلف أحد لاذكر ولا أنثى ، فرقى المنبر فقرأها .. فاذا كتاب من يوشع بن نون وصي موسى (ع) وإذا فيها (**بسم ا لله الرحمن الرحيم ، إن ربكم لرؤوف رحيم ، ألا أن خير عباد ا لله التقي النقي الخفي وإن شر عباد ا لله المشار إليه بالأصابع فمن أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى وأن يوفي الحقوق التي أنعم ا لله سبحانه بها عليه فليقل كل يوم** : **سبحان ا لله كما ينبغي لله ، والحمد لله كما ينبغي لله ، ولااله الا ا لله كما ينبغي لله ، وا لله أكبر كما ينبغي لله ، ولا حول ولا قوة إلا با لله كما ينبغي لله ، وصلى ا لله على محمد النبي وأهل بيته وجميع المرسلين والنبيين حتى يرض ا لله** . فنزل عليه الصلاة والسلام وقد الحوا في الدعاء . فصبر هنيئة ثم رقى المنبر فقال :

(من أحب أن يعلو ثنائه على ثناء المجتهدين (المجاهدين) فليقل هذا القول كل يوم . فإن كان له حاجة قضيت أو عدو كبت أو دين قضي ، أو كرب كشف ، وخرق كلامه السماوات السبع حتى يكتب في اللوح المحفوظ)(٤٤) .

كما لو تدبرنا بالآية الشريفة ﴿ **أدعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾(٤٥) فعدم دعاء الانسان لايؤدي إلى وصوله إلى درجة الإستكبار أو إستحقاقه لعذاب النار ، إنما تشمل هذه العقوبة عدم الإعتراف بالربوبية لله وحده وتقديسه عن الشركاء وهو ما يبينه الذكر بتقديسه وتهليله وتنزيهه للواحد الأحد الفرد الصمد ، فالعبادة هنا جاءت بمعنى الذكر الذي يشمل الدعاء .

ولنأخذ مثالا آخر من أدعية المعصومين (ع) لنتذوق حلاوة الدعاء بالذكر ، فعن زين العابدين (ع) قال : (ضمني والدي أبي عبدا لله الحسين (ع) إلى صدره يوم قتل والدماء تغلي وهو يقول : يابني أحفظ عني دعاء علمتني فاطمة (ع) وعلمها رسول ا لله (ص) وعلمه جبرائيل (ع) في الحاجة والهم والغم والنازله إذا نزلت ، والأمر العظيم الفادح قال : (**ادع بحق يس والقرآن الحكيم وبحق طه والقرآن العظيم ، يامن يقدر على حوائج السائلين يامن يعلم مافي الضمير، يامنفس عن المكروبين ، ياراحم الشيخ الكبير ، يارازق الطفل الصغير ، يامن لايحتاج إلى التغيير ، صلي على محمد وآل محمد وافعل بي كذا وكذا ..**)(٤٦) .

ولنتدبر برهة مع الصادق (ع) في دعائه العظيم الذي رواه الكفعمي في مصباحه ، والذي قيل أن فيه اسم ا لله الأعظم ..

(**بسم ا لله الرحمن الرحيم اللهم اني أسئلك ولاأسئل أحداً غيرك بحق هذه الأسماء المباركة ، اللهم بألف الابتداء بباب البهاء بتاء التأليف بثاء الثناء بجيم الجلال بحاء الحمد بخاء الخفاء بدال الدوام بذال الذكر براء الربوبية بزاء الزيادة بسين السلامة بشين الشكر بصاد الصبر بضاء الضوء بطاء الطول بظاء الظلام بعين العفو بغين الغفران بفاء الفردانية بقاف القدرة بكاف الكلمة التامة بلام اللوح بميم الملك بنون النور بهاء الهيبة بواو الوحدانية بلام ألف لااله الا أنت بياء ياذا الجلال والاكرام ، اللهم أني اسئلك يامن لا تضره مسألة السائلين يامن هو خبير بما تخفي الضمائر وتكن منه الصدور ، اسئلك بما سميت به نفسك ، إن تصلي على محمد وآل محمد وأن تجعل لي من كل همّ**

فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ومن كل عسر يسراً ، وإلى كل خير سبيلا برحمتك ياأرحم الراحمين) .

ومن أعظم نعم ا لله على بني البشر هو جريان ذكره على ألسنتهم ، كما جاء في مناجاة الذاكرين (**ومن أعظم نعمك علينا جريان ذكرك على ألسنتنا** ..) لذلك اشتملت العديد من الأدعية إن لم تكن مجملها على الذكر وتأكيد الطلب في الدعاء ، والطلب من ا لله أن يجعل هذا اللسان رطباً بذكر ربه (**واجعل لساني بذكرك لهجاً**) .

الذكر والقرآن

﴿ وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً ﴾(٤٧) .

لعل سائل يسأل .. هل هناك فرق بين الذكر والقرآن ؟ وهل يسمى قارىء القرآن ذاكراً .. ؟

في موضوع الذكر والقرآن ، لايمكننا الفصل بين الأثنين ، لتلازمهما واحتوائهما لبعضهم البعض وذلك :

أولاً : أشارت العديد من الآيات الشريفة والأحاديث إلى كليهما كوحدة عملية وسلوكية ، كما نعتت القرآن الكريم بالذكر في بعض آياته ﴿ .. **ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم** ﴾(٤٨) .

ثانياً : إن القرآن يحوي بين دفيته مجمل الأذكار ، والأسماء القدسية التي تعلو بهمة الذاكر ولكثرة الأذكار وشمولها فيه سمي القرآن بالذكر ، إضافة إلى كونه أداة تنبيه من الغفلة ، وتذكير بالوعد والوعيد ﴿ **فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** ﴾(٤٩) ، ﴿ **هذا صراط ربك مستقيماً ، قد فصلنا الآيات لقوم يذّكرون** ﴾(٥٠) .

ثالثاً : إن القرآن هو كلام الله عز وجل ، وسمي بالقرآن لأن الخالق أراد له أن يكون قرين الإنسان ، أي ملازمه في حياته ، يستقي منه منهاجه ، وينير فيه بوادر الخير والصلاح كما أنه إقرار لكل حقيقة وفضيلة ، وهو الكلم الطيب المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فالقرآن ذكر .. إذا أوصل الإنسان إلى خالقه ، أي إذا تذكر ربه ، وشعر بحالة الأنس والقرب ﴿ **ص . والقرآن ذي الذكر** ﴾(٥١) ، أما لو قرأ والقلب ساه منشغل عن التمعن في مفرداته ، غافلاً عن أسراره الرحمانية ، فلا يوصف القاريء بالذاكر ، إنما يسمى قارئاً وكم من قاريء للقرآن والقرآن يلعنه .

فالبصائر القرآنية إنما هدفت بالدرجة الأولى ، تذكير الإنسان بربه ، وتعريفه بفطرته ، وإيضاح سبل معيشته ، وتعامله مع الطبيعة من حوله ، ومع غيره من بني البشر . وما اسلوب الترغيب والترهيب والتشريع والقصص والأحكام والتذكير ، إلا لتؤكد حقيقة القرب والود والذكر بين الخالق والمخلوق ﴿ **الله أنزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله** ﴾(٥٢) ، فالهدف إذن ليس هو قراءة القرآن ، إنما هو الخشية والقرب والذكر . فالوصول لحالة الخشية والتسليم المطلق لله عز وجل من معطيات وآثار الذكر . ﴿ **ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد** ﴾(٥٣) .



الفصل الثاني

- فضيلة الذكر في القرآن .
- فضيلة الذكر في الأحاديث الشريفة .
- فضيلة الذكر في الأحاديث القدسية .
- فضيلة مجالس الذكر .
- فضيلة الذكر في الأدعية المأثورة .

أوحى الله إلى بعض الصديقين :

(بأن لي عباداً يحبونني وأحبهم ، ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم ، ويذكرونني فأذكرهم ، فإن أخذت طريقهم أحببتك ، وإن عدلت عنهم مقتك)(١) .



فضيلة الذكر في القرآن :

بعض الآيات القرآنية الواردة في فضيلة الذكر :

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا ا لله ذكراً كثيراً ﴾(٢) .

وقال : ﴿ اذكروني أذكركم ، وأشكروا لي ولاتكفرون ﴾(٣) .

وقال : ﴿ فاذكروا آلاء ا لله لعلكم تفلحون ﴾(٤) .

وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر ا لله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾(٥).

وقال : ﴿ فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا ا لله ﴾(٦) .

وقال : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا ا لله كذكركم آباءكم أوأشد ذكراً ﴾(٧) .

وقال : ﴿ الذين يذكرون ا لله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾(٨) .

وقال ﴿ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا ا لله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم ﴾(٩) .

وقال ﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول بالغدوّ والآصال ولاتكن من الغافلين ﴾(١٠) .

وقال : ﴿ ولذكر ا لله أكبر ﴾(١١) .

وقال : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر ا لله وجلت قلوبهم ﴾(١٢) .

وقال ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر ا لله الآ بذكر ا لله تطمئن القلوب ﴾(١٣)

إلى غير ذلك من الآيات الشريفة .

فضيلة الذكر في الأحاديث الشريفة :

بعض الأحاديث الواردة في فضيلة الذكر :

قال رسول الله (ص) : (**ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم**)(١٤)

وقال (ص) : (**ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين**)(١٥) .

وقال (ص) : (**ذاكر الله في الغافلين كالحي بين الأموات**)(١٦) .

وقال (ص) : (**ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله تعالى ، قالوا : يارسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولاالجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ، ثم تضرب به حتى ينقطع**)(١٧) .

وقال (ص) : (**من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله**)(١٨) .

وسئل (ص) : أي الأعمال أفضل فقال :(**أن تموت ولسانك رطب بذكر الله**)(١٩) .

وقال (ص) : (**قال الله عز وجل : إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي ، وإذا ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير من ملإه ، وإذا تقرب منّي شبراً تقرّبت منه ذراعاً ، وإذا تقرب منّي ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإذا مشى إليّ هرولت إليه**)(٢٠) يعني بالهرولة سرعة الاجابة .

وعن الكافي بإسناده ، عن الحسن عن أبي عبدالله (ع) قال : (**إن الله تعالى يقول : من شغل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ماأعطي من سألني**)(٢١) .

وباسناده عنه (ع) قال : (**قال الله تعالى لعيسى : ياعيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي ، وأذكرني في ملئك أذكرك في ملإ خير من ملإ الآدميين ، ياعيسى ألن لي قلبك ، وأكثر ذكري في الخلوات ، وأعلم أن سروري أن تبصبص إليّ وكن في ذلك حياً ولاتكن ميتاً**)(٢٢) .

وعنه (ع) قال : (**من أكثر ذكر ا لله أظلّه في جنته**)(٢٣) .

وعنه (ع) قال : قال رسول ا لله (ص) : (**من أكثر ذكر ا لله أحبه ا لله ، ومن ذكر ا لله كثيراً كتب له براءة من النار ، وبراءة من النفاق**)(٢٤) .

وعنه (ع) قال : (ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه ، إلا الذكر فليس له حد ينتهي إليه ، فرض ا لله تعالى الفرائض فمن أداهن فهو حدهن ، وشهر رمضان فمن صامه فهو حدّه ، والحج فمن حج فهو حدّه إلا الذكر فإن ا لله تعالى لم يرض منه بالقليل و لم يجعل له حداً يتنهي إليه ثم تلا ﴿ يأأيها الذين آمنوا اذكروا ا لله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ وقال : لم يجعل له حدّاً ينتهي إليه ، وقال : **وكان أبي كثير الذكر لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر ا لله ، وآكل معه وإنه ليذكر ا لله ، ولقد كان يحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر ا لله ، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول : لاإله إلا ا لله** ، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا ، ومن كان لايقرأ منا أمره بالذكر ، والبيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر ا لله فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيىء لأهل السماء كما يضيىء الكوكب الدّريّ لأهل الأرض ، والبيت الذي لايقرأ فيه القرآن ولايذكر ا لله فيه تقل بركته ، وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين)(٢٥) .

وقال رسول ا لله (ص) : (**ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأرفعها في درجاتكم وأزكاها عند مليككم ، وخير لكم من الدينار والدرهم ، وخير لكم من أن تلقوا عدوّكم فتقتلوهم ويقتلونكم ؟ قالوا بلى ، قال : ذكر ا لله تعالى كثيراً**)(٢٦) .

جاء رجل إلى النبي (ص) فقال : من خير أهل المسجد ؟ فقال :(أكثرهم لله ذكراً)(٢٧)

وقال رسول ا لله (ص) : (من أعطى لساناً ذاكراً فقد أعطي خير الدنيا والآخرة)(٢٨)

وعن أبي عبدا لله (ع) قال : (أوحى ا لله تعالى الى موسى (ع) : (**لاتفرح بكثرة المال ، ولا تدع ذكري على كل حال ، فإن كثرة المال تنسي الذنوب ، وإن ترك ذكري يقسي القلوب**)(٢٩) .

وعن أبي جعفر (ع) قال : (مكتوب في التوراة التي لم تغيّر أن موسى (ع) سأل ربه فقال : إلهي إنه يأتي عليّ مجالس أعزّك وأجلّك أن أذكرك فيها ، فقال : (**ياموسى إن ذكري حسن على كل حال**)(٣٠) .

وعنه (ع) قال : (**أنّ الصاعقة لاتصيب ذاكراً لله عز وجل**)(٣١) .

عن أنس ، قال رسول الله (ص) : (**لذكر الله بالغدو والآصال خير من حطم السيوف في سبيل الله) وحطم السيوف يعني أن يجاهد المرء في سبيل الله حتى ينكسر سيفه**)(٣٢).

عن حسين بن يزيد عن أبي عبدالله (ع) , قال : قال رسول الله (ص) : (**ما من قوم اجتمعوا في مجلس ، فلم يذكروا أسم الله عزوجل ، ولم يصلوا على نبيهم ، إلا كان ذلك المجلس حسرة ووبالاً عليهم**)(٣٣) .

عن أبي عبدالله (ع) قال : قال الله عز وجل لموسى (ع) :(**أكثر ذكري بالليل والنهار ، وكن عند ذكري خاشعاً ، وعند بلائي صابراً ، وأطمئن عند ذكري ، وأعبدني ولاتشرك بي شيئاً الي المصير ، ياموسى إجعلني ذخرك ، وضع عندي كنزك من الباقيات الصالحات**)(٣٤) .

عن أبي عبدالله (ع) في رسالته إلى أصحابه ، قال : (**وأكثروا ذكر الله ما أستطعتم في كل ساعة من ساعات الليل والنهار ، فإن الله أمر بكثرة الذكر ، والله ذاكر لمن ذكره من المؤمنين ، وأعلموا أن الله لم يذكره أحد من عباده المؤمنين إلاذكره بخير**)(٣٥)

عن جابر ، عن أبي جعفر (ع) قال : قال رسول الله (ص) : (**إن الملك ينزل بصحيفة أول النهار وأول الليل ، فيكتب فيها أعمال أبن آدم ، فأملوا في أولها خير وفي آخرها خيراً ، فإن الله يغفر لكم فيما بين ذلك إنشاء الله ، وإن الله يقول : أذكروني أذكركم ، ويقول ولذكر الله أكبر**)(٣٦) .

عن عدة الداعي ، قال : قال النبي (ص) : (**من ذكر الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه ، كتب الله له ألف حسنة ، ويغفر له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر**)(٣٧) .

وعن الأمير (ع) قال : (**أفيضوا في ذكر الله جل ذكره ، فإنه أحسن الذكر ، وهو أمان من النفاق ، وبراءة من النار ، وتذكير لصاحبه عند كل خير يقسمه الله جل ذكره وله دوي تحت العرش**)(٣٨) .

فضيلة الذكر في بعض الأحاديث القدسية :

عن النبي (ص) قال : مامن يوم يمر إلا والباري عز وجل ينادي :

(**عبدي ما أنصفتني ، أذكرك وتنسى ذكري ، وأدعوك إلى عبادتي وتذهب إلى غيري وأرزقك من خزائني ، وآمرك لتتصدق لوجهي ، فلا تطيعني ، وأفتح عليك أبواب الرزق ، وأستقرضك من مالي فتجبهني ، وأذهب عنك البلاء وأنت معتكفاً على الخطايا**) .

وفي حديث آخر يقول المولى عز وجل (**إذا أرت أن أجمع للمسلم خير الدنيا وخير الآخرة ، جعلت له قلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً ، وجسداً على البلاء صابراً ، وزوجة مؤمنة تسره إذا نظر إليها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله**)(٣٩) .

وفي حديث آخر قال تعالى (**أيما عبد أطلعت على قلبه فوجدت الغالب عليه التمسك بذكري ، توليت سياسته ، وكنت جليسة ، ومحادثه وأنيسه**)(٤٠) .

وعن الرسول الأعظم (ص) قال : نزل جبريل إليّ وقال لي يامحمد : ربك يقرئك السلام ويقول لك : (**كل ساعة تذكرني فيها فهي لك عندي مدخرة ، وكل ساعة لا تذكرني فيها ، فهي منك ضائعة**)(٤١) .

فيما أوحى ا لله إلى نبيه **آدم** عليه السلام

يابن آدم : (لايدخل جنتي ، إلا من تواضع لعظمتي ، **وقطع نهاره بذكري** ، وكف عن الشهوات من أجلي ويراضي الغريب ، ويواسي الفقير ، ويرحم المصاب ويكرم اليتيم ، ويكون له كالأب الرحيم وللأرامل كالزوج الشفيق ، فمن كان هذه صفته يكون إن دعاني لبيته وإن سألني أعطيته)(٤٢) .

يابن آدم : تريد وأريد ولايكون إلا ما أريد ، فمن قصدني عرفني ، ومن عرفني أرادني ومن أرادني طلبني ، ومن طلبني وجدني ، ومن وجدني خدمني **ومن خدمني ذكرني ومن ذكرني ذكرته برحمتي**)(٤٣) .

يابن آدم : اذكرني أستجب لكم ، أدعوني بلا غفلة أستجب لكم بلا مهله ، أدعوني بالقلوب الخالية أستجب لكم بالدرجات العالية ، أدعوني بألاخلاص والتقوى أستجب بالجنة المأوى ، أدعوني بالخوف والرجاء ، أجعل لكم من كل أمر فرجاً ومخرجاً ، أدعوني بالأسماء العليا ، أستجب لكم ببلوغ المطالب الأسناء ، أدعوني في دار الخراب والفناء ، أستجب لكم في دار الثواب والبقاء)(٤٤) .

يابن آدم : **كم تقول ا لله ، ا لله ، وفي قلبك غير ا لله ، ولسانك يذكر ا لله وتخاف غير ا لله ، وترجو غير ا لله ، ولو عرفت ا لله لما أهمك غير ا لله ، وتذنب ولاتستغفر ، فإن الإستغفار مع الأصرار توبة الكاذبين وما ربك بظلام للعبيد**)(٤٥) .

يابن آدم : **تفرغ لعبادتي لأملأ قلبك غنى ويديك رزقاً وجسمك راحة ، ولاتغفل عن ذكري فأملأ قلبك فقراً وبدنك تعباً وصدرك غماً وهماً وجسمك سقماً ودنياك عسرة**)(٤٦) .

وفيما أوحى ا لله تعالى إلى نبيه **داود** (ع) :

ياداود : (**أذكرني في أيام سرائك ، حتى أستجيب لك في أيام ضرائك**)(٤٧) .

ياداود : (**إذا جن عليك الليل فانظر إلى ارتفاع النجوم في السماء ، وسبحني ، وأكثر من ذكري حتى أذكرك**)(٤٨) .

ياداود : (بي فأفرح ، وبذكري فتلذذ وبماجاتي فتنعم ، فعن قليل أخلي الدار من الفاسقين ، وأجعل لعنتي على الظالمين)(٤٩) .

ياداود : (بلغ أهل الأرض أني حبيب من أحبني ، وجليس من جالسني ، ومؤمس لمن أنس بذكري ، وصاحب لمن صاحبني ، ومختار لمن أختارني ، ومطيع لمن أطاعني)(٥٠)

وفيما أوحى الله إلى نبيه موسى (ع) :

ياموسى : (**إجعل لسانك من وراء قلبك تسلم ، وأكثر ذكري بالليل والنهار تغنم ، ولاتتبع الخطايا فتندم ، فان الخطايا موعدها النار**)(٥١) .

ياموسى : (خفني في سرائرك ، أحفظك في عوراتك ، وأذكرني في سرائرك وخلواتك وعند سرور لذّاتك ، أذكرك عند غفلاتك وأملك عضبك عمّن ملكتك أمره ، أكف غضبي عنك)(٥٢).

ياموسى : (الطاهرة قلوبهم والبريئة أيديهم ، الذين يذكرون جلالي ذكر آبائهم)(٥٣) .

ياموسى : (لأ أقبل الصلاة إلا ممن تواضع لعظمتي ، والزم قلبه خوفي ، **وقطع نهاره بذكري** ، ولم يبت مصراً على الخطيئة ، وعرف حق أوليائي وأحبائي)(٥٤) .

وفيما أوحى الله إلى نبيه عيسى (ع) :

ياعيسى : (**تيقظ ولاتيأس من روحي ، وسبحني مع من يسبحني وبطيب الكلام فقدسني**)(٥٥) .

ياعيسى : (**أبك على نفسك في الخلوات ، وأنقلها إلى مواقيت الصلوات ، وأسمعني لذاذة نطقك بذكري ، فإن صنيعي اليك حسن**)(٥٦) .

ياعيسى : (**أحي ذكري على لسانك ، وليكن ودي في قلبك**)(٥٧) .

وفيما أوحى الله إلى حبيبه محمد (ص) :

يا أحمد : (وجوه الزاهدين مصفرة من تعب الليل وصوم النهار ، والسنتهم كلال إلا من ذكر الله تعالى ..)(٥٨) .

يا أحمد : (إن أهل الخير وأهل الآخرة رقيقة وجوههم ، كثير حياؤهم ، قليل حمقهم ، كثير نفعهم قليل مكرهم ، الناس منهم في راحة وأنفسهم منهم في تعب ، كلامهم موزون محاسبون لأنفسهم ، متعبون لها ، تنام أعينهم ولاتنام قلوبهم ، **أعينهم باكية وقلوبهم ذاكرة ، إذا كتب الناس من الغافلين كتبوا من الذاكرين .. ولايشغلهم عن الله شيء طرفة عين**)(٥٩) .

فضيلة مجالس الذكر :

قال النبي (ص) : (**ماجلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده**)(٦٠) .

وقال (ص) : (**مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لايريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات**)(٦١)

وقال (ص) : (**ماقعد قوم مقعداً لم يذكروا الله فيه ولم يصلّوا على النبي إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة**)(٦٢) .

وقال داود (ع) : (**إلهي إذا رأيتني أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فإنها نعمة تنعم بها عليّ**)(٦٣) .

وقال (ص) : (**المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء**)(٦٤) .

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) أنه قال : (إن لله عزوجل ملائكة سيّاحين في الارض فضلاً عن كتّاب النّاس فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله سبحانه ، تنادوا : هلموا إلى بغيتكم ، فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى : على أيّ شيء تركتم عبادي يصنعونه ؟ فيقولون : تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك ، فيقول : وهل رأوني ؟ فيقولون : لا ، فيقول : كيف ولورأوني ؟ فيقولون : لورأوك لكانوا أشد تسبيحاً وتحميداً وتمجيداً ، فيقول لهم : من أي شيء يتعوذون ؟ فيقولون : من النّار ،

فيقول : هل رأوها ؟ فيقولون : لا ، فيقول : فكيف لورأوها ؟ فيقولون : لورأوها لكانوا أشد هرباً منها وأشد نفوراً ، فيقول : وأي شيء يطلبون ؟ فيقولون : الجنة ، فيقول : هل رأوها ؟ فيقولون : لا ، فيقول : كيف لورأوها ؟ فيقولون : لورأوها لكانوا أشد حرصاً عليها فيقول : فإني أشهدكم أني قد غفرت لهم ، فيقولون : كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة ، فيقول : هم القوم لايشقى بهم جليسهم)(٦٥) .

وعن أبي جعفر (ع) قال : (مكتوب في التوراة التي لم تغير أن موسى (ع) سأل ربه فقال : (يارب أقريب مني فأناجيك أم بعيد فأناديك فأوحى ا لله إليه ياموسى ، أنا جليس من ذكرني ، فقال موسى : فمن في سترك يوم لاستر إلا سترك ؟ قال : **الذين يذكرونني فأذكرهم ويتحابون فيّ فأحبهم ، فأولئك الذين إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم**)(٦٦) .

وعن الرسول (ص) قال : (**بادوا إلى رياض الجنة ، قيل يارسول ا لله وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر**)(٦٧) .

وعنه (ص) قال : (إن الملائكة يمرون على حلق الذكر فيقومون على رؤسهم ، يبكون لبكائهم ، ويؤمنون على دعائهم ، (إلى أن قال) فيقول ا لله سبحانه : وأشهدكم أني قد غفرت لهم وآمنهم مما يخافون ، فيقولون : ربنا إن فلاناً كان فيهم وإنه لم يذكرك ، فيقول : قد غفرت له بمجالسته لهم ، **فإن الذاكرين من لا يشقى بهم جليسهم**)(٦٨) .

الذكر كما جاء في بعض الأدعية المأثورة :

(إلهي ما ألذ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب ، وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب ..)(٦٩)

(اللهم أفتح مسامع قلبي لذكرك ، وأرزقني طاعة رسولك ، والعمل بكتابك)(٧٠) .

(وأستغفرك من كل لذة بغير ذكرك ، وكل راحة بغير أنسك ، ومن كل سرور بغير قربك ..)(٧١) .

(اللهم إني أتقربك إليك بذكرك ، وأستشفع بك إلى نفسك ، وأسئلك بجودك أن تدنيني من قربك ، وأن توزعني شكرك وأن تلهمني ذكرك)(٧٢) .

(.. أتراك معذبي بنارك بعد توحيدك ، وبعدما أنطوى عليه قلبي من معرفتك ، ولهج به لساني من ذكرك)(٧٣) .

(.. أسئلك بحقك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمائك ، أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة ..)(٧٤) .

(.. وأجعل لساني بذكرك لهجا ، وقلبي بحبك متيما ، ومُنّ عليّ بحسن إجابتك ..)

(.. اللهم وأشغلنا بذكرك وأعذنا من سخطك ..)(٧٥) .

(.. يامولاي بذكرك عاش قلبي وبمناجاتك بردت ألم الخوف عني ..)(٧٦) .

(.. اللهم خصني منك بخاصة ذكرك ..)(٧٧) .

(.. اللهم فصل على محمد وأله ، وأجعل اليقين في قلبي والنور في بصري والنصيحة في صدري ، وذكرك بالليل والنهار على لساني ...)(٧٨) .

(.. إلهي وألهمني ولهاً بذكرك إلى ذكرك .. وهمتي إلى روح نجاح أسمائك ومحل قدسك ..)(٧٨) .

(.. وأسئلك أن تصلي على محمد وأل محمد وأن تجعلني ممن يديم ذكرك ولا ينقض عهدك ولايغفل عن شكرك ..)(٧٩) .

(.. بسم ا لله الرحمن الرحيم ، اللهم قوني فيه علـى إقامـة أمـرك وأذقـني فيـه حـلاوة ذكرك وأوزعمني فيه لأداء شـكرك بكرمـك وأحفضـني فيـه بحفظـك وسـترك يـا أبصـر الناظرين ..)(٨٠) .

(يامن ذكره شرف للذاكرين ، ويامن شـكره فـوز للشـاكرين ، ويـامن طاعتـه نجـاة للمطيعين ، صلي على محمد وآله ، وأشغل قلوبنا بذكرك عن كل ذكر ..)(٨١) .

(إلهي من لم يشغله الولوع بذكرك ، ولم يزوه السفر بقربك ، كانت حياته عليه ميتـه ، وميتته حسره)(٨٢).



الفصل الثالث

- المسيرة الواحدة
- الذكر والنص القرآني
- مفاقة الذكر والعمل
- موانع الذكر
- منبع الروحانية

ما من يوم يمر إلا والباري عز وجل ينادي : (**عبدي ما أنصفتني ، أذكرك وتنسى ذكري ، وأدعوك إلى عبادتي وتذهب إلى غيري ، وأرزقك من خزائني وآمرك لتتصدق لوجهي فلا تطيعني ، وأفتح عليك أبواب الرزق واستقرضك من مالي فتجبهني ..**

يابن آدم : ما يكون جوابك لي غداً إذا أجبتني ..)*

الذكر ورسالات الأنبياء :

أثار موضوع الذكر إهتمام جميع المناهج السماوية التي جاء بها الأنبياء لبني البشر ، وجعلته العلاقة الأوحدية بين الخالق والمخلوق ، وسارت على نسق متكامل متواصل على الرغم من إختلافها في الشعائر والنسك والأحكام التي تحدد سلوكيات وتعامل بني البشر كما جاء على لسان الرسول (ص) ﴿ **هذا ذكر من معي وذكر من قبلي** ﴾(١) .

فالذكر هو العملة المشتركة والناموس الموحد الذي عرّف الإنسان بوحدانية الخالق لاشتماله على وحدة الموضوع ، وهو القرب من الله عز وجل بغض النظر عن الطرق والوسائل الموصله إليه ، فكانت جميع الرسالات تصب في معين واحد وتدعوه ليرتشف من رحيق الفيض الالهي .

جنة آدم .. والذكر

آدم أبو البشر .. ـ كما تذكر الروايات ـ لأنه الأصل الجسماني الذي تناسلت منه البشرية ، وقامت من صلبه المجتمعات الإنسانية . وكونه أباً للبشرية فذلك لايعني أن يكون سيد الخلق أو أشرفهم ، فتلك المنزلة الكمالية لم يصل إلى رتبتها ، وعلو شأنها إلا الرسول المصطفى (ص) ، لأنه جسد معنى العبودية الخالصة لله ، وصدق وعده ووعيده ، وتجاوز حتى مسألة ـ ترك الأولى ـ في عمل المنهيات والإبتعاد عن الجزئيات . وبذلك أجاب الرسول (ص) على عائشة عندما قال : (علي سيد العرب) ، فقالت : ألست يارسول الله سيد العرب ، فقال : (علي سيد العرب وأنا سيد ولد آدم) .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن مفهوم ومضامين القرآن لعصيان الأنبياء وتركهم للأولى ، بقدر ما يهمنا هو شاهد الإنابة والتوبة ، وأسباب قبولها ، وعودتهم من جديد إلى المحجة و (الطريقة) .

فنبي ا لله آدم (ع) إبتلاه ا لله بالعديد من الإختبارات والمواقف ، كان أشدها وقعاً عليه هو نسيانه للعهد الذي أخذه ا لله عليه وعلى أبنائه في عالم الذر ﴿ **وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا** .. ﴾(٢) .

وقبل أن نطرق أبواب التاريخ في قصة آدم (ع) نذكر بعجالة سريعة العهد والميثاق الذي أخذه ا لله علينا في عالم الذر ، لنطلع عليه ، لأننا نعتبر طرفاً فيه ، فقد جاء في علل الشرائع للصدوق (في حديث طويل) عن الباقر (ع) : (إن ا لله عز وجل لما أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له ، وبالنبوة لكل نبي ، فكان أول من أخذ عليهم الميثاق بنبوة محمد بن عبدا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم . ثم قال لآدم : أنظر ماذا ترى ؟ فنظر آدم إلى ذريته (وهم ذر) قد ملأوا السماء ، فقال : يارب ! ما أكثر ذريتي ! ولأمر ما خلقتهم ! فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم ؟ فقال ا لله عزوجل : **يعبدونني لايشركون بي شيئاً ، ويؤمنون برسلي ويتبعونهم** ، قال آدم ! فمالي أرى بعض الذر أعظم من بعض ، وبعضهم له نور كثير ، وبعضهم له نور قليل ، وبعضهم ليس له نور ؟ فقال ا لله عز وجل : لذلك خلقتهم ، لأبوئهم في كل حالاتهم ..)

ويمثل هذا العهد ، العقد المبرم ، والقانون المحكم ، والإتفاقية الاستراتيجية ، بين القوى والضعيف . هذه الاتفاقية (العهد) الذي من أجله خلق ا لله الخلق ، وبث الأرواح في الأجساد ، فلا يعقل أن يخلق ا لله الخلق دون أن يربطه بميثاق ، أو يمليه على إتفاق ، فالتاجر ـ مثلاً ـ لا يقدم على أية عملية شراء أو بيع ، إلا بعد توقيع عقد بين الطرفين ، وتعيين موظف في دائرة يتطلب تحرير عقد يتضمن واجبات وحقوق كلا منهم ، وتعالى ا لله علوا كبيراً عن التشبيه ، إلا أنه تقدست أسماؤه ، أخذ العهد والميثاق على بني آدم منذ إيجادهم في مراحل الخلق الأولى ، وبين لهم محتواه وتعاليمه، ليكونوا على بصيرة من خلقهم

والوفاء بهذا العهد غاية الكمال الإنساني ، فمن تمسك به فقد وصل إلى غاياته وأمانيه وإن نكث به فقد خر من السقف فتخطفه الطير ، أو يلقى من مكان سحيق . ويشير ا لله تبارك وتعالى إلى ذلك العهد ﴿ **رجال صدقوا ما عاهدوا ا لله عليه** .. ﴾(٣) .

لذلك فهو لايختص بنبينا آدم ، أو بقية الأنبياء والأولياء ، إنما هو لعموم البشر ، ولكن قلة منهم هم الذين يوفون به ويصدقونه ، لأنه يحتاج إلى العزم والإرادة والصبر والمصابرة والجهد والمجاهدة ، وهذه الأمور تثقل الإنسان ، وتكلف النفس عناءاً ومشقة .

ودعونا ـ في عجالة سريعة ـ نخترق الزمن ، إلى مراحل الخلق الأولى ، وفي رحاب القرآن الكريم الذي يستعرض لنا سيناريو قصة نبيا آدم (ع) ، وفلسفة خطيئته ، وأسبابها ، وعدوله عن ما اقترفه من خطيئة ، وصدق توبته .

ففي سورة طه أية (١١٥) يبدأ السيناريو بتأكيد وهذا العهد .. ومدخل الشيطان للإنسان إنما يأتي من غفلته أو سهوته أو عناده في نكث هذا العهد ، الذي يتطلب جهداً وعزماً وتسليماً مطلقاً ﴿ **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما** ..﴾

فابليس ـ عليه لعائن ا لله ـ إستطاع اتيان آدم من باب ﴿ **ولم نجد له عزماً** ﴾ ، فبدأ عملية الوسوسة ﴿ **فوسوس إليه الشيطان ، قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** ﴾ ، فمع كل المقدمات التحذيرية التي استعلمها آدم من ربه ، من عداوة الشيطان واستكباره ، وأنه سبب الشقاء والفساد على الأرض ﴿ **إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى** ﴾ استطاعت وسوسة إبليس أن تؤتي أكلها في نبي ا لله آدم ، لأن عزيمته لم تكن بمستوى العهد ﴿ **ولم نجد له عزما** ﴾ .

فاستجاب آدم وهو في غفلة من العهد ﴿ **فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى** ﴾ فجاء الأمر الإلهي ﴿ **وناداهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ، وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين** ﴾.

إلى هنا ينتهي الفصل الأول من السيناريو الذي تخلله نسيان آدم للعهد ، وإغواء الشيطان له ولزوجته حواء .

ويبدأ الفصل الثاني .. حيث يمثل آدم حالة الندم والإنكسار ، وطلب المغفرة والرحمة جزاء خطيئته التي ارتكبها ... ﴿ **قال : ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ .

إن حالة الرجوع عن الذنب ، والإعتراف به ، وطلب المغفرة والرحمة من ا لله عز وجل دليل قاطع وبرهان نافذ على نقاء وطهارة الجنس البشري ، وهذا هو مفهوم الفطرة أو الحنفية التي أشار إليها القرآن في مواضع عدة من القرآن الكريم .

وآدم (ع) استوقف نفسه بمجرد أن أكل من الشجرة ، فتملكه الندم ، واحتوته حالة الإنكسار ، فأعترف بخطيئته وقبح صنيعته . وعرف أن الشيطان وراء أكله لتلك الشجرة التي جرّت عليه الويلات .

فمكيدة الشيطان تبدأ بالوسوسة والتردد ، ثم العمل على تحريف فهم وإدراك العهود والأحكام الشرعية لدى الناس ، ويغزوهم من باب الشبهات إلى أن يصل بهم إلى المحرمات .

فيأتي إلى الشاب ـ مثلاً ـ وهو ينظر إلى فتاة أجنبية أو العكس ، فيوسوس له بحلية النظرة الأولى ، وبعد أن يرفع الشاب نظره عن الفتاة ، يوسوس له مرة أحرى (أنك لم تأخذ الوقت الكافي في النظرة الأولى) ، فينظر الشاب مرة أخرى إلى الفتاة ، إلى أن يبدأ في الإستهانة والتقليل من عفة النظر ، ويتهاون تجنب النظر أو غض البصر .

وإذا مدت الفتاة يدها لتسلم عليه ، يأتي إليه موسوساً ، (مد يدك إليها ولا تحرجها ، ثم ماذا يجرى إذا سلمت على المرأة الأجنبية ..) ، ثم يبدأ يشكك في الأحكام ، فيوحي إليه بخطأ المشرع في تحريم السلام ، وانه حكم جائر بحق المرأة ، فهل هي حيوان نجس .. أو وحش كاشر حتى أمتنع عن السلام منه ، ويبث في روعه ، ــ يقولون ــ إن سبب التحريم إنما شرع ، لأن السلام يؤثر على إيمانك وتقواك ، ولكني (الشيطان) لا أراه يؤثر عليك .. جرب وسوف ترى .. وبالفعل يجرب الشاب .. وقد لايشعر بأثر في تغير إيمانه أو تقواه ، لأنهما يكونان آنذاك قد سلبهما منه الشيطان ، وقت أن هم بارتكاب

المنكر (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) ، وهذا هو منهج الشيطان في غواية الإنسان المؤمن .

ونعود مرة أخرى إلى قصة نبينا آدم (ع) الذي مر بمراحل إغواء الشيطان ، فاستصغر في نفسه أكل الشجرة ، وبث في روعه قضيتان أساسيتان هما ركيزتا عمل الشيطان (الملك والخلد) ، وكان فيهما عصيان آدم ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى** ﴾ .

وعندما علم الله تبارك وتعالى صدق توبة آدم ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا** ﴾ واعترافه بخطيئته أوحى الله إليه وعلمه من الأسماء والأذكار ، لتكون شفيعة له من خطيئته ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه** ﴾ .

ولنا أن نسأل أنفسنا .. لماذا أجل الله عز وجل توبة آدم إلى حين تلقيه للكلمات ؟ وهو القادر على أن يغفر له ، ويتوب عليه بمجرد أن رأى صدق توبته ؟

سوف نجيب على هذا السؤال في الفصل الثالث من هذا السيناريو ، الذي يبدأ عندما يأمر الله عز وجل آدم بالنزول إلى الأرض ﴿ **قال اهبطوا منها بعضكم لبعض عدو**﴾ .

ساد الإعتقاد في قصة آدم (ع) على ربط معصية آدم في الجنة ، وأكله من الشجرة ، وبين أمر الله له بالنزول إلى الأرض ، ويعلل نزول آدم من الجنة بعصيانه لأمر النهي عن الإقتراب من الشجرة ، أو كمن يقول .. لولا المرأة (حواء) لكنا الآن في الجنة .

فما حدث في الجنة بين الشيطان وآدم وأكله من الشجرة شيء .. وبدأ الخليقة على الأرض شيء آخر . صحيح أن الحدثان متوليان ومقترنان مع بعضهما البعض ، فالثاني كان بعد الأول ، إلا أن الأول كان لعبرة وفلسفة ، والثاني كان تجسيداً لرغبة ومقدره ..

فهل يصح أن نقول أنه لولا ترك آدم للأولى في الجنة أو معصيته ، لما كان الخلق والوجود !! وهل هذا الحدث هو علة الإيجاد والخلق ..!! أو أن يخلق الله الإنسان في الجنة منعماً مكرماً دون ابتلاء أو عقاب !! وهل يعقل أن يبدأ الخلق بمعصية (معصية آدم) وتكون هي فلسفة الخلق !!

التفاحة .. أو الشجرة ليست علة الوجود

لقد أمر الله نبيه آدم بالنزول إلى الأرض بعد الاستغفار والإنابة ، وبعد قبول توبته من الله عز وجل ﴿ **ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ، قلنا اهبطا بعضكم لبعض عدو** ﴾ .

فاذا كان نزول آدم للأرض عقاباً لمعصيته ، فما جدوى توبته التي تقبلها الله ، وما فائدة الإجتباء إذن ؟ وكيف يعاقب الله إنساناً بعد أن قبل توبته ؟

من خلال تدبرنا في الآيات القرآنية الشريفة نتوصل إلى حقيقة أحداث هذه القصة ، وهي أن كل ماحدث لآدم في الجنة هو رمز لحقيقة الصراع بين قوى الخير ، وقوى الشر ، التي تنازع الإنسان ، وكأن الله عز وجل أراد أن يعرفنا بصورة قصصية رمزية فلسفة الخلق وفحوى الوجود التي سوف يأتي في المرحلة التاليه .

وفك رموز هذه القصة بداية الإنطلاقة السليمة لحياة الإنسان ، حتى لايهبط ﴿ **اهبطوا** ﴾ إلى دون مستوى إنسانيته وآدميته .

فلم يذكر الباري لنا هذه القصة لكي نختلف في مسمى الشجرة ، هل هى تفاح أو زيتون أو رمان ، أو السؤال عن آدم وضخامة جسده ، وطول عمره ، أو عن الشيطان وصورته التي تجسد بها حين أغوى آدم للأكل من الشجرة ..

المهم في القصة هي الحقيقة التي انتشلت آدم ، وكانت سبباً في قبول توبته وإنابته واجتبائه من قبل الله عز وجل .

ونقصد بالحقيقة هي (**الكلمات التامات**) التي غيرت معادلة السقوط التي أوشك أن يقع بها نبينا آدم (ع) .

فالذكر .. (الكلمات) هو جوهر الحدث ، وطلسم القصة والحكاية ، ولذلك يخاطب الله عز وجل بعد ذلك الإنسان ﴿ **فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى** ﴾ ، فمن اعتصم با لله ذكراً وعملاً ، فلا يقربه الشقاء أو يقع في الضلال ، وعلى هذه البصيرة والحكمة أمر الله نبيه آدم بالنزول إلى الأرض ليس للعقاب ، وإنما للاختبار .

وتأتي الآية الكريمة التالية لتلخص ما ذكرناه ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ، قال كذلك أتتك أياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** ﴾ .

ولو ربطنا بداية السيناريو بنهايته في ما يتعلق بالنسيان والغفلة ، ففي البداية - في مرحلة ما قبل النزول - يقول تعالى ﴿ **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما** ﴾ وفي النهاية يقول ﴿ .. **كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** ﴾ فالنسيان والغفلة عن الذكر كما تسببا في معصية آدم ، فهما كذلك سبب سقوط الإنسان ، وكما أن الشيطان كان سبباً في نسيان آدم للعهد ، فهو كذلك يبذل قصارى جهده للنيل من الإنسان بنفس الطريقة ..﴿ **وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره** ﴾(٤) .. ﴿ **فأنساه الشيطان ذكر ربه** ﴾(٥) .

وبعد أن قص الله عزوجل أحداث ووقائع هذه القصة على حبيبه محمد (ص) وبين له مغزاها وآثارها ، أشار إليه بتحفة نادرة ، تختص بفضيلة الذكر وإختيار الأوقات المناسبة له ، ليبرمج له عملياً مفهوم الذكر الذي أشارت إليه قصة آدم (ع) ، ﴿ **وأصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى** ﴾ .

درس القصة ..

دارت أحداث قصة نبينا آدم ضمن أبعاد ثلاث (الكلمات التامات أو العهد ـــ التفاحة أو الشيطان ـ ممثل البشرية آدم) ، وهذه الأبعاد إنتقلت من حالة (الرمزية) إلى الحالة الواقعية والطبيعية بعد خروج آدم من الجنة ، وأصبح الإنسان هو محور هذه الأبعاد .

فالقصة إذن رسالة تعرّف الإنسان بمعراج العظمة وكيفية الوصول إليها .. وتقيه من منحدر الرذيلة وكيفية إجتنابها . فإذا أيقن الإنسان بربه ، وذكره مخلصاً وجبت له الجنة

وإن نسي وغفل فقد ضل الطريق ﴿ **وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى** ﴾ .

فعند قراءتنا لقصة آدم (ع) يجب التفريق بين مرحلتي الخلق (الرمزية والواقعية) ، وألا نفسر الحياة أنها تبعية لمعصية آدم ، فالخلق والحياة لابد أن يكونا ، سواء أكل آدم من الشجرة أو لم يأكل ، لأن الله أراد للخلق أن يكون ، وللحياة أن تدب في مملكته ، ليعرفنا نفسه ويغدق علينا بآلائه وأنعامه .

كليم الله .. والذكر

ونعرج قليلاً على نبي آخر من أنبياء الله وهو نبي الله موسى (ع) الذي يحدد أهداف رسالته ويفتتح دستور دعوته ويلخصها على لسانه في كتاب الله ﴿ **قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأحلل عقدة من لساني يفقهو قولي ، وأجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري** .. ﴾(٧) إلى هنا يطلب موسى (ع) من ربه استكمال عدة الداعي وشروط الدعوة السليمة (إنشراح وسعة الصدر ــ التوكل على الله ــ المنطق في أسلوب الدعوة ــ الدعم والمشورة والمساندة لشد عضده في المسيرة) وبعد ذلك يحدد الهدف من ذلك كله ﴿ **كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً** ﴾(٨) ، فكان موضوع الدعوة هو .. الذكر .

قد لا تتطابق صلاتنا مع صلاة نبي الله موسى (ع) ، وقد لا يتفق صومنا مع صومه وقد لا تتشابه مسائلنا الشرعية مع مسائلهم آنذاك .. ولكننا نتوحد معهم في الذكر والتسبيح والتهليل لانها كلاً لا يتجزأ و نوراً لايتحلل وسراجاً لا ينطفىء .

ويؤكد الباري جل ذكره في آية أخرى عندما خاطب موسى في الواد المقدس ﴿ **إنني أنا الله لا إله الا أنا فأعبدني وأقم الصلاة لذكري** .. ﴾(٩) ، فكان التوحيد والذكر أول موضوع تم التطرق اليه مع نبي الله موسى (ع) .

فالذكر الذي جرى على لسان آدم (ع) هو نفسه الذى جرى على لسان ابنه هابيل ، وهو نفسه الذي جرى على لسان نوح (ع) ، وادريس (ع) ، ويونس (ع) ، وابراهيم (ع) ، ويوشع بن متى (ع) ، وموسى (ع) ، وعيسى (ع) وهو نفسه الذي جاء به خاتم الأنبياء والرسل محمد بن عبدا لله (عليه أفضل الصلاة وأزكي السلام) .

وتدلل الآية الشريفة في ثبات الذكر في الرسالات الماضية في سورة الأنبياء ﴿ **ولقد كتبا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون** ﴾(١٠) ، فالذكر كان قبل الزبور وقبل التوراة وقبل الإنجيل لأنه السبب الذي قامت عليه الحياة ، وهو وسيلة المعرفة بالخالق تبارك وتعالى ، لذلك أوحى ا لله عز وجل لأنبيائه ضمن التعاليم والتوجيهات الربانية التمسك بالذكر وأكده على خلقه ....

فأوحى ا لله إلى داود (ع) : (**اذكرني في أيام سرائك ، حتى أستجب لك في أيام ضرائك**)(١١) .

وأوحي ا لله إلى موسى (ع) : (.. **وأكثر ذكري بالليل والنهار تنعم ، ولاتتبع الخطايا فتندم**)(١٢) .

وأوحى ا لله إلى عيسى (ع) : (**ياعيسى .. أحي ذكري على لسانك ، وليكن ودي في قلبك**)(١٣) .

وأوحى ا لله إلى الحبيب المصطفى (ص) : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون** ﴾(١٤)

وكان الرسول (ص) يحاجج النصارى واليهود بالذكر لانه العامل المشترك في رسالاتهم ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾(١٥) ،

فيقول لهم : ألم يقل عيسى من قبلي (**لا اله الا ا الله**) ، ألم يقل موسى من قبلي (**لا حول ولا قوة الا با الله العلي العظيم**) . ألم تقرأوا التوراة التي أنزلت على موسى (ع) حين سأل ربه فقال : (**يارب أقريب مني فاناجيك أم بعيد فاناديك ، فأوحى ا الله إليه ياموسى : أنا جليس من ذكرني ..**)(١٦) .

ألم تقرأوا في كتبكم حديث آدم عندما شكى إلى ربه حديث النفس فقال : (**أكثر من قول لا حول ولاقوة الا با الله**)(١٧)

ألم يأتي في كتبكم أن نوح لما ركب السفينة ، أوحى ا الله عز وجل إليه : (**إن خفت الغرق فهللني ألفاً ثم سلني النجاة أنجك من الغرق ومن آمن معك**)(١٨) .

الرسالية ..مفارقة الذكر والعمل :

ومن مسيرة التوحيد والذكر في رسالات الأنبياء ، نتوقف قليلاً لنطرق باباً شائكاً ينتابه الغموض وتحيطه الشكوك ، وهو باب المفارقة بين العمل والذكر .

ففي موضوع التوجه الروحي والعرفاني عامة ، وموضوع الذكر خاصة تثار عدة إشكاليات في الأوساط الاسلامية أهما :

أولا : إدعاء البعض أن الروحانيات والذكر بديل عن العمل وبذل الجهد ومخالطة الناس وأداء المسئوليات ، أو حتى السعي لكسب المعاش ومسايرة الحياة بشتى صورها .

ثانياً : إدعاء البعض أن الذكر ممارسة جزئية وعمل رجعي ، يقتل الوقت الذي يمكن إستغلاله في أمور أكثر نفعاً وفائدة على المجتمع ، مما يسبب حالة من الإنعزال والشرنقة الذاتية .

وباختصار شديد نرد على هذه الإشكاليات :

أولاً : بالنسبة للاشكال الأول .. فمن يتخذ الذكر أداة يشرنق بها نفسه ويجعله بديلاً عن العمل ، مثله كمثل الذي يتهاون عن أداء الصلاة إمتثالاً للأية الكريمة ﴿ **لا تقربوا الصلاة** ﴾(١٩) دون النظر إلى حصيلة العمل الكلية ، أو كمن يؤجل صلاته

لحين إقامة دولـة الحـق وذلـك إمتثـالاً للآيـة الكريمـة ﴿ **الذيـن إن مكنـاهم في الأرض أقـاموا الصـلاة** ﴾(٢٠) .

فالذكر يرتبط بالعمل والكد والمشقة ، ولا يعني الركون في زوايا المسجد أو العكوف في المنزل وممارسة الذكر ، دون أن يكون له أثراً في مجتمعه ومحيطه وأسرته أو حتى نفسه .

فالذكر ليس أداة للتقاعس واللامسئولية ، بل هـو سـلوك كمـالي للانسـان يتّـوج بـه أعماله ويصفيها من الكدورات ، وينقيها من الرواسب . فـالذاكر العـامل أحـب إلى ا لله وأقرب إلى رحمته ولطفه من الذاكر القاعد ﴿ **وفضل ا لله المجاهـدين على القاعدين أجراً عظيما** ﴾(٢١) وأي جهاد هـو أكـبر وأمضـى مـن جهـاد الذكـر ، كمـا جـاء في حديـث الرسول (ص) : (لولا ذكر ا لله لم يأمر بالجهاد) .

كما أن نتائج الذكر والإستقامة تتجلى في سلوك الإنسان بعد أن تتشرب روحه ونفسـه وتفيض من جميع مداركه وأحاسيسه .. وبذلك يكون عنصراً فاعلاً في محيطـه ومؤثـراً فيـه فمدارات الناس نصف الإيمان كما جاء في الحديث الشريف .

ولنا في رسـول ا لله والأئمـة عليهـم السـلام أسـوة حسـنة ، فهـم أكـثر الخلائـق ذكـراً وتوجهاً لله عز وجل ، نراهم في الوقت نفسه يعملون لكسب قوتهم وإعالة أسرهم ، كما كانوا جنوداً يذبون عن بيضة الأسلام ، وكانوا دعاة يدعون للحق وبه يبشرون .

ولرد هذه الإشكالية ، لابد من الوقوف على حقيقة الخلق والوجود ، والفلسفة منها ، حيث يقول ا لله تبارك وتعالى ﴿ **وما خلقت الجن والإنـس إلا ليعبـدون** ﴾(٢٢) والعبـادة هنا تشمل الشعائر.والممارسات الدينية التي تم تلقيها من الوحي ، وقام الدين بتأويلهـا إلى شعائر وطقوس عبادية ، وبهذه الأمور تقوم الحياة وتتحقق العلة مـن وجـود الانسـان ، لذا جاء في علل الشرائع عن جميل بن دارج عن أبي عبدا لله (ع) قال : (سألته عن قـول ا لله عز وجل (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ، قال : خلقهـم للعبـادة ، قلـت : خاصة أم عامه قال: لا بل عامه) .

وحالة الإنعزال المطلق والإبتعاد عن المجتمع بدعوة الذكر ، لاتخدم فكرة العبودية بايقاعها الشامل وتناغمها الكلي . ودعونا نبحر في رحاب هذا الحديث القدسي لنتدبر في مفرداته الربانيية ، حيث يقول الحق تبارك وتعالى : (**يأبن آدم ، تريد وأريد ، ولايكون إلا ما أريد ، فمن قصدني وجدني ومن وجدني خدمني ، ومن خدمني ذكرني ، ومن ذكرني ذكرته برحمتي**)(٢٣) .

يبين الحديث القدسي مفهوم الخدمة ، خدمة الله ، وهي بمعناها العام أن يبذل الإنسان من وقته ونفسه وماله في خدمة رسالته ودعوته ، فالسعي في بيان طريق الحق وهداية الناس إليه خدمة ، والتبرع لكفالة يتيم خدمه ، وقضاء حاجة أخ لك في الدين خدمه ، والسعي في زواج العازب خدمه ، وتوجيه الضال إلى طريق الخير والهداية خدمة .. وهذه الخدمات بحد ذاتها حسب ما جاء في الحديث (ومن خدمني ذكرني) ذكراً عملياً يؤطر بالذكر اللفظي الذي تشير إليه أحاديث الذكر .

فالذكر يشمل العمل بجميع صوره وأشكاله ، ولهذا نجد أمير المؤمنين (ع) يؤخر صلاته ، والتي هي أداة الذكر ، ﴿ **وأقم الصلاة لذكري** ﴾ ، يؤخرها ليقضي حاجة امرأة كانت تشتكي من الوالي ، حتى سلمها كتاب عزله بيدها ثم كبر تكبيرة الإحرام وبدأ الصلاة .

وفي حديث قدسي آخر ، يقول الله عز وجل (**يأبن آدم .. أقبل إليّ وتفرغ لذكري أذكرك عند ملائكتي ، يأبن آدم اذكرني تذللاً أذكرك تفضلاً ، اذكرني بمجاهدة أذكرك بمشاهدة ، اذكرني في الأرض أذكرك تحت الأرض ، اذكرني في النعمة والصحة أذكرك في الشدة والوحدة ، اذكرني بالطاعة أذكرك بالمغفرة ، اذكرني في الصحة والفناء ، أذكرك في الفقر والغناء ، أذكرني بالصدق والصفاء أذكرك بالملأ الأعلى ، أذكرني بالإحسان إلى الفقراء أذكرك بالجنة المأوى ، أذكرني بالعبودية أذكرك بالربوبية ، أذكرني بالتضرع أذكرك بالتكرم ، أذكرني بالتلفظ أذكرك**

بالتلطف ، أذكرني بترك الدنيا أذكرك بنعيم البقاء ، أذكرني في الشدة الهالكة أذكرك بالنجاة الكاملة)(٢٤) .

نرى اشتمال الحديث على عدة سلوكيات كالإحسان إلى الفقراء والتلطف مع الناس والمجاهدة .. الخ وكلها أعمال تأتي من واقع وجود الإنسان في المجتمع واحتكاكه بهم ، مما يجعل مفهوم الذكر مرتبطاً ارتباطاً كلياً مع مفهوم العبودية ، والذي يشير إلى السلوك الإيماني بصوره الثلاث القلبية واللفظية والجوارحيه ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾(٢٥) .

وإذا كان التهليل والتكبير والتقديس والتسبيح من الأذكار اللفظية فإن الصدقة للفقراء ، وقضاء حاجة المؤمن من الأذكار الجوارحية ، كما أن حالة التعلق والتوجه القلبي للخالق عز وجل هي من الأذكار القلبية ، كما جاء عن بعض الصادقين عليهم السلام : (**ذكر اللسان الحمد والثناء ، وذكر النفس الجهد والعناء ، وذكر الروح الخوف والرجاء ، وذكر القلب الصدق والوفاء ، وذكر العقل التعظيم والحياء ، وذكر المعرفة التسليم والرضا ، وذكر السر الرؤية واللقاء**) فالذكر إذا يشمل كل عضو وجارحة من جوارح الإنسان .

وإذا كنا قد ركزنا البحث في هذا الكتاب على الذكر اللفظي لأهميته الكبيرة التي جاءت في القرآن والأحاديث (تفرغ لذكري أذكرك عند ملائكتي) ، فذلك لحاجتنا إليه ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين ، وإقتراب الأجل الذي لا مفر منه ، وتدني الحالة الإيمانية في نفوس السواد الأعظم ، وتشعب الطرق التي نفث في روعها الشيطان .

كما أنه وسيلة للذكر القلبي والعملي (الجوارحي) وبدونه تنتفي صفة الذكر للانسان فمن يعطي الفقراء دون الذكر لايسمى ذاكراً ، وإنما يسمى متصدقاً ومن يسعى لقضاء حاجة أخيه لايسمى ذاكراً بل يسمى محسناً ، ومن يمارس العبادة دون الذكر لايسمى ذاكراً وإنما يسمى عابداً .

لذلك قدم الذكر اللفظي في الحديث الشريف على سائر الأذكار الأخرى ، لأنه يؤطر أفعال الإنسان ويكشف الحجب لعروج العمل ورقيه ﴿ **والعمل الصالح يرفعه** ﴾(٢٥) .

ونخلص في تفنيد المزاعم القائله بأن منهج الذكر يعتبر بديلاً عن العمل وعن المجاهدة ، فهو على رأس قائمة الأعمال والعبادات ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ إلا أنه بحاجة إلى ساحة عمل نختبر فيها ما توصلنا إليه من نتائج في هذا المنهج .

ثانياً : أما الأشكال الآخر في المنهج الروحي والذكر ، فهو إدعاء البعض أن الذكر دعوة للرهبنة والإنعزال والإنطواء ، مما يبعده عن ممارسة مسئولياته في هداية الناس والدعوة للأصلاح ، ذلك أن العمل يتطلب جهداً في الإعداد والتحضير ومعاشرة الناس والأحتكاك بهم ، وبالتالي تفرغاً كاملاً من الأنسان لأداء هذا الدور .

ثم يخلص هؤلاء بنتيجة تحتم على الإنسان أو الفرد ، إما أن يكون عاملاً أو روحانيا ذاكراً ، وهذه الرؤية من أخطر الأفكار وأشدها فتكاً للجماعات العاملة ، لانها تقتل فيهم روح الإيمان وتجردهم من صبغتهم الروحية ، وتحولهم إلى أدوات مجردة يعملون ضمن قنوات في حلقات مفرغة ، بعيدين كل البعد عن النفحات الايمانية والتوجهات الروحانية .

فمتى كان السلوك الروحي للانسان متعارضاً مع العمل ، ومتى كان العمل في سبيل الله يدعو الفرد للأهتمام بكل شيء (سياسة ــ ثقافة ــ إعلام ــ اجتماع ..) إلا نفسه وروحه التي بين جنبيه يغفلها وينأ عنها .

هذه الرؤية جاءت على حين فترة من الرسل ، لعب فيها الفهم الخاطىء لمنهج الدعوة وأسلوب الهداية ، والتخبط العملي في الوصول إلى الأهداف المرجوة بعداً كبيراً في تأكيدها وتزريقها لدى العاملين ، مما جعل تفكير الجماعات ينصب على ما يقدمه الفرد من انسجام وعطاء دون الإهتمام والألتفات إلى بنائه الداخلي والروحي . فخلفت هذه الرؤية حالة من التذبذب والشك في مصداقية وأهداف هذه الجماعات .

فكم جماعة تفككت وتصدعت ، وكم جماعة تلاشت وأندثرت ، لا لشيء إلا لأنها نظرت للبعيد وتجاهلت القريب ، أمعنت النظر في الأهداف لاهيةً وراء تحقيقها متجاوزة حدود الذات القريبة منها ، وكما جاء في الحديث الشريف (مثل الصلاة بلا زكاة المال كمثل الجسد بلا روح ، ومثل العمل بلا توبه كمثل البنيان بلا أساس)(٢٦) والتوجه الروحي للأنسان هو الأساس الذي يقوم عليه كل بناء ، وهو حلقة الوصل التي تربط الكيان وتؤطر أعماله .

فالروح وحدها وسيلة الترابط والحب ، والإيمان وحده أداة التقارب والود .. وكل ما دون ذلك سراب بقيعة يحسبه الضمآن ، ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

فالإيمان .. والتوجه الروحي .. والتعلق با لله هو الأصل في الإنسان ، ومنه ينطلق العمل وتشيد معالمه وتصاغ مناهجه وجزئياته .

لا أن ينكفأ الأنسان على العمل وينسى نفسه ، ويتجرد عن إيمانه بدعوى انشغاله في العمل ، فيكون كمن يحمل كنزاً ويعيش فقراً .

ويرى البعض أن التفرغ للعبادة وذكر ا لله من الأمور الأختيارية ، والتي نادراً ما يفكر بها ، فيقضي ساعات طويلة في المجالس أو الكتابة والقراءة وتصفح المجلات والجرائد ، دون أن يخصص لنفسه ساعة أو جزء من الساعة يذكر فيها ربه ويشكره على نعمه ويستغفره من ذنبه ويكبره بآلائه .. فذلك من الكماليات إن عملها كان بها وإلا فلا يهم .!!

لمثل هؤلاء يقول ا لله عز وجل : (**يأبن آدم : تفرغ لعبادتي لأملأ قلبك غنى ، ويدك رزقاً وجسمك راحه ، ولا تغفل عن ذكري فأملأ قلبك فقراً وبدنك تعباً وصدرك غماً وهماً وجسمك سقماً ودنياك عسرة ..**)(٢٧) .

فشرط صلاح العمل واستقامته ، إرتباطه بالأرضية الإيمانية التي إنبثق منها ﴿ **لن ينال ا لله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ..** ﴾(٢٨) .

والخوف .. كل الخوف .. أن يأتي الإنسان ربه يوم القيامة صفر اليدين ، كان يعمل ويجاهد ، ولكن يداه خاليتان من الزاد الذي يستعين به في رحلته الأخروية

﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً** ﴾(٢٩) فيرى عمله عظيماً وكأنه يطاول السماء علواً وارتفاعاً ، ولكنه يوم القيامة يتحول إلى (هباءاً منثوراً) ، ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثورا** ﴾(٣٠) .

فالعمل وإن كان صغيراً ، إن ارتبط بالتقوى والتوجه القلبي للأنسان ، وشعر بلذيذ المناجاة عندما يخلو بنفسه مع الله .. يكون هذا العمل عظيماً وثابتاً في سجله ، ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة** ﴾(٣١) والقول الثابت هو ذكر الله الذي يستحيل شطبه أو مسحه أو استبداله .

وأعجب كل العجب من الدعاة الذين يتهاونون بالروحانيات والعرفانيات ، وتوجه الإنسان قلباً وقالباً إلى سواحل الإيمان وشواطىء التقوى .. على حساب الأعمال الأخرى مع التأكيد الصريح من الرسول (ص) والأئمة (ع) على هذا الجانب ، فعن عمرو بن جميع عن أبي عبدالله (ع) قال : قال رسول الله (ص) : (**أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها ، وأجلها بقلبه وباشرها بجسده ، وتفرغ لها ، فهو لايبالي على ما أصبح من الدنيا ، على عسر أن على يسر**)(٣٢) .

وعنه كذلك (ع) قال : (**شيعتنا الشاحبون الذابلون الناحلون ، الذين اذا جنهم الليل استقبلوه بالحزن**)(٣٣) .

وعن أبي أبي يعفور ، عن أبي عبدالله (ع) قال : (**إن شيعة علي عليه السلام خمص البطون ، ذبل الشفاه ، أهل رأفة وعلم وحلم ، يعرفون بالرهبانية ، فأعينوا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد**)(٣٤) .

وعن الحسن بن الطوسي (في الأمالي) قال : روي أن أمير المؤمنين (ع) خرج ذات ليلة من المسجد ــ وكانت ليلة قمراء ــ فلحقه جماعة يقفون أثره فوقف عليهم ، ثم قال : من أنتم ؟ قالوا : شيعتك يا أمير المؤمنين ، فتفرس في وجوههم ، ثم قال : مالي لا أرى عليكم سيماء الشيعة ؟ قالوا : وما سيماء الشيعة يا أمير المؤمنين ، **قال** : (**صفر الوجوه**

من السهر ، عمش العيون من البكاء ، حدب الظهور من القيام ، خمص البطون من الصيام ، ذبل الشفاة من الدعاء ، عليهم غبرة الخاشعين) .

وجاء في الحديث القدسي : (**يأبن آدم : ما خلقتكم لتجمعوا الدنيا بعضكم لبعض ، بل خلقتكم لتعبدوني عبادة الأذلاء طويلاً ، وتشكروني جزيلاً وتسبحوني بكرة وأصيلاً ، فإن الرزق مقسوم ، والحريص محروم ، والبخيل مذموم ، والحاسد مغموم والناقد حي قيوم**)(٣٥) .

ومئات الأحاديث التي تدعو الإنسان لتقوية روحه ، وتغرس فيه وشائج القرب الإلهي وتدعوه ليرتفع إلى عالم المثل الكلية والنفحات القدسية .

فالدعوة القائلة برهبانية التوجه الروحي للإنسان ، إنما هي دعوة لتفريغ الإنسان من محتواه الفطري والإيماني ، فقد يقول قائل إن ممارسة العمل في سبيل الله تغنينا عن التلفظ بالتسبيح والتكبير والتهليل والإستغفار ، فعملنا يشفع لنا كونه من الأذكار الجوارحية — كما ذكرنا آنفا — فلو لم نكن ذاكرين الله ما كنا نبذل هذه الجهود في سبيل إعلاء كلمته ، وهداية الناس .. !!

وفي هذا الكلام إشارة صريحة إلى تجاهل أهمية الذكر اللفظي في مقابل العمل ، ولبيان أهميته نوضح اللآتي :

اللسان أداة الذكر والتذكر :

في غمرة الإنشغال العملي الذي يواجه العاملين ، وفي زحمة التدافع الاجتماعي والدنيوي ، يسهو القلب وتقسو الأحاسيس وتجمد الجوارح عن التوجه الروحي ، لذلك كان اللسان هو أداة التذكر الدائمة للإنسان با لله عز وجل . فكيف ينسى الإنسان ربه ولسانه يلهج بذكره ، في حين يعمل الإنسان عملاً ولسانه جامداً عن الذكر ، فيصاب بالغفلة ، كما جاء في الحديث المروي عن أمير المؤمنين (ع) :

(**أفيضوا في ذكر ا لله جل ذكره ، فإنه أحسن الذكر وهو أمان من النفاق ، وبراءة من النار ، وتذكير لصاحبه عند كل خير يقسمه ا لله جل ذكره وله دوي تحت العرش**)(٣٦) .

فحالة الذكر الدائمة للانسان تنبه القلب والجوارح للتعلق الدائم با لله عز وجل ، لأن اللسان موصل مباشر للقلب ، كما الجوارح ، لذلك خص الإسلام مواطن السهو وأماكن اللهو بالذكر (كالأسواق ـ المجالس البطاله ـ وأماكن الاختلاط) فقد جاء في الحديث عن الرسول (ص) : (**أحب الأعمال إلى ا لله سبحة الحديث ، قيل وما سبحة الحديث ، قال : يكون القوم يحدثون والرجل يسبح**)(٣٧) .

وعنه كذلك : قال : (**لاتزال مصلياً قانتاً ما ذكرت ا لله قائماً وقاعداً أو في سوقك أو في ناديك أو حيثما كنت**)(٣٨) .

وجاء في الآداب والسنن ، عن عمرو بن جميع عن أبي عبدا لله (ع) قال : كان المسيح (ع) **يقول** : (**لا تكثروا الكلام في غير ذكر ا لله ، فإن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر ا لله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون**)(٣٩) .

فالإنسان قد يكون عاملاً واعياً مثقفاً ، ولكنه لم يفكر في يوم من الأيام أن (يمارس) الذكر بلسانه ، والنتيجة الحتمية هي قساوة القلب وتحجر المشاعر (ولكن لا يعلمون) .

اللسان يخلق ملكة الذكر :

تتحول الأعمال بالممارسه والتكرار إلى ملكات في الإنسان ، والملكة هي الحالة التي لا تستوجب تكلف الإنسان في عملها ، أو تستلزم منه عناءاً أو جهداً . فالذاكر يجد نفسه بعد فترة من ممارسة الذكر ، يذكر دون إرادته ، فيلهج لسانه بذكر ا لله ، ويشعر بحالة من الإندماج الكلي تفوق ما عداه من الأعمال الأخرى .

ففي وصية الرسول الأعظم (ص) لأبي ذر الغفاري رضوان ا لله عليه : (**ياأبا ذر : الصلاة عماد الدين ، واللسان أكبر ، والصدقة تمحو الخطيئة واللسان أكبر ،**

والصوم جنة من النار واللسان أكبر ، والجهاد ...... واللسان أكبر)(٤٠) وهذا الحديث إشارة إلى الآية الكريمة (ولذكر الله أكبر)

فاذا تحول ذكر الله إلى ملكة وصبغة في الإنسان يكون أعظم من جميع الأعمال بنص الحديث الشريف ، لأن نتيجة هذه الأعمال إنما تكون بالأصل لذكر الله عز وجل ، ولذلك كان الذكر شيمة المتقين ، وعلامة الموحدين كما جاء في الحديث الشريف عن علي (ع) : (**الذكر شيمة المتقين**)(٤١) .

فاللسان أداة لتوجيه القلب بذكر الله ، وقد يعجب البعض من تفسير الحديث المروي عن الرسول (ص) : (**أرفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ لأنها تذهب النفاق**)(٤٢) ، فكيف يكون ذكر الرسول (ص) على اللسان تطيراً للقلب من النفاق ، إن ذلك تجسيداً لأهمية الذكر اللفظي لبواطن النفوس .

ولذكر الله أكبر .. من الأعمال :

تؤكد إشارات القرآن ، وتوجيهات الأحاديث النبوية الشريفة على أهمية الذكر كأعلى مرتبة يرقى إليها العبد - راجع فضيلة الذكر - وتؤكد مجمل الأحاديث على الذكر اللفظي ، كالحديث المروي عن الرسول (ص) : (ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من الدينار والدرهم ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلونهم ويقتلونكم ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : **ذكر الله كثيراً**) (٤٣).

أو الحديث المروي عن النبي (ص) عندما جاءه رجل يسأله ، قال : أحب أن أكون أخص الناس إلى الله تعالى ، قال (ص) : (**أكثر ذكر الله تكن أخص العباد الى الله تعالى**)(٤٤) .

وقيل له (ص) : من أكرم الخلق على الله ؟ قال : (**أكثرهم ذكراً لله ، وأعملهم بطاعته**)(٤٥) .

مما يدل ، وبما لا يدع مجالاً للشك أن الذكر المقصود هو الذكر اللفظي (من تقديس وتهليل وتنزيه .. الخ) ، وإلا لما قرن الرسول (ص) مسألة الذكر (اللفظي) بالطاعة (العملي) .

كما أكدنا أن الطقوس الإسلامية كالصلاة والصيام والحج .. وغيرها إنما شرعها الخالق لالشيء ، سوى لانها أدوات للذكر

﴿ **وأقم الصلاة لذكري** ... ﴾(٤٦) .

﴿ **فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا ا لله ذكراً كثيراً** ... ﴾(٤٧) .

وقد جمع ا لله عز وجل درجات ومنازل السلوك إلى ا لله في الآية الكريمة ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين ا لله كثيراً والذاكرات .. أعد ا لله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾(٤٨) ولو كان الذكر عملياً لما فصّل الباري في مراتب الإيمان وتجسيدها في الجوارح .

عظيم الذكر يأتي من عظيم الكلمات :

يتهاون البعض عن الذكر لغفلته وجهله وسوء تقديره ، على عظيم أثر هذه الأذكار وعلى ما أشتملت عليه من أسماء وصفات .

فيستشكل البعض ويقول ، أنا أقول (لا إله إلا ا لله) أو (سبحان ا لله) أو (حسبي ا لله) أو غيرها من الأذكار .. فماذا حدث ولماذا يثاب عليها الإنسان كأضعاف غيرها من العبادات .. وهل تنطبق فكرة الثواب أو (الجزاء) على قدر العمل .

فالذكر ـ عند البعض ـ مجرد كلمات تتشكل من حروف مجردة تصيغها الأوتار الصوتية عند مرور الهواء المار في الحنجرة وانطباق الشفتين . . لا أكثر ، دون معرفة معطياتها الروحية و أبعادها الحياتية .

فا لله عز وجل يقول : (**بأسم من أسمائي قامت السماوات والأرض**)(٤٩) ،كما يوحي لكليمه موسى (ع) : (**لو أن السماوات السبع وعامريهن عندي ، والأرضين السبع عندي في كفه ، ولا إله إلا ا لله في كفه مالت بهن لا إله إلا ا لله**)(٥٠) .

فالذكر إنما توّج على سائر الأعمال ، لعظيم الأسماء والأوراد التي يحويها ويتلفظ بها الذاكر ، فكلمة التوحيد (لا اله الا ا لله) اعتاد الناس عليها ، ونسمعها كل يوم على المنابر ، ولكننا لاندرك أنها كلمة يهتز لها عرش الرحمن ، لانها تبقى معلقة مابين السماء والأرض ، إلى أن يغفر لقائلها ــ كما سوف نذكر ــ وغيرها من الأوراد والأذكار .

وبما أن (المادة لا تفنى ولاتستحدث من العدم) ، فذبذبات الصوت تبقى معلقة ومحيطة بنا لأنها لاتفنى مهما أمتدت بها الأزمنه ، وطال بها العمر ، فالذكر إضافة إلى إختراقة لحجب السماء ووصوله الملكوت الأعلى ، فهو أيضاً يحيط بالذاكرْ ويعطيه مافيه من قوة ، التي تزداد مع يقين الإنسان وتعلقه ﴿ **فأعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾(٥١).

ولو نظرنا بروية إلى تعاليم الأسلام المتبعة بالنسبة للمسلمين الجدد ، حيث يأمرون بالاغتسال ثم الإقرار بالشهادتين ، فتتحول حياتهم رأساً على عقب (تتحول من النجاسة إلى الطهارة) ويتحول (من عدو لك في الدين إلى أخ لك فيه) ، وفي أقل من دقيقة تتحول مسألة شرعية من الحرمة إلى الإستحباب ـ في مسألة سقي الكافر الماء ــ لماذا كل هذا التحول .. لانه فقط قال (لا اله الا ا لله ، محمد رسول ا لله) فهل فكرنا يوما كيف تم التحول الشامل الكلي في حياة هذا الإنسان .. بكلمة .. على الرغم أن قلبه قد لايزال مشوباً بالمعاصي ونفسه لاتزال تحن إلى المنكر .. فكل هذه المسببات لا يعتد فيها لانه شهد الشهادتين ، فحولته (كلمة) من النجاسة إلى الطهارة .. فأنظر إلى عظيم هذه الكلمات وقوتها في إحداث التغيير في المعادلات الروحية والطبيعية .

أما سأل الإنسان نفسه يوماً .. لماذا تطهر الذبيحة بالتسمية والتكبير ، وتتحول بكلمة من النجاسة إلى الطهارة ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر أسم ا الله عليه وإنه لفسق** ﴾(٥٢) ﴿ **ومالكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم ا الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم** ..﴾(٥٣) .

ثم لنسأل أنفسنا .. من نذكر ؟ ومن هو المذكور ؟ .. إنه ا الله ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الذي أوجدنا من العدم ، ومن علينا بالحياة .. أفلا يستحق هذا الإله كل تقدير واحترام .. إلا يستحق كل تنزيه وتقديس .. ألا يستحق كل تهليل وتسبيح .

فقد يعلي الإنسان شأن رئيسه في العمل ويمتدحه ، أو يثني على طبيبه ومعالجه ، أو ينبهر بصورة رسام أبدع خطوطاً جميلة .. ويتهاون عن مديح ملك الملوك ، أو تقديس المصور الحقيقي . فيجب ألا ننخدع بجمال الصورة عن اعترافنا بالمصور والمبدع الحقيقي الذي خلق يد الرسام ، وأبدع صنعه .

الذكر .. والنص القرآني ..

تناول القرآن الكريم مفهوم الذكر بأبعاده الثلاث (العملية والنظرية والمادية) . ونقصد بالنظرية تأكيد أهميته وبيان فضيلته وإقرار شأنه ، أما المادية فقد تناول ، (مادة الذكر) أي الأذكار والأوراد والأسماء ، وأما البعد العملي فهي الوقائع والأحداث من حياة الأنبياء عليهم السلام ، استخدموا فيها الذكر اللفظي كتطبيق عملي ، بعدما أوحى ا لله إليهم به فكان اصطفائهم ، ونجاتهم وسعادتهم . وبما أننا تناولنا الناحية النظرية للذكر في الفصل الأول والثاني من هذا الكتاب ، وسوف نتطرق بإذن ا لله لمادة الذكر في الفصل الخامس والسادس ، بقي علينا أن نسلط الضوء ولو بشيء من الإيجاز للأحداث التي تناولها القرآن في موضوع الذكر .

ونستشهد بستة أحداث ، طالما قرأناها وسمعناها .. ولكننا مع الأسف ما وعيناها و لم نتدبر مغزاها ، وهذه الأحداث مرتبطة بأنبياء ا لله (إبراهيم ويونس وأيوب ويوسف وزكريا وسليمان) عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . والأحداث هي نجاة إبراهيم من نار نمرود ، وخروج يونس من بطن الحوت ، وبلية أيوب في مرضه ، ومشكلة يوسف وهو في الجب ، وعقم زكريا مع رغبته في الانجاب ، ورغبة سليمان في الملك .

فكيف تحولت نار نمرود إلى برد وسلام على إبراهيم ...

وما الذي أخرج يونس (ع) من بطن الحوت ..

وما الذي أخرج يوسف (ع) من الجب ...

وما الذي شفى أيوب (ع) من مرضه ...

وما الذي وهب لزكريا (ع) يحيى (ع) بعد طول العمر .

وما الذي أعطى سليمان (ع) هذا الملك العظيم ....

لقد استجاب الله لهؤلاء الأنبياء وغيرهم ، في كشف بلائهم ونيل أمانيهم وتحقيق رغباتهم لأنهم ذكروا الله ونعتوه بأحب الصفات والأسماء . فيونس بن متى (ع) الذي دعا على قومه ، ﴿ **فالتقمه الحوت وهو مليم** ﴾(٥٤) ظل حبيس الحوت فترة طويلة من الزمن ، وسأل الله النجاة والخلاص من هذه المحنه ﴿ **وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات** .. ﴾(٥٥) فلم يتلقي الإجابه ، فألهمه الله ذكراً ﴿ **لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** ﴾ ، فبدأ يناجي ربه ويذكره خاشع القلب دامع العين ، حتى أتته الأغاثة إيذاناً بالنجاة ﴿ **فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجي المؤمنين** ﴾(٥٦) ، وهذا تأكيد أن الخلاص والنجاة من السجن العائم (الحوت) لم يأتي إلا بالتسبيح والذكر وبفضل (لا اله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) ولولاها لبقي يونس (ع) في بطن الحوت إلى يوم القيامه بصريح الأية الكريمة ﴿ **ولولا أن كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون** ﴾(٥٧) .

فلم يشفع له إيمانه وعمله الصالح طيلة فترة دعوته ونبوته ، إنما شفع له ذلك الذكر الذي جعله الله مفتاحاً للنجاة وزوالاً للغم والهم .فيونس (ع) عندما كان في بطن الحوت لم يمارس عملاً إيمانياً ، إنما كان سجيناً بين حيطان أضلع ذلك الحوت منعزلاً عن الطبيعة والعالم ، وكان يؤنس نفسه بالذكر إلى أن نبذه الحوت بالعراء .

ونبينا أيوب .. بقي في حال المرض سنين طويله ، إلى أن تناثرت كلمات الشفاء على شفتيه بإيحاء من الله عز وجل ، وبدأ بذكر الله بهذا الورد ﴿ **أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين** ﴾(٥٨) فكانت الإستجابة من الله عز وجل ﴿ **فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر مسه وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين** ﴾(٥٩) .

وحالة العقم التي مني بها نبينا زكريا (ع) حتى وهن العظم منه ﴿ **قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا** ﴾(٥٩) ، لم تزول إلا بالذكر الذي ألهمه الله إياه ﴿ **وزكريا إذ نادى ربه ، رب لاتذرني فرداً وأنت خير الوارثين** ﴾(٦٠) ولم يستمر طويلاًحتى بشرته الملائكة بيحيى (ع) ، ﴿ **فاستجبنا له ووهبنا له يحيى** ﴾(٦١) .

وسليمان بن داود (ع) النبي الملك ، أعطاه الله من القوة والملك ما صرحت به العديد من الآيات ﴿ **ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين** ﴾(٦٢) .

كل هذه الإمكانيات الأنسية والجنية والطبيعية إنما جاءت بهذا الذكر ﴿ **قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب** ﴾(٦٣) فكانت الإجابه ﴿ **فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص ، وءاخرين مقرنين بالأصفاد ، هذا عطاؤنا فأمنن أو أمسك بغير حساب** ﴾(٦٤)

ويوسف الصديق (ع) كيف تخلص من ذلك البئر المظلم ، عندما تآمر عليه إخوته وعقدوا أمرهم بإلقائه في الجب . تذكر لنا الروايات أن الأمين جبرائيل عليه السلام جاءه في قعر البئر وعرض عليه المساعدة في الخروج ولكنه أبى ، وقال مقولة نبينا إبراهيم (ع) (أما إليك ياجبرائيل فلا ، فعلمه بحالي يغني عن سؤالي) ، فأوحي الله عزوجل إلى جبرائيل أن يعلم يوسف ذكراً (**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والأكرام ، أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تجعل لي من أمري فرجاً ومحرجاً وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب**)(٦٥) فكان الفرج والمخرج أن ﴿ **جاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه . قال يابشرى هذا غلام** ﴾(٦٦) واشتراه عزيز مصر ، وكان الرزق بأن ملكه فرعون مصر على خزائنها وممتلكاتها وأصبح وزيراً للأقتصاد .

أما نبينا إبراهيم الخليل (ع) فتروي لنا الأحاديث ، أنه لما وضع في كفة المنجنيق ، غضب جبرائيل ، فأوحى الله إليه : (ما يغضبك ياجبرائيل ؟ قال : يارب ! خليلك ، ليس من يعبدك على وجه الأرض غيره ، سلطت عليه عدوك وعدوه ؟ فأوحى الله إليه : (أسكت ، إنما يعجل العبد الذي يخاف الفوت مثلك . فأما أنا فإني آخذه إذا شئت) .

فأهبط الله خاتماً فيه ستة أحرف (**لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، لاحول ولا قوة إلا بالله ، فوضت أمري إلى الله ، أسندت ظهري إلى الله ، حسبي الله**) فأوحى الله إليه ، أن تختم بهذا الخاتم أجعل النار عليك برداً وسلاماً .

إن قدرة الله اللامتناهية قادرة على إيقاف قانون إحراق النار من دون هذه الكلمات ، كما أنها قادرة على إخراج يوسف من الجب دون ذلك الورد ، وقادرة على إخراج يونس من بطن الحوت دون ذلك التسبيح ، وقادرة على وهب سليمان لذلك الملك العظيم دون ترديد (الوهاب) .. الخ . ولكن الله أراد أن يكون الذكر هو أداة هذه القدرة والعظمة التي لولاها لما كانت النجاة والتوبة والخلاص والإصطفاء .

فكان لكل نبي من الأنبياء ذكراً أوصله لمراتب الإيمان ومنازل التقوى ﴿ **هذا ذكر ، وإن للمتقين لحسن مآب** ﴾(٦٧) .

حتى نبينا المصطفى صلى الله عليه وآله إخترق حبه قلوب العالمين (حبيب قلوب العالمين) لكثرة ذكره وعظيم تقديسه وتهليله للخالق تبارك وتعالى ، فكان لسانه لايسكن من قول (لا إله إلا الله) ، التي قال فيها أنها خير ما قلته وقالها قبلي الأنبياء .

الذكر من الذاكر

الذكر هبة إلهية ، وتوفيق رباني من الخالق عز وجل ، لا يعرف حقيقته إلا من حطت الرحمة رحالها بقلبه ، وانهالت ومضات العرش على روحه ، وتجلت رشحات الأنوار بنفسه ، فلا ينال هذه المكرمه إلا ذو حظ عظيم .

فلو استعرضنا عشرات الأدلة والبراهين العقلية والنقلية على أهمية الذكر ، ودعمناها بعشرات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، واقتبسنا من سيرة الرسول (ص) والأئمة الأطهار (ع) قصصا وأحداثاً تؤكد أهمية الذكر ، ما كان يغير في سلوك الإنسان وتوجهه نحو الذكر إن لم ينال التوفيق من الله أولاً ، ﴿ **وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله** ﴾(٦٨) ، شأنه شأن أي موضوع روحي يتعلق بالغيب والعقيدة .

والذكر يبدأ من الله أولاً ، فهو المتفضل علينا بذكره (ومن أعظم نعمك علينا جريان ذكرك على ألسنتنا) كما جاء في مناجاة زين العابدين (ع) . وكما يخبرنا أمير المؤمنين (ع) : (**الذكر ليس من مراسم اللسان ولا من مناسم الفكر ولكنه أول من المذكور وثان من الذاكر**)(٦٩) ، فالذاكر نال توفيق الله عز وجل ، وبدون هذا التوفيق يستحيل أن يجد طريق الذكر ، أو يبصر محجته .

وكما روى عن الرسول (ص) : (**إجعل ذكر الله من أجل ذكره لك ، فإنه ذكرك وهو غني عنك ، فذكره لك أجل وأشهد وأتم من ذكرك له وأسبق ، فمن أراد أن يذكر الله تعالى ، فليعلم أنه مالم يذكر الله العبد بالتوفيق لذكره ، لايقدر العبد على ذكره**)(٧٠) .

موانع الذكر :

﴿ فويل للقاسية قلوبهم .. من ذكر الله ﴾(٧١) .

في مقابل التوجه الروحي العرفاني .. والقرب من الخالق عز وجل ، نلحظ أولئك الذين ابتعدوا عن الذكر ، ذوي القلوب الخاوية ، والنفوس الطاغية ، والضمائر التائهة .

غابت عن أعينهم الرحمة الكلية ، والنفحة السرمدية ، والملكة الروحية ، فاهتموا في كل شيء في حياتهم إلا ذكرا لله ، وتحولت حياتهم إلى شغل وكد وتعب لاغاية لها ولا مبرر لعيشها .

وياله من أسلوب فريد ، ذلك الأسلوب القرآني ، وهو يصف هؤلاء الناس الذين عاشوا وعلى أعينهم غشاوة الأرتياب وعلى قلوبهم أواصر الأغلال ، فتحجرت الأفئدة وتجمدت العقول ، واحتدت ألسنتهم لمواجهة الحق ، هؤلاء يصفهم القرآن بالقاسية قلوبهم : ﴿ **فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، أولئك في ضلال مبين** ﴾ .

قساوة القلب

ولا أرى شيئا أكثر قسوة ، وأشد نكراناً ، من الجحود على المنعم والمتفضل المطلق وهو الله عز وجل ، فالقلب الذي احتوته الدنيا ، وتخللته الذنوب ، وتشربت به المعاصي ... بعيد كل البعد عن الإعتراف بالعبودية لله وتنزيهه بالربوبية ﴿ **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا** ﴾ .

فالذكر أداة لترطيب القلوب وشحنها بالقبسات الإلهية ، والنفحات الروحانية التي تعمل على ترقيقه وسموه ولطافته ، أما القلب القاسي فهو كالأرض السبخة التي لاينبت فيها الزرع ، وهو بذلك لا ينفع لنزول اللطافة الروحية أو التنعم بالفيوضات الرحمانية .

إن قساوة القلب تحرم الإنسان من تنعمه بلذيذ ذكر ا لله عز وجل ، كما أن قلة الذكر أو غفلة الإنسان عنه تؤدي بالقلب إلى القسوة والتحجر ، كما جاء في مناجاة الخالق لنبيه موسى (ع) : (.. **فإن نسياني يقسي القلوب** ..) .

فقلوب الذاكرين رقيقة ، ذات شفافية ولطف رحماني ، لأنها تخللت بروحانية الأسماء والصفات العلية لذات ا لله ، وانهالت عليها الفيوضات القدسية كما جاء في سورة الزمر ﴿ **ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر ا لله** ﴾ .

وإذا كان القلب هو أداة المعرفة العرفانية والروحية ، فإن تهيئته لتلقي هذه العلوم والإلهامات أمراً ملحاً ، يبدأ بإزالة كل ما من شأنه قساوته وتحجره .

متعلقات الدنيا

يبين الحق تبارك وتعالى في كتابه الحكيم الأمور التي تشغل الإنسان وتلهيه عن الذكر فيقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر ا لله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** ﴾(٧٢) ، في مقابل ﴿ **رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر ا لله** ﴾(٧٣) .

فالاولاد ، الزوجة ، البيت ، التجارة ، السلطة ، الرفعة ، .. كلها متعلقات دنيوية تفرضها طبيعة الحياة على الإنسان ، تشغل المؤمن عن ممارسة الذكر ، إن لم يتداركها ، ويحددها ببرامج ، ويقننها بأهداف . فالحق سبحانه لم يقل ﴿ فأولئك هم الفاسقون ﴾ أو (فأولئك هم الكافرون) لان المال والبنون هبة وعطية وزرق من ا لله ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ﴾(٧٤) ، ولكن الإهتمام بهم على حساب ذكر ا لله يعتبر خسارة كبيرة بحق نفسه ، لذلك يشير الحق تبارك وتعالى في نهاية الآية ﴿ **والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيراً أملا** ﴾(٧٥) .

فالانسان بعد أن منّ ا لله عليه بهذه الإمكانيات ، ووهبة هذه القدرات ، عليه أن يستخدمها ويسيرها لغاياته المرجوه ، فيستخدم عقله للهداية ، وللدلالة على معرفة الخالق

وتوحيده ، ويستخدم قلبه للإيمـان ولمحبـة الغـير والتـودد إليهـم ، ويهيئـه لأسـتنزال الرحمـة والمغفرة ويستفيد من تجاربه لكسب قوت يومه ، ليتفرغ بعدها إلى مفهوم العبادة الحقيقية

وألا تكون هذه المتعلقات برزخاً تمنعه عن تحقيق غاياته وآمانيه التي جبـل عليهـا ، كمـا يجب ألا تكون هماً يجرفه عن محجته .

واقترنت الدنيا ـ من خلال الأحاديث والآيات ـ بالعديد من المفردات كاللهو .. والغفلة والهم .. والغم .. والفتنة .. وكلها أمور تشغل الإنسـان عـن الذكـر ، فعـن الهـم جـاء في أخبار داود (ع) : (**ما لأوليائي والهم بالدنيـا ، إن الهـم يذهـب حـلاوة مناجـاتي مـن قلوبهم**)(٧٥/١) .

وعن اللهو يقول تبارك وتعالى : ﴿ لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله .. ﴾

وعن الغفلة يقول تبارك وتعالى : ﴿ ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و لم يرد إلا الحيـاة الدنيا ﴾(٧٥/٢) .

وعن الفتنة جاء على لسان الحق وهو يخاطب كليمـه موسـى (ع) : (وأعلـم أن كـل فتنة بدؤها الدنيا)(٧٥/٣) .

فإذا كانت الدنيا تعني (الغفلة والفتنة واللهو والمتاع والخلاف ..الخ) فلماذا يسير قطار العمر منكباً عليها ، ولماذا نجعلها هدفاً بذاتها ، ندور في رحاها . تلسعنا فنعاود الكرة مـن جديد إيذاناً بسقوط آخر .

في حين يقسم رب العزة (**وعزتي وجلالي وعظمتي وجمـالي وبهـائي وعلـوي وارتفـاع مكاني ، لا يؤثر عبد هـواى علـى هـواه ، إلا جعلـت همـه في آخرتـه وغنـاه في قلبـه ، وكفيته همه ، وكففت عنه ضيعته ، وضمنت السماوات والأرض رزقه ، وآتتـه الدنيـا وهي راغمة ، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر**)(٧٥/٤) .

وماذا يمكن أن نجني من دار مآلها إلى الزوال والدمـار ونهايتهـا إلى القـبر والفنـاء . أولهـا جيفـه وآخرهـا جيفـه ومـا بينهمـا غفلـة ، وعنـاد ، ونسـيان ، وقهـر ، واضطهـاد ، وذل وإنكسار .

لقد جمعت كل القدرات والإمكانيات الدنيوية لنبي ا لله سليمان بن داود (ع) كـالملك والسلطة والقوة و التسخير والحكمة والقدرة على تسـخير الطبيعـة ، ولكـن انظـر كيـف يصور لنـا القـرآن الكريـم حالتـه عندمـا ألهتـه هـذه الأمـور عـن ذكـر ا لله ، عندمـا كـان يستعرض جيشه المهول من الجن والإنس وقواته وجيادة الأصيلة . ألهته عن ذكر ا لله وعـن الصلاة ﴿ **فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي ، حتى توارت بالحجـاب ، ردوهـا عليّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق** ﴾ أمر بعدها باحضـار الجيـاد الـتي أعدمهـا ، لأنهـا كانت سبباً لغفلته عن الذكر .

ففي هذا الزحام المتراكم من الإنشغالات ، لابد أن يكون للذكر مكانـاً رائـداً ، وركنـاً ملحوظاً ، وأولوية دائمة ، لأنه يعيد الإنسـان ــ وهـو ضمـن هـذه الإنشـغالات ــ إلى حضيرة القرب الألهي ، فيشعر بوجوده وبمراقبته في كل وقت من أوقات إنشغاله .

لذلك أوحى ا لله تعالى الى موسى (ع) : (**يا موسى لاتفـرح بكـثرة المال ولاتـدع ذكري على كـل حـال فـإن كـثرة المـال تنــسي الذنـوب وإن تـرك ذكـــري يقســي القلوب**)(٧٦) .

الصحبة الشيطانية :

على الرغم من تأكيد الأحاديث على أهمية الصداقة والصحبة ، إلا أن قيمتها الحقيقيـة لا تقدر وتحترم لذاتها ، بل لما تخلفه من نتائج وفوائد ، فمن الصداقـات مـا أدت إلى دمـار وخراب ، ومن الصداقات ما انتهـت بـالإجرام والفسـق والفجـور ، ومـن الصداقـات مـا كانت عاقبتها الانتحار .

فالإسلام لايؤكد على مفهوم الصداقة ، بقدر ما يؤكد على نوعية الصداقـة ومثاليتهـا ، ويؤيد تلك الصداقات التي تقوم على الحب والود والرحمة والايمان .

فالصداقات الإيمانية محببة عند ا لله عزوجل ، لان كمـال الصداقـة أن يذكـرك صديقـك با لله كما جاء في الحديث (**خيـاركم مـن ذكركـم ا لله رؤيتـه وزاد علمـــكم منطقـه ،**

ورغبكم في الآخرة عمله)(٧٨) ، في حين أن عدوك هو الذي يبعدك عن ا لله مجلسه وحديثه ، وهذه الصوره يصورها القرآن الكريم حيث يقول ﴿ **يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني** ﴾(٧٩) ، فالصديق إما أن يسوقك إلى النار أو يدخلك في رحاب الخالق ، فصديق السوء .. يأخذ من وقتك وعمرك وإيمانك ويشغلك عن الذكر بأية وسيلة كانت ، فهو حبل الشيطان ، ومكيدة من مكائده المظمورة .

كما أنه في نفس الوقت وسيلة للذكر ، والعمل الصالح ، كما جاء عن الرسول (ص) (**خياركم من ذكركم با لله رؤيته ، وزاد علمكم منطقه ، ورغبكم في الآخرة عمله**)(٨٠) ، كما جاء عنه (ص) : (**أفضلكم الذين اذا رؤوا ذكر ا لله تعالى لرؤيتهم**)(٨١)

الشيطان .. ومسايرة الشهوات :

ركزت وسائل الأستعمار بدراسة واسعة مستفيضة ، على مجالات اللهو واللعب ووسائل الاستمتاع ، حيث نتلمس هذه الأمور بوضوح في عالمنا الاسلامي ، والتي تهدف بالدرجة الأولى ، الهاء شبابنا واشغالهم عن الذكر ، بإيجاد البديل الذي يتلائم مع هواجس النفس الأمارة بالسوء ، ويملىء حالة الفراغ الروحي الذي عاشه شبابنا لعشرات من السنين مضت .

ولايخفى على المؤمن الحذق ، أن حبائل الشيطان إنما حيكت بأيدي الأستعمار والمستشرقين الذين هدموا بمعاولهم قيماً وأفكاراً ، في صلب عقيدتنا وشريعتنا السمحة ، فالشيطان لا يغزو الإنسان إلا من أماكن ضعفه واستكانته ، كما أنه يفكر تفكيراً استراتيجياً في عملية الاغواء ، فلايركز اهتمامه بالأفراد العاديين والسذج من الناس ، إنما يخص القائمين بالنصيب الأكبر لأنهم أداته التي يستطيع من خلالها إيقاع العديد من الناس في شباكة جملة واحدة ، فيأتي عن طريق الأنفتاح والتطلع للغرب والتشبه بهم على

حساب القيم والمبادىء ، يأتي عن طريق حب التملك والسلطة وتكثيف إيحاءاتـه بـالخلود والرفعة لأصحاب الجاه والمال ، مما يتسبب في هلاك الناس وتفشي المجاعات والأمراض .

والشيطان ذلك العدو القاهر للأنسان ، كان منذ الخليقة نداً لبني البشر ﴿ **لأقعدن لهم صراطك المستقيم** ﴾(٨٢) كانت له جولات وصولات على مؤسسي المذاهـب والديانـات الهدامة ، فأوحى إليهم الفكرة ، ووسوس إليهم الخطط المبرمجة ، ﴿ **الشـيطان سول لهـم وأملى لهم** ﴾(٨٣) وكان عليهم التنفيـذ . فيبـدأ بالتشـريع عـن طريـق الوسوسـة والإيحـاء ليصل بهم الأمر إلى تشكيل ديانة ومعتقد ، فيقرر ذلك في عقول البشـر الذيـن يعتقـدون أنها من تفكـيرهم وجهـدهم وتخطيطهم ، غافلين أنهـا من صنع الشـيطان وأعوانـه . ﴿ **يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا** ﴾(٨٤) .

فالمسيحية اليوم .. والتي تقوم على مبـدأ الثـالوث (الله والمسـيح وروح القـدس) ، لم تكن هذه الثلاثية بالتأكيد من صنع الإنسان ، إنما هي فكرة شيطانية أوحاها إلى المؤسسـين الذين أقاموا عليها دينهم ومذهبهم .. حيث تؤكد أبحـاث دراسـة الديانـات في المعتقـدات المسيحية ، أن فكرة الثالوث إنما نشأت من قوة غيبية مجهولة الهوية ، قامت عليها فيما بعـد الديانة المسيحية . كما قامت من قبلها جميع الديانات الوثنية .

فهذه الثلاثية هي رمز الشيطان الذي يقوم عرشه على أعمدة ثلاث ، على شكل مثلث متساوى الأضلاع ولايهمنا هنا الحديث عنه بقدر ما يهمنا أن نبـين كيـف أضحـى هـذا الثالوث وحشاً كاسراً ، يهجم على مقدرات المسلمين وينهـب خـيراتهم ، ويشـعل لهيـب الحروب المدمرة والفتن بين المسلمين ، وينشر الفساد والدمار . إن هذه الفكرة ليس مـن صنع البشر الذي أكرمه الله على سائر المخلوقات .

ولو تفحصنا اليهودية المادية التي تتحكم في اقتصاد العالم اليوم وإعلامه ، نشاهد النجمة ذو الـرؤوس الثلاثيـة (رمـز الشـيطان) ، ولايسـعنا المجـال هنـا للحديـث عـن خططهـم ومؤامراتهم ضد الأسلام ، فبروتوكولاتهم خير دليل على ما نقول .

و لم يكتفي بتلك الإيحاءات والوساوس التي ألقاها في رؤوس حكام الوثنية والنصارى واليهود ، بل تخللت وساوسه المسلمين ، في إعلامهم وثقافتهم ومجتمعاتهم ، فحاك شباكه بالإختلاف واللهو ، واللعب ، والجنس ، والتلفزيون ، والمراقص ، وغيرها ، وتمكن من غواية الأنسان ، وإبعاده عن الله عز وجل ، كما جاء في حديث الإمام الرضا (ع) : (**كلما ألهى عن ذكر الله فهو إبليس**)(٨٥) . فكل فكرة لاتنسجم من الفطرة ، وتدعو للفساد والانحراف عن العقيدة ، هي من عمل الشيطان بلا أدنى شك أو ريب ، ﴿ **إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا** ﴾(٨٦) ، فالفكرة والخطة والخيال الذي يرواد الإنسان إما أن يكون منبعه من القوى الغيبية الرحمانية ، أو نفثات القوى الغيبية الشيطانية فالأولى تدعوه إلى الخير والثانية تجره إلى الشر ، ويبقى العقل والارادة مخيران بين الفعلين أو الطريقين . ويخطأ من يظن أن ما يوحى إليه من أفكار ، أو تنتابة من رؤى هي نتيجة مخاط عقله أو تخطيط فكره ، إنما هي من عوالم خارجية تدعوه إلى تخير إحدى النجدين ، وعليه هو بما أوتي من عقل وحكمة وإرادة ، أن يختار طريقه ، أو ينتخب مساره .

فمثلاً .. نجد شبابنا يجلسون ساعات طويلة دون ملل أو كلل للهو ومشاهدة الأفلام الهابطة ، غافلين عن أثرها النفسي والروحي ، وأنها استجابة لنداء الشيطان الذي أوعز إليهم فكرة المشاهدة ، (**ليس في الجوارح أقل شكراً من العين فلا تقطهوها سؤلها فتشغلكم عن ذكر الله**)(٨٧) ، كما نسمع بين الفينة والأخري عن الخلاقات والنزاعات التي تدب بين الجماعات الإسلامية ، التي تتوج بأفكار الفصل أو تحقير الآخرين والنيل منهم ، إن هذه الأفكار ليس من مخاض الفكر والتفكير ، ولا من نتاج الخبرة كما يدعي البعض ، ولكنها من وساوس الشيطان ، وإلهامه المكثف للنيل من مفهوم الإيمان والورع المستقر في قلوب المؤمنين . ﴿ **من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين أخوتي** ﴾(٨٧/١) .

وإذا كانت حبائل الشيطان وأشراكه متعدده ، فإن أقواها بلا شك هو حبل الشهوة واللذة واللهو ، لذلك حذرنا الله تبارك وتعالى من الوقوع في هذه الأشراك ﴿ **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله**

وعن الصلاة ، **فهل أنتم منتهـون** ﴾(٨٩) ، وهنـا ذكـر ا لله المتـع الـتي كـانت سـائدة قبـل الأسلام وبعده بفترة قصيرة وهي الخمر والميسر ، ولكننا لو حصرناها الآن لتجاوزت المائـة ، لتطور حالة الصراع بين الشيطان والإنسان الذي يكن له العداوة الأبدية .

كما أن الميسر الذي تضمنته الآية الكريمة لايعني القمار فقط ، وإنما هو كل ما يلهي عن ذكر ا لله كما جاء عن الصادق(ع) : (**كلما ألهي عن ذكر ا لله فهو من الميسر**)(٩٠)

﴿ **ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكـانوا قومـاً بـوراً ..** ﴾(٩١) ومـا أكـثر المتع الشهوانية والأهواء الشيطانية التي فاضت بها مجتمعاتها في الآونة الأخيرة ، ومـا أشـنع الأنحرافات السلوكية التي تربى عليها نشؤنا الحديث ، بدعوى التقدمية والأنفتاح ، ذلـك الإنفتاح الذي تحول إلى إنسلاخ للقيم والمبادىء وإنفتاح لمراسيم العبودية للشيطان والترف العصري . لذلك جاء في الدعاء (**اللهم صلي على محمد وآل محمد واجعلنـا مـن الذيـن اشتغلوا بـالذكر عـن الشـهوات ، وقطعـوا أسـتار نـار الشـهوات بنضـج مـاء التوبـة ، وغسلوا أوعية الجهل بصفوة ماء الحيـاة**) ، كما أوحى ا لله عز وجل إلى داود (ع) : (**ياداود : أحذر وأنذر أصحابك من كل الشهوات ، فـإن القلـوب المتعلقـة بشـهوات الدنيا ، عقولها محجوبة عني**) .

فالطفل يشب اليوم في بيئة تتخللها حبائل الشيطان ، ومطعمة بكل الوسائل الدالة عليـه كلها تدعوه وتجره إليه ، حتى إذا بلغ رشده ، استحكمت به أنفـاس الشـيطان وعشـعش في صدره ، ينشأ بعدها مهـتزاً كيانـاً وسـلوكاً ومنحـرف روحـاً ونفسـاً ، وكمـا جـاء في الحديث (**ليس في المعاصي أشد من إتباع الشهوة فـلا تطيعوهـا فتشـغلكم عـن ذكـــر ا لله**)(٩٢) .

و لم يغفل الخالق عن حقيقة الشهوة والمتعة واللذة الـتي أودعهـا في هـذا المخلـوق ، لأنـه أعلم به من نفسـه ، فأرشـدها وبـين لهـا طريقهـا (**إذا علمـت أن الغـالب علـى عبـدي الإشـتغال بي نقلـت شـهوته في مسـألتي ومنـاجاتي**)(٩٢/١) . وفي حديث قدسي آخر

(إذا كان الغالب على العبد الإشتغال بي جعلت بغيته ولذته في ذكري ، فإذا جعلت بغيته ولذته في ذكري ، عشقني وعشقته ، فإذا عشقني وعشقته رفعت الحجاب فيما بيني وبينه)(٢/٩٢) .

ودعونا نتأمل في حديث الصادق (ع) بروية وتدبر لنعرف مدخل الشيطان إلينا ، فعنه (ع) : (لا يتمكن الشيطان بالوسوسه من العبد إلا قد أعرض عن ذكر ا لله تعالى واستهان وسكن إلى نهيه ، ونسى إطلاعه على سره ، فالوسوسه ما تكون من خارج القلب بإشارة معرفة العقل ومجاورة الطبع ، وأما إذا تمكن في القلب فذلك غي وضلاله وكفر وا لله عز وجل دعا عباده بلطف دعوته وعرفهم عداوة أبليس فقال تعالى ﴿ **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً** ﴾ فكن معه كالقريب مع كلب الراعي يفزع إلى صاحبه من صرفه عنه ، كذلك اذا أتاك الشيطان موسوساً ليضلك عن سبيل الحق وينسيك ذكر ا لله تعالى ، فاستعذ منه بربك وبربه فإنه يؤيد الحق على الباطل وينصر المظلوم ، ولن يقدر على هذا ومعرفة إتيانه ومذاهب وسوسته إلا بدوام المراقبة والإستقامة على بساط الخدمة وهيبة المطلع **وكثرة الذكر** ....)(٩٣) .

مجالس الشقاء :

مما يثلج الصدر ، ويدعو للمسرة ، كثرة المجالس التي نتلمس وجودها بين المؤمنين ، فهي حلقة لقاء ، توحد النفوس وتشحن القلوب ، وتنقي الضمائر من الكدورات والأضغان ، وتتآلف بها الصداقات .

كما نأسف في الوقت نفسه لتحولها عن محجتها ، وتغّير مسيرتها ، فتحولت إلى وسيلة لهو ومرتعاً للغيبة ، وسرداً للمغامرات الخاصة ، وأصبحت تتناول كل شيء من أمور الدنيا والعالم والإجتماع والسياسة .. إلا ذكر ا لله .

فعن عمرو بن جميع ، عن أبي عبدا لله (ع) قال : (كان المسيح عليه السلام يقول : **لاتكثروا الكلام في غير ذكر ا لله ، فإن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر ا لله قاسية قلوبهم ولكن لايعلمون**)(٩٤) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : (جمع الخير كله في ثلاث خصال : النظر والسكوت والكلام ، فكل نظر ليس فيه إعتبار فهو سهو ، **وكل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو** ، وكل سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة ، فطوبى لمن كان نظره عبرة وصمته فكراً وكلامه ذكراً وبكى على خطيئته ، وآمن الناس شره)(٩٥) .

وعن زيد بن على ، عن آبائه ، عن الأمير (ع) عن النبي (ص) قال : (**الكلام ثلاث : فرابح وسالم وشاحب ، فأما الرابح فالذي يذكر ا لله ، وأما السالم فالذى يقول أحب ا لله ، وأما الشاحب فالذي يخوض مع الناس**)(٩٦) يقول صاحب الآداب والسنن (ليس المراد بالقول اللفظ ، بل العمل أي يحب ا لله ولكنه لايذكر ا لله كالأول ، ولايخوض في الناس كالثالث ، والمراد بالشاحب الخاسر) .

وكما جاء عن أمير المؤمنين (ع) : (**من اشتغل بذكر الناس قطعه ا لله سبحانه عن ذكره**)(٩٧) .

رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع

وفي مقابل هذه الرجولة المحطمة ، والشخصية المهترئة ، تبرز شخصية أصحاب العقيدة الراسخة ، وأهل الذكر ، الذين صنعوا التاريخ والمجد لأمتهم ومجتمعهم ، أولئك الذين عبر عنهم القرآن بالرجال ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر ا لله** ﴾(٩٨) ، ﴿ **رضي ا لله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم** ﴾(٩٩) ، أولئك الذين شغلهم الذكر عن متع الدنيا وزينة الحياة .

فسل عنهم القرآن يخبرك عن صفاتهم ..

وسل عنهم التاريخ يخبرك عن ثباتهم ..

والقرآن الكريم قص على رسولنا الأمجد (ص) تاريخ رجال العقيدة ليثبت فؤاده ، وليبين له ثمرة إيمانهم .. ولكن شاءت إرادة ا لله أن يشهد التاريخ لرجال فاقت تضحياتهم ومواقفهم من كان يحتذى به ، وفي مقدمتهم رسولنا الأكرم (ص) والأئمة الأطهار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

إن ثبات هؤلاء الرجال ، إنما كان وليد عقيدتهم الراسخة بالذكر ﴿ **يثبت ا لله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا** ﴾(١٠٠) ، وما القول الثابت إلا كلمة التوحيد الخالصة الناصعة ، التي أشار إليها الإمام الرضا (ع) وهو في طريقة إلى نيسابور (**لا إله إلا ا لله حصني ، ومن دخل حصني أمن من عذابي**) .

وتستمر قافلة الثبات برجال صدقوا ما عاهدوا ا لله عليه ، عرفوا ا لله فخافوه ، وتمسكوا بالتوحيد فذكروه ، واستشعروا بقلوبهم الحب فعشقوه ﴿ **وسيجزي ا لله الشاكرين** ﴾(١٠١)

ماذا بعد الهدى إلا الضلال ..

﴿ **ولا تكونوا كالذين نسوا ا لله فأنساهم أنفسهم أوليك هم الفاسقون** ﴾(١٠٢)

اذا كان للذاكر هذه الكرامة والرفعة والعـزة مـن ا لله عـز وجـل ، فمـاذا بقـي للغـافلين واللاهين ، فقد جاء في نقش خاتم عيسـى (ع) : (**طوبـى لعبـد ذكـر ا لله مـن أجلـه ، وويل لعبد نسي ا لله من أجله**)(١٠٣) .

والذكر ممارسة يأتي بها الأنسان لتنسـجم حياتـه مـع الفطـرة السـليمة ، يشـعر بروحـه تسمو فوق المشاكل والمعوقات الحياتية القشرية ، ويرنو ببصره نحو عالم منسجم تتناغم فيه مفاهيم الغيب والشهادة ، ويتساوى فيه الكل والجزء ، ويشعر بروحه ملء الأكوان

والإعراض عنه يحول الحياة إلى جحيم لايطـاق ﴿ **ومـن أعـرض عـن ذكـري فإن لـه معيشة ضنكا** ﴾(١٠٤) جاء في تفسير قوله (فإن له معيشة ضنكا) أي ضيقة ، وذلك أن من نسي ربه وانقطع عن ذكره لم يبق له إلا أن يتعلق بالدنيـا ويجعلهـا مطلوبـه وغايتـه ، الذي يسعى ويهتم باصلاحه والتوسع فيه والتمتع بـه ، فيعيـش في حالـة مـن الضيـق لأنـه كلما وصل إلى حد اهتم لما وراءه ، وحتى يصل إليه ، لابد أن يجتاز الهـم والضيـق والقلـق والإضطراب والخوف ونزول العوارض من موت ومرض وعاهة

﴿ **ومن يعرض عن ذكر ربه يسلطه عذاباً صعداً** ﴾(١/١٠٤) .

ولو أنه عرف مقام ربه ذاكراً غير آيس ولا قانط ، أن له حياة عند ربه لا يخالطها موت ولايعتريه زوال ، ولاينتهى إلى أمد ، لقنعت نفسه بما قدر له في الدنيا وما أوتيه من معيشة من غير ضيق ولا نكد .

كما جاء في تفسير الآية ﴿ **ومن يعش عن ذكـر الرحمان نقيـض له شيـطاناً فـهو له قرين** ﴾(١٠٥) أي من تغاضى عن ذكر الرحمن ونظر إليه الأعشى ، جئنـا إليـه بشـيطان فهو له قرين أي مصاحب لا يفارقه ، والشياطين يصرفوا العاشـين عـن الذكـر ، ويحسـب العاشين أنهم ـ أي العاشين أنفسهم ـ مهتدون إلى الحق .

منبع الروحانية :

ماهو السبيل إلى عالم الروحانية ، وأي طريق هذا الذي يوصلنا إليه ، وأي مسلك ننتهجه للوصول إلى المعرفة الكلية الواقعية لنفوسنا ، وبواطننا النفيسه .

وهل ترك الخالق الإنسان الضعيف ، ذو القوة المحدودة ، والهيكل البالي ، والنفس الأمارة بالسوء ، يتخبط في مدلهمات الطرق ، ويتيه في مطبات الظلم ، ويتخير لنفسه منهجاً ومسلكاً يوصله إلى غايته المرجوه .

أم أرشده ، وبين له الصراط المستقيم ، الذي لاعوج فيه ولاتبديل ، وقدم له الضمانات الأكيدة في هذا المسير .

وما يؤكد هذه الحقيقة ، ارتباط فلسفة الخلق والوجود بالوصول إلى درج الكمال المطلق فما كان الخلق إلا وفق غاية الكمال ، فلو لم تكن هناك وسيلة للعروج إلى هذا الكمال ، لانتفت إذن غاية الخلق ، وإنعدمت هدفيته .

فإيماننا بعدالة الله عز وجل تقتضي بيان طريق الحق ، وبيان الآيات الدالة عليه ، ليستطيع الإنسان (العاجز) تحقيقه وسلوكه ، ولاحجة للخالق على المخلوق إن التبس عليه طريق الحق وتشعبت مذاهبه .

ورحمة من (ذي الرحمة الواسعه) لبني الإنسان ، أن فتق لهم منهاج الحق ودلهم عليه بآياته ودلائله وبراهينه ﴿ **وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه** ﴾(١٠٨) لتصطفيه العقول وتنتخبه النفوس وتتوق إليه الأرواح .

وتم نقل الدلالة ، أو الهداية ، أو التشريع السماوي للانسان أو (الطريقة) التي جاء ذكرها في الآية المباركة ﴿ **وأن لواستقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا** ﴾(١٠٩) بواسطة ما يقارب من ١٢٠ ألف نبي بلغوا عن الوحي ، عن الخالق كل مافيه صلاح الإنسانية ومنبع للخيرات الوجودية ، وكانت الطريقة من بين هذه الخيرات .

وكان خاتمهم أفضلهم وسيدهم وأشرفهم ، هو السيد الأمي القرشي (محمد بن عبدالله) (ص) جاء بالوحي من عنده وصدق المرسلين ، واختتمت به رسالات السماء .

فكان الرسول الأعظم (ص) منبع الروحانية التي ترشحت من السماء ، وفاضت من عالم الوجود ، استجمعها في روحه ونفسه في غار حراء ، فكان يعتزل الناس يناجي ربه ويستمد العون والقوة ، ويرتشف من معين روح القدس ، ما يفتح مداركه لعالم الغيب اللامحدود .

إلى أن اختزل الأنوار الروحية وسطع من جبينه نور الرسالة المحمدية ، وتأهلت روحه لاستقبال الوحي ، فكانت البشارة ببعثة المصطفى (ص) رسولا وقائدا للامة .

وبدأ الرسول (ص) يوجه الناس روحاً وسلوكاً للارتباط بالخالق والإبتعاد عما يعكر صفوة هذا الإرتباط ، رافعاً شعار (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) ، شعار التوحيد الخالص وأداة كل سالك يريد للروحانية طريقاً .

فتلقى أهوالا وصعاب من واقعه المتمرد الجاهل على حقيقة البعثة ، المبتعد عن روح الإنسانية . ولانقصد هنا من عارضوه وإنما نقصد من صادقوه والتفوا حوله ، فعلى الرغم من إسلامهم وصحابتهم له ، إلا أن القلة القليلة هي التي توصلت إلى أسرار الرسالة ، ومعرفة الدين على حقيقته .

فالبعض رأى الإسلام منهج لترتيب حياة الانسان في التجارة والبيع والشراء والمعاملات ، والبعض رآه أداة لمعرفة الصالح من الأمور المرتبطة بالمعيشة ، كحرمة الذهب والحرير واباحيية الفضة والصوف للرجال ..الخ

والبعض نظر للاسلام بأنه التزام في السلوك ، وتجسيد للأخلاق الفاضلة كالصدق والأمانة وحب الناس ، والبعض أحب الاسلام وآمن به لحبه في الجهاد في سبيل الاسلام و (ممارسة) الحرب مع أعداء الله ..

ولكن القلة القليلة هي التي فكرت بالاسلام من الناحية الروحية ، وعشقت الاسلام حبا لله لا لشيء آخر ، هذه القلة يشير إليها الباريء في كتابه ﴿ **وقليل من عبادي**

الشكور ﴾(١١٠) فحقيقة الشكر لا يعرفه إلا الروحانيون ، الذين آمنوا بالله لا لشيء إلا لانه أهل لذلك .

فكانت هذه القلة تستفيض من فيض الوجود الروحي (الرسول) (ص) روحانيتها وتوجيهاتها ، فعاشت في نعيم ما بعده نعيم لانها تشربت بأنوار الرسول (ص) واختزنت رشحات الوحي الالهي . كما أنها كانت أفجع الفئات عندما انتقل الرسول (ص) إلى جوار ربه ، لأنها فارقت الأب الروحي ، والمرشد الأمي ، والنّفس المحمدي . فكانت الطامة الكبرى والفاجعة المهولة لهؤلاء النفر .

فالفئة التي رأت الاسلام كجانب معرفي ثقافي وجدت البديل في القران والسنة ، ومن رأت الاسلام أنه منهج للتحليل والتحريم وجدت البديل لدى الصحابة الذين حفظوا الحديث والسيرة . ولكن من راى أن الاسلام عروج للروح ، وأن التشريع إنما جاء ليضع الأغلال ، ويفك القيد الذي يكبل الإنسان إلى الارض ، وأن الرسول (ص) هو الأب الروحي الذي يغذي الأرواح ، فهؤلاء عاشوا في فراغ وتيهان وضياع لفقدان هذه العروة الوثقى وإنقطاع هذا الحبل المتصل بين الأرض والسماء .

ولكن هيهات أن يُبقى الله الأرض خالية من حجة وخليفة يكون هو الأب الروحي بعد الرسول (ص) ، وهيهات أن يضل الخالق عبيده بعد أن هداهم وأرشدهم وبين لهم الطريق ، لان ذلك كما قلنا يرتبط برؤيتنا وتصديقنا بعدالة الله تقدست أسماؤه .

وإذا كانت رحمة الله تأبي مثل هذا العمل ، فأخلاق الرسول (ص) ورحمته كذلك تأبي أن يتيه الناس بعده ، فقد كان ﴿ **بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾(١١١) فهيهات أن يترك هذا الأب الروحي العظيم رعيته وأصحابه دون دليل أو مرشد يوجه الأمة ويكمل مسيرة الروح التي جاءت بها رسالة السماء . لذلك نزل الأمين جبريل على رسول الله (ص) وهو في عودته من حجة الوداع بمكان يقال له غدير خم ، قائلاً له : يا رسول الله توقف حتى يجتمع الناس ، فوقف الناس في صحراء قاحلة محرقة إلى أن إجتمع ما يقارب من ١٢٠ ألف حاج من جميع أقطار الدولة الاسلامية ، فأمر الرسول (ص) أن يجمعوا هوادج الإبل

فجمعت حتى جاءت كالتل ، ثم صعد عليها هو وعلي بن ابي طالب ونادي بأعلى صوته (من أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا : ا لله ورسوله ، فقال : أيها الناس من كنت مولاه فهذا علي مولاه . اللهم والي من والاه وعادي من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ... إلى آخر خطبة الرسول) ثم نزل وأمر الناس بمبايعة علي بإمرة المسلمين .

وكانت هذه الإمرة أو التنصيب الظاهري ، إلا أن التنصيب الروحي تم في ليلة شهدتها الملائكة وسكان الجنان والمقربين والكروبيين ، عندما كان أمير المؤمنين في بيت الرسول (ص) فقال له الرسول (ص) : (أدنو مني ياعلي ، فدنا منه فقال افتح فاك ففتح فاه فوضع الرسول الأكرم لسانه في فم علي ، فانسابت المعارف القدسية والأنوار الكونية ، والحقائق الوجودية ، والرشحات الربانية من الرسالة إلى الإمامة ، من المصطفى إلى المرتضى فكانت ليلة ماأعظمها على المعلم والتلميذ . وعندما خرج من عنده في وقت متأخر من الليل لقيه أحد الصحابة فقال : (أين كنت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت المتأخر ، قال : كنت عند حبيبي رسول ا لله وقد علمني ألف باب من العلم ، يفتح لي من كل باب ألف ألف باب) ، وكان من ضمن هذه العلوم علوم أسرار النبوة والإمامة ، وكيفية انتقالها من وصي إلى وصي إلى أن يرث ا لله الأرض ومن عليها .

وهكذا انقل الفيض الروحي والأبوة الروحية من الرسول إلى أمير المؤمنين فكان هو الموجه بعد وفاة الرسول ، فكان مثالا للسمو الروحي ، والرفعة العلوية والحكمة المحمدية ، وكان العلم ينهمر عنه كالسيل وكان علوه لا يرقى إليه الطير ، فهو باب مدينة العلم .

وعلى الطريقة ذاتها انتقلت الأبوة الروحية من أمير المؤمنين إلى ولده الحسن (ع) ثم إلى أخيه الحسين (ع) ثم إلى زين العابدين (ع) ثم إلى الباقر (ع) ثم إلى الصادق (ع) ثم إلى الكاظم (ع) ثم إلى الرضا (ع) ثم إلى الجواد (ع) ثم إلى الهادي (ع) ثم إلى العسكري (ع) ثم إلى المهدي (ع) وذلك حتى لا تخلو الأرض في كل الأزمنة من حجة ومرشد ومبلغ يبلغ للناس تعاليم الخالق جل شانه .

فجميع الرسل دون استثناء خلفوا من بعدهم اثني عشر وصياً يكملون الرسالة ويدعمون النبوة ـ كما صرحت بذلك كتب الديانات والحضارات ـ حتى اذا ماتوا بعث ا لله رسولاً أو نبياً آخر له اثنى عشر وصياً . لذا جاء في علل الشرائع عن محمد الباقر (ع) قال : قال أمير المؤمنين (ع) : (إن ا لله تعالى قال للملائكة : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ؟ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ﴾ وقالوا : إجعله منا ، فإنا لانفسد في الأرض ، ولانسفك الدماء ، قال تعالى : يا ملائكتي .. إني أعلم ما لا تعلمون ، إني أريد أن أخلق خلقاً بيدي ، أجعل من ذريته أنبياء مرسلين وعباداً صالحين ، أئمة مهتدين ، أجعلهم خلفائي على خلقي في أرضي ، ينهونهم عن معاصيّ ، وينذرونهم عذابي ، ويهدونهم إلى طاعتي ، ويسلكون بهم طريق سبيلي ، وأجعلهم حجة لي عذراً ونذراً) .

فجاءت كلمة الإمامة معبرة عن (الأبوة الروحية) والتمثيل الروحي ، وهي إنتقاء من الخالق لصفوة خلقه ، لا تنال بالعبث أو الصدفة إنما بالإختيار الرباني ، ولهذا وبخ ا لله عز وجل نبيه إبراهيم (ع) عندما أراد أن تكون الإمامة لبعض أبنائه ﴿ **قال لا ينال عهد الظالمين** ﴾(١١٢) لذلك كان تعيين الإمام وايجاد المحط الروحي ، واستيضاح الحبل النوراني المتصل بين الأرض والسماء هو كمال الدين ، وأعظم نعمة بعد نعمة التوحيد والمعرفة ولهذا نزلت الآية الكريمة في غدير خم

﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** ﴾(١١٣)

إذن أين منبع الروحانية ..

منبع الفيض الإلهي هو الرسول المصطفى وأهل بيته الذين أذهب ا لله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فرشحات الفيض الإلهي تأبى أن تستقر إلا في أجساد طاهرة وأرواح مطهرة ، وقلوب عاشقة ، فهم أهل بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، وأبواب الايمان ، وأمناء الرحمة وصفوة المرسلين ، وهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى ، وأعلام التقى وورثة الأنبياء

والمثل الأعلى ، والدعوة الحسنى وهم حملة كتاب ا لله ، وأوصياء نبي ا لله وذرية رسول ا لله وهم المخلصين في توحيد ا لله ، والتامين في محبة ا لله والمظهرين ، لأمر ا لله ونهيه وعباده المكرمين ، وهم الأئمة الراشدون المهديون المعصومون ، المقربون المتقون الصادقون المصطفون ، المطيعون لله القوامون بأمره العاملون بارادته ، وهم خزنة علم ا لله ومستودع حكمته وأعلام عباده ومنار بلاده .

ولا فرق في أنهم قاموا بالأمر أم لم يقوموا ، أي أخذوا الخلافة كالرسول (ص) وأمير المؤمنين (ع) أم لم ينالوها (كباقي الائمة المعصومين) ، فهم حبل ا لله الواصل وخطابه الفاصل ،كما قال الرسول (ص) (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا) أي قاما بالحكم والخلافة أم لم يقوما بها ، لأن الخلافة ليست هدفا ولا غاية ، وإنما الغاية هي وجود الفيض الروحي بين الناس ، فعلى الرغم من وجود العديد من الأنبياء الذين لم يحكموا الأمة و لم تتاح لهم الخلافة على الأرض ، إلا أنهم كانوا يؤدون دورهم الروحي في الأمة كالخضر عليه السلام الذي كان معلماً ومرشداً وموجهاً حتى لنبي ا لله موسى (ع) وقصته المعروفة في القران ﴿ **هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا** .. ﴾(١١٤) .

إن وجود الإمام أو المرجع الروحي في الأمة له من التاثير الحاصل حتى ولو كان في قعر السجون ، وظلم المطامير ، فالامام موسى الكاظم (ع) مضى ما يقارب ١٥ سنة أو أكثر يتنقل من سجن إلى آخر ، فكان شعاع النور يسري إليه وهو في قعر السجون فينير ظلمته ويسفر عن ظلامه .

فلا ينبغي لكل سالك أو مريد أن يسلك (الطريقه) دون الدخول من بوابة العصمة المحمدية الحنيفية ، ودون الإرتشاف من فيض معينهم عليهم السلام لأنهم حجج ا لله على خلقه ورماحه في أرضه ، فلا تستقيم حياة الخليقة الروحية دون اللجوء إليهم ونيل محبتهم والتوصل إلى جوهر كنههم .

ثم لا ينبغي أخذ الطريقة إلا عنهم وعن سيرتهم ، فهم أول من وحد ا لله في عالم الوجود وهم أول من نزهه من بين الكائنات والمخلوقات ، فاذا كانوا هم حبل النور المتصل بين

الأرض والسماء ، فكيف بنا نأخذ عن غيرهم أو نشكك في وجودهم وعطائهم . كما جاء في الرواية ، أن رجلاً من بني إسرائيل إجتهد أربعين ليلة ، ثم دعا الله ، فلم يستجب له ، فأتى عيسى (ع) يشكو إليه ، ويسأله الدعاء له ، فتطهر عيسى (ع) ودعا الله تعالى ، فأوحى الله إليه (**يا عيسى ، إنه أتاني من غير الباب الذي أوتي منه ، إنه دعاني وفي قلبه شك منك ، فلو دعاني حتى ينقطع عنقه ، أو تنتثر أنامله ما استجبت له**)(١/١١٤) .

إن طرح موضوع الأئمة لا يعني أن ندعو الناس إلى حبهم فقط ، وإنما التأكيد على ما جاءوا به ، وتبني طريقتهم في الحياة والرياضات الروحية وأن نتفحص حياتهم جزاً جزاً ... لنتعرف على الطريقة التي سمت بها أرواحهم ... كأن نخترق الزمن ، ونعرج على بيت الرسول (ص) وقت السحر ، نراه قائماً راكعاً ساجداً يذكر الله ، وزوجته إلى جنبه تقول له : (لم تحمل نفسك عناء العبادة وقد غفر لك ربك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فيلتفت إليها قائلاً : (ألا أكون عبداً شكوراً) .. أو ندخل خلسة في بيت أمير المؤمنين ونراه يتعبد الله ودموعه تجري على خديه وهو يتلمس الحيطان ويقول (مالي سوى طرقي لبابك حيلة فاذا رددت فأي باب اطرق) .. أو نختلس النظر إلى زين العابدين وهو يتوضأ نراه مصفر اللون ، ترتعد فرائصه ، يرتجف وكأنه غصن في مهب الريح ، ونسمع السائل يسأله : يا ابن رسول الله مالك ترتجف ، فيقول : (**ويحك أتدري بين يدي من سأقف**) أو ننزل إلى طامورة الإمام الكاظم (ع) ، وهو سجن تحت الأرض لايعرف منه الليل من النهار ، نرى خرقة بالية في وسط السجن المتعفن ، وصوت حزين ذو شجن ، يخرج من أسفلها ينادي (العفو ..العفو .. العفو) وهو على حاله في أغلب أوقاته .

فاذا علمنا أن العترة الطاهرة هم المنبع الروحي للبشر ، يجب علينا أن نترك جميع المساجلات الطائفية ، ونبتعد عن قضايا الخلافات التاريخية ، ونركز على نقطة جوهرية وهو البعد الروحي للأئمة ، ونتوحد في مسألة العروج بطريقهم ، فهم ينبوع الفيض لهذا الوجود .

لذلك فالجهل .. كل الجهل عندما نظن أن الائمة هم لفئة دون أخرى ، هم للشيعة دون السنة ، فهم منبع الإلهام ومحط الوحـي وأداة لنزول الرحمة والبركة ، كما قال تعالى في الحديث القدسي (**أنا السلام وأنتم التحية والبركات**)(١١٥) يخاطب حبيبه المصطفى في عترته .

وحقيقة مشاكلنا اليوم تتلخص في الإبتعاد عن هذا الفيض الإلهي - سنة وشيعة - فياليت الشيعة تمسكوا بعلي (ع) ، وياليت السنة تمسكوا بسنة الرسول (ص) ، لأنهم لو تمسكوا بهما فلن يختلفوا أبداً ، لأنهم نور واحد ، وكلاهما أبوا هذه الأمه يهدون إلى ا لله كما جاء عن الرسول الأعظم (ص) : (**أنا وعلي أبوا هذه الأمة**) . فالوجود إنما خلق من نقطة واحدة ، ونور واحد ، وعند نهايته يعود إلى أصل هذا النور والنقطة ، وما هذا النور إلا نور النبوة والإمامة ، عبر عنه ا لله عز وجل (بالمشيئة) ، وأشار إليه الحق تبارك وتعالى وهو يخاطب حبيبه (ص) : (**يا محمد إني خلقتك وعلياً نوراً - يعني روحاً - بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري ، فلم تزل تهللني وتمجدني ، ثم جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة ، فكانت تسبحني وتقدسني وتهللني**)(١١٦) ، وكما أشار إليه القرآن في قضية المباهلة ، حيث يقرن نفس الرسول (ص) بنفس عليّ (ع) ﴿ **وأنفسنا وأنفسكم** ﴾(١١٧) . كما جاء في معاني الأخبار وعلل الشرائع عن الصدوق عن جعفر بن محمد الصادق (ع) : (**إن محمداً وعلياً ، كانا نورين بين يدي ا لله ، قبل خلق الخلق بألفي عام ، وأن الملائكة لما رأت ذلك النور ، رأت له أصلاً قد انشعب منه شعاع لامع ، فقالوا : إلهنا وسيدنا : ما هذا النور ؟ فأوحى ا لله إليهم : هذا نور من نوري ، أصله نبوة ، وفرعه إمامه ، أما النبوة فلمحمد عبدي ورسولي ، وأما الإمامه ، فلعلي حجتي ووليي ، ولولاهما ما خلقت خلقي**) .

لقد سار العلماء في سابق عهدهم على نهج التمسك بالعترة والإعتراف بهم وتقديسهم على إختلاف مشاربهم ومذاهبهم ، لأنهم أدركوا أنهم لن يصلوا إلى الحقائق الكلية إلا عن طريقهم ، ولنا في مسند أبي حنيفة خير دليل على ذكر الأحاديث التي اوردها في فضائل

الأئمة (ع) ، وكذلك الشيخ ابن القيم الجوزي شاهد على رواياته العديدة في كرمات ومعاجز الأئمة منها ما ذكره في كتاب (اثارة العزم الساكن إلى أشرف الأماكن) وكتابه (صفوة الصفوة) وغيره من العلماء الأفاضل الذين عرفوا الحق وأقروه .

فأي مريد أو سالك يريد دخول حصن الله وجنته ، لزاما عليه أن يمر عبر الصراط المستقيم ، وإلا فلن ينجو من مهلكات الفتن وتبعية الشيطان وظلامة النفس ووسوسة شياطين الأنس .

لذلك نرى العديد من المذاهب والمدارس التي انحرفت عن جادة الصواب ، في سعيها للسمو الروحي ، والقرب الإلهي لانها ابتعدت عن المحجة البيضاء والعترة الطاهرة .

فالصوفيه ـ مثلاً ـ كانت بداياتهم ناصعة وموجه أهتمت بالحب والعشق الخالص ، الذي رسم منهاجه الرسول الأعظم والأئمة الأطهار (ع) ، مع شروطها في الذكر والخلوة ثم الوصول إلى مراحل الوجد والخيال والكشف ووصول المريد إلى الحضيرة القدسية وفق نظرة مشروعة مقدسة .

إلا أن الرعيل الأول خلف من بعده خلف أضاعوا الطريقة ، فنظروا إلى هبات التصوف وفوائده أكثر من كونه وسيلة للقرب من الله عز وجل ، والتنعم بلذيذ مناجاته وذكره . فأخذت تنظر إلى ما يحصل عليه المتصوف من هبات كالكشف والإستخبار وبعض المعجزات والكرامات ، كما تم ادخال بعض المعتقدات البوذية والهندية والبراهمية في المعتقد كالقول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود ذات الغلو بحق الخالق تبارك وتعالى .

فأصبحوا لقمة سائغة للشيطان الذى ساعدهم وانجز لهم العديد من الكرامات والأعمال الخارقة التي يتصورون أنها بفعل الروحانية .

إن سعادة الانسان وضمان حياته الروحية ، انما تأطرت بأصول ودعائم ومعارف تأصلت في الكتاب والسنة ، اللذان هما أداة المعرفة . وبالرسول والعترة اللذان هما أداة تفسير وتحليل هذه المعرفة التي تكفلت بايصال بني البشر إلى السعادة الحقيقية .

والوصول إلى الغايات الكلية لايأتي بالوهم و المزاعم الباطلة البعيدة عن الحق ، إنما هـو بالعقيدة الراسخة والعلم والحكمة التي تؤدي إلى الحق ومعرفة المحكم مـن المتشـابه ومـن ثـم الدلالة على (الطريقة) .

وفي طريق أهل البيت (ع) اجتمعت الحقيقة والطريقة والحكمة والفقة والعرفان والعلـم والأدب والفضيلة والرواية والدرايـة ، كمـا يقـول الرسـول (ص) : (**أنـا مـيزان العلـم وعلي كفتاه ، وأنا ميزان العلم وعلي لسانه ، وأنا مدينة العلم وعلي بابها**) وغيرهـا من الأحاديث .

وتشهد أمهات الكتب ،، وتحقيقات أكابر العلماء على أمرين هما في غاية الأهميـة لبيـان طريق الحق :

أولهما : أنه خلال فترة حكم الأئمة ، أي بعد انتقـال الرسـول (ص) إلى جـوار ربـه ، وعلى الرغم من كـثرة عددهـم (إثنـا عشـر وصيـاً) ، لم يسـجل أو يعـرف أو يـدون أي تناقض أو تعارض أو تضاد بين الأئمة ، سواء في حكـم شـرعي أو تكويـني أو علمـي ، أو تفسير رواية أو حديث أو آية ، على الرغم من وجودهم في فترات زمنية متفاوته ، مما يدل على أنهم نور واحد لايختلف أوله عن آخره .

ثانيهما : أنه خلال فترة حكمهم لم يسجل لنا رواة الحديث والمحققين والعلماء ، أنه سئل أحد الأئمة عن شيء من أمور الدين والدنيا والعلم والفلـك والرياضيـات والطـب والحكـم والغيب .. وجميع العلوم الأخرى ، وقال : لا أعلم .. أو لا أدري ، مما يدل علـى أنهـم منبع إلهام العلوم الإلهية ، وخزنة الأسرار النبوية .

نعم إن آل محمد .. هـم عيـش العلـم ، ومـوت الجهـل يخـبركم حلمهـم عـن علمهـم ، وظاهرهم عن باطنهم ، وصمتهم عن حكم منطقهم ، لايخالفون الحـق ولايختلفـون فيـه ، هم دعائم الاسلام وولائج الاعتصام ، بهم عاد الحق إلى نصابه ، عقلوا الدين عقـل وعايـه ورعايه لاعقل سماع ورواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل .

ولا نريد هنا الخوض في مبحث العترة أو الحديث عن فلسفة العصمة وكراماتها على الخلق ، فلكل مقام مقال ، إنما اقتصرنا على بيان حقيقة الوصاية الروحية ، والمنبع الروحي ، والفيض الرحماني المرتبطة بالأئمة عليهم السلام ، وأن التوجه الروحي إنما يبدأ منهم ويعود إليهم ، (بكم فتح ا لله وبكم يختم) .

ولهذه الحقيقة ركزنا في كتابنا عن الذكر طريقة أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم ورواياتهم ، لانهم أهل الذكر وفي بيوتهم نزل الذكر ، وعن طريقهم ذكرنا ا لله وقدسناه وهللناه كما جاء في الزيارة الجامعة (**بكم عرفنا ا لله معالم ديننا ، وأصلح ما كان فسد من دنيانا .. وبكم تمت الكلمة ..وبكم عظمت النعمة .. وبكم يمسك السماوات أن تقع على الأرض إلا باذنه ...**) إلى أن قال (**وجعلكم في بيوت أذن ا لله أن ترفع ويذكر فيها اسمه**)(١١٨) .

أهل البيت (ع) .. خير الذاكرين

سيرة أهل البيت عليهم السلام وحياتهم ، تجليات متجسدة لمفهوم الذكر الحقيقي ، فمنذ اللحظة الأولى التي يشرق بها نور الإمام للوجود الأرضي ، ويتجلى للجنس البشري ، ويخرج من الرحم الطاهر يتلقى الأرض بمساجده ، ساجداً لله عز وجل ، ناطقا بفصيح اللسان ذاكراً (أشهد أن لا إله الا الله وأن جدي محمد رسول الله) ، ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا** ﴾(١١٩) ، ﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين** ﴾(١٢٠) .

والذكر بالنسبة لأئمة أهل البيت عليهم السلام ، كالهواء الذي إن امتنع عنه الأنسان لحظة واحدة اختنق ومات ، وهم الذين وصفهم الله عز وجل (لو لهو عن الله طرفة عين لماتوا شوقاً اليه) فشهيقهم التهليل ، وزفيرهم التكبير ، وحياتهم تجسيد لمفهوم الذكر وإعلاء شأنه ، وهم أكثر الخلائق ذكراً ، وكما ذكرنا أن الرسول الأعظم (ص) ماروئي إلا ذاكراً .

ويكفي في بيان أهمية الذكر بالنسبة لأهل البيت (ع) أن نتفحص أحاديثهم ورواياتهم بشأنه ، لنعرف المنزلة التي أضمروها للذكر .

فعن أمير المؤمنين (ع) : (**سبحان الله خير من جبل فضة يتصدق في سبيل الله ، والحمد لله خير من جبل ذهب يتصدق به في سبيل الله ، ولا إله إلا الله خير من الدنيا والآخرة وما فيهما يقدمها الرجل بين يديه ، والله أكبر خير من عتق ألف رقبه**)(١٢١) .

وعن الأمير (ع) : (**إذا رأيت الله يؤنسك بذكره فقد أحبك ، وإذا رأيت الله يؤنسك بخلقه ويوحشك من ذكره فقد أبغضك**)(١٢٢) .

وغيرها من الأحاديث التي سنتطرق إليها في الفصول القادمه ، ويكفي هنا أن ندلل على منهج الذكر بالتدبر في مناجاة الذاكرين للأمام زين العابدين ، علي بن الحسين (ع) حيث يقول :

(إلهي لولا الواجب عن قبول أمرك لنزهتك من ذكري إياك ، على أن ذكري لك بقدري ، لا بقدرك ، وما عسى أن يبلغ مقداري ، حتى أجعل محلاً لتقديسك ، ومن أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا ..

إلهي .. فألهمنا ذكرك في الخلاء والملأ ، والليل والنهار ، والاعلان والأسرار وفي السراء والضراء ، وآنسنا بالذكر الخفي ، واستعملنا بالعمل الزكي ، والسعي المرضي وجازنا بالميزان الوفي ....

إلهي ... بك هامت القلوب الوالهة ، وعلى معرفتك جمعت العقول المتباينة ، فلا تطمئن القلوب إلا بذكراك ، ولا تسكن النفوس إلا عند رؤياك ....

إلهي ... أنت المسبح في كل مكان ، والمعبود في كل زمان ، والموجود في كل أوان ، والمدعو بكل لسان ، والمعظم في كل جنان ..

وأستغفرك من كل لذة بغير ذكرك ...

ومن كل راحة بغير أنسك ...

ومن كل سرور بغير قربك ...

ومن كل شغل بغير طاعتك ....

إلهي ... أنت قلت وقولك الحق ، ياأيها الذين أمنوا أذكروا ا لله ذكراً كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا ....

وقلت وقولك الحق .. فاذكروني أذكركم ، فأمرتنا بذكرك ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشريفاً لنا وتفخيماً وإعظاماً ، وها نحن ذاكروك كما أمرتنا .. فأنجز لنا ما وعدتنا يا ذاكر الذاكرين ويا أرحم الراحمين)(١٢٣) .

من قبسات هذه المناجاة تتشكل معالم الذكر في الإمام ، فيكون الغالب عليه ذكر ا لله آناء الليل وأطراف النهار .

وأهل البيت عليهم السلام هم مفاتيح الذكر ، فقد وصفهم الباري في كتابه (بأهل الذكر) فقال : ﴿ **فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون** ﴾(١٢٤) ، ففي تفسير نور الثقلين في هذه الآية قال : قال رسول ا لله (ص) : (**الذكر أنا ، والأئمة عليهم السلام أهل الذكر**) كما جاء في نفس المصدر (**إن الكتاب هو الذكر وأهله هم آل محمد عليهم السلام**) ، كما جاء في قوله تعالى ﴿ **وإنه ذكر لك ولقومك وسوف تعلمون** ﴾ عن الرسول (ص) : (**ان الذكر هو القرآن ونحن قومه ، نحن المسئولون**)(١٢٥) .

كما روي عن الصادق (ع) قال : كان أبي (الباقر) كثير الذكر ، لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر ا لله ، وآكل معه وإنه ليذكر ا لله ، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر ا لله ، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول : **لا إله إلا ا لله** ، **وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ، ويأمر بالقراءة من كان يقرء منا ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر**)(١٢٦) .

وعن أبي عبدا لله (ع) : في رسالته إلى أصحابه قال : (**فاتقوا ا لله وكفوا ألسنتكم إلا من خير (إلى أن قال) وعليكم بالصمت إلا فيما ينفعكم ا لله به من أمر آخرتكم ويأجركم عليه ، وأكثروا من التهليل والتقديس والتسبيح والثناء على ا لله والتضرع إليه والرغبة فيما عنده من الخير الذي لا يقدر قدره ولايبلغ كنهه أحد ، فاشغلوا ألسنتكم بذلك عما نهى عنه من أقاويل الباطل التي تعقب أهلها خلودا في النار ، من مات عليها ولم يتب إلى ا لله ولم ينزع عنها**)(١٢٧) .

ولأنهم وصلوا إلى مدارج الكمال ، فكان ذكرهم ليس كسائر الناس ، بل كان **إدماناً** كما عبرت عنه الألفاظ القدسية في الزيارة الجامعة (**وأدمنتم ذكره ، ووكتم ميثاقه ، وأحكمتم عقد طاعته**)(١٢٨) .

ولهذه الخاصية ، كان لذكرهم تجليات في عالم الوجود ، فكانت الحيطان .. وأدوات المنزل ، تسبح لتسبيحهم وتهلل لتهليلهم ، حتى قال تعالى ﴿ **في بيوت أذن ا لله أن ترفع ويذكر فيها أسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال** ﴾(١٢٩) ، أو كما جاء في الجامعة (**خلقكم ا لله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين ، فجعلكم في بيوت أذن ا لله أن ترفع ويذكر فيها اسمه**) .

كما أخرج أبن مردويه عن أنس بن مالك (في الدر المنثور ج ٥) قال : قرأ رسول ا لله (ص) هذه الآية ﴿ **في بيوت أذن ا لله أن ترفع ويذكر فيها اسمه** ﴾ فقام إليه رجل فقال : أي بيوت هذه يارسول ا لله ؟ **قال** : **بيوت الأنبياء** ، **فقام إليه أبوبكر فقال** : **يارسول ا لله** : **هذا البيت منها لبيت علي وفاطمه ؟ قال** : **نعم** .. **من أفضلها**)(١٣٠) .

وفي كتاب المناقب لابن شهرآشوب في تفسير الثقلين الجزء الثالث .. لما كانت السنة التي حج فيها أبو جعفر محمد بن علي (ع) ولقيه هشام بن عبالملك ، أقبل الناس يتسائلون عليه : فقال عكرمه : من هذا ؟ عليه سيماء زهرة العلم لأخزينّه ، فلما مثل بين يديه ارتعدت فرائصه وأسقط في أيدي أبي جعفر (ع) ؟ وقال : (يابن رسول ا لله لقد جلست مجالس كثيرة بين يدي ابن عباس وغيره ، فما أدركني ما أدركني آنفاً ، فقال أبوجعفر (ع) : (**ويلك ياعبيد أهل الشام أتدري أين أنت ؟ إنك بين يدي بيوت أذن ا لله أن ترفع ويذكر فيها اسمه** ..)(١٣١) .

وعن أبي حمزة الثمالي قال : قال : أبو جعفر (ع) لقتادة : (من أنت ؟ قال : أنا قتادة ابن دعامة البصري . فقال له أبوجعفر (ع) : أنت فقيه أهل البصرة ؟ قال : نعم ... فسكت قتادة طويلاً ثم قال : أصلحك ا لله ، وا لله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدامهم فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك ! فقال أبو جعفر (ع) : أتدري أين أنت ؟ بين يدي (بيوت أذن ا لله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) فأنت ثمّ ، ونحن أولئك)(١٣٢) .

ولأنهم وصلوا إلى كمال الذكر ، بعد أن تشربوا به وفاضت نفوسهم الطاهرة منه ، أصبحوا هم الذكر .. وأصبح ذكرهم من ذكر الله ، كما جاء في الحديث (إن ذكرنا من ذكر الله وذكر عدونا من ذكر الشيطان) .

لذلك فذكرنا لآل البيت عليهم السلام والتعرف على صفاتهم ، والأخذ بأقوالهم وصفاتهم يدخلنا في زمرة الذاكرين ـ بشرطها وشروطها ـ لأنهم محط الرحمة ، والذكر المتجلي في عالم الوجود .

* * *

الفصل الرابع

- الشمولية واللامحدودية للذكر
- أفضلية الذكر على سائر العبادات
- المعطيات الروحية للذكر
  - اللذة الروحية والقرب الإلهي
  - الذكر .. نور القلوب
  - الإلهام وكشف الحجاب
  - الحماية والتحصين الإلهي
  - توليت سياسته
  - الذكر شيمة المتقين
  - العلم الحقيقي ميراث الذكر



الشمولية .. الحدود

في تقدير المشرع الإسلامي فيما يتعلق في العبادات والمناسك أمران في غاية الأهمية ، يتعلق أحدهما (بالأولوية .. أو الشمولية) والآخر يتعلق (بالحدود والمحدوديه) .

أما الأمر الأول ، فقد جاء التصريح من الخالق تبارك وتعالى بأولوية بعض العبادات والشعائر التي أخذت بعداً كبيراً من الخصوصية ، وذلك لأنها الأصل المتورق عنها ، والجذر المتأصل فيها ، باقي العبادات ، ومنها المبدأ والمنشأ والمنتهى والمصير .

والذكر من العبادات الكلية الشاملة التي حضت بالإهتمام والتركيز سواء بصريح آيات القرآن ، وأحاديث الرسول (ص) والأئمة الأطهار ، أو مما تلمسناه من حياة علمائنا الأعلام الذين كانت حياتهم تجليات واقعية لمعطيات الذكر . لأنه الأصل الذي لاغنى لكل مخلوق عنه ، والرحيق العذب الذي لابد لكل موجود أن ينهل منه.

وجاءت الأولوية في موضوع الذكر لأنه وسيلة العروج إلى الرب ، فالذاكر ثبت أسمه في ديوان السعداء ، فإذا انشح القلب بنور المعرفة وذاق حلاوتها ، وأحس بردها ، وأنس بملازمتها ، إنجذب إلى ذلك الرب الكريم ، فيجد تمام الحقيقة حاضراً بين يدي مولاه الباري له القاهر عليه ، المطلع على سرائره وخوافيه ، الواقف على همساته وبواديه ، الناظر إلى حركاته وسكناته .

وفي آيات عديدة أشار الباريء تبارك وتعالى إلى هذه الحقيقة ، وأكدها في أكثر من موضع ـ كما بيّنا سابقا ـ ليبين لنا أنه غني عن عبادتنا وصلاتنا وصيامنا ، وكل مايريده منا هو ذكره ،لأنه ما خلقنا إلا ليعرفنا بنفسه العليه ، وبرحمته الشاملة . فالصلاة والحج ، والسعي للمساجد ، والصدقة ، وغيرها من عبادات ، لا تعدو شيئاً عند الله ، إن لم تقترن بحقيقة الذكر ، فكان ذكر الله أكبر من كل شيء ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ .

فكل العبادات تؤدي إلى الذكر ، حتى حضور صلاة الجمعة ﴿ **فإذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر ا لله ..** ﴾(١)

والسعي للمساجد ﴿ **ومن أظلم ممن منع مساجد ا لله أن يذكر فيها أسمه وسعى في خرابها** ﴾(٢)

فكل المناسك إنما شرعت لتأكد الحالة (الذكرية) للإنسان مع ربه ﴿ **ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا أسم ا لله** ﴾(٣) ، بعد ذلك يقول ا لله عز وجل ﴿ **الذين إذا ذكر ا لله وجلت قلوبهم ..** ﴾ .

والذكر إنما سمي ذكراً لأنه ينفي حالة النسيان للمذكور ، فيكون ا لله ، وتكون أسماؤه وأفعاله على ألسنتنا ، في كل أحوالنا وعلى مدار أوقاتنا ، لذلك أشار الخالق إلى نبيه موسى (ع) في مناجاته : (**ياموسى لا أقبل الصلاة إلا ممن تواضع لعظمتي ، وألزم قلبه خوفي ، وقطع نهاره بذكري ، ولم يبت مصراً على الخطيئة ، وعرف حق أوليائي ، وأحبائي**)(٤) ، فالصلاة والصوم والحج والجهاد والمعروف والإحسان .. .. وغيرها من أمور عبادية أو تشريعية ، جزء لايقبل إلا بالكل ، هذا الكل الذي يحدد فلسفة الخلق ، ويعمق في وجدانه حب الإله والقرب من الخالق ، فيعرف بدايته ونهايته ، فتتساوى عنده البدايه والنهاية لأنه أرتبط بالموجد الأوحد .

وفي حديث آخر يقول ا لله تبارك وتعالى : (**إنما أقبل الصلاة لمن يتواضع لعظمتي ، ويكف نفسه عن الشهوات من أجلي ، ويقطع نهاره بذكري ، وألزم قلبه خوفي ولايتعاظم على خلقي ويطعم الجائع ، ويكسو العاري ، ويرحم المصاب ويؤوي الغريب فذلك يشرق نوره مثل الشمس ، أجعل له في الظلمات نوراً ، وفي الجهالة علماً ، أكلأه بعزتي وأستحفظه ملائكتي ، يدعوني فألبيه ، يسألني فأعطيه ، فمثل ذلك عندي مثل ألفردوس ، لايسمو ثمرها ولايتغير ورقها ..**)(٥) .

ومجمل الصفات الحميدة التي ذكرت في الحديث مردها إلى الذكر ، فقمة التواضع لله عزوجل هي المداومة على ذكره ﴿ **إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا ا لله يستكبرون** ﴾(٦)

كما أن نتيجة الغرور هو الصد عن ا لله والإستكبار عن ذكره والتلفظ بأسمائه . والتخلص من شيطان الشهوات إنما يأتي بالذكر ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾(٧) كما أن الإبتعاد عن منهج الذكر يوقعه في شراك الشيطان وحبائله .

والخوف الذي لايكون إلا بمعرفة صفاته وأفعاله ، فكان الذكر من أحب الأعمال الى ا لله ، كما جاء في الحديث الشريف (**لاتختارن على ذكر ا لله شيئاً ، فإنه يقول : ولذكر ا لله أكبر**)(٨) .

وعن الرسول (ص) قال : (ليس عمل أحب إلى ا لله ولا أنجى لعبد من كل سيئة في الدنيا ولا الأخرة من ذكر ا لله .. قيل : ولا القتال في سبيل ا لله قال : لولا ذكر ا لله لم يؤمر بالقتال) ، وعنه كذلك : (**ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتهم ، وخير من الدينار والدرهم ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم ، فتقتلونهم ويقتلونكم ؟ قالوا : بلى يارسول ا لله ، قال : ذكر ا لله عز جل كثيراً**)(٨/١)

بهذين الحديثين ، يتبين التأكيد الداعي للتأمل والتريث ، حول مفهوم الذكر ، وتقديمه على القتال في سبيل ا لله ، والذي يعد من الأمور التي لايعلوها جزاء (فوق كل بر ، بر حتى يقتل المرء في سبيل ا لله ، فليس فوق ذلك بر) فالأولوية والشمولية إنما أكدت على مفهوم الذكر .

أما الأمر الآخر فهو اللامحدودية في العبادات ، فقد قدر الخالق تبارك وتعالى لكل شعيرة وعبادة قوالب محكمة ، ووضع لكل منها حدود ونهايات ، يعتبر الوصول إليها غاية سقوط التكليف على الإنسان ، فحدود صلاة الفجر ركعتان لاتزيد ولا تنقص ، وكذلك شعائر الحج حدودها في أيام معدودات .

بينما لو أستعرضنا حدود الذكر ، نجده بلا نهاية ، وبلا حدود ، لهذا يقول ا لله تعالى في سورة الأحزاب ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا ا لله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً** ﴾(٩) وفي سورة طه يقول على لسان موسى (ع) : ﴿ **كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً** ﴾ .

وفي معاني الأخبار عن جراح المدايني ، قال : قال أبو عبدالله (ع) : (**ألا أحدثكم بمكارم الأخلاق ؟ الصفح عن الناس ، ومواساة الرجل أخاه ، وذكر الله كثيراً**)(١٠) .

وعليّة عدم وجود نهاية للذكر .. أو وجود عدد معين من الأذكار يكتفي بها الإنسان ، في يومه وليلته .. ذو دلالة عميقة تبين أن كل شيء ينتهي مع حدود الزمن الآني ، ويبقى الذكر مستمراً مع استمرار الزمن الفاني ، وإن انعدم الزمن (كما هو في الحقيقة) ، فللصلاة حدود وقتية محدودة .. وللحج حدود وقتية محدودة .. وللسعي في عمل الخير حدود وقتية محدودة .. تنتهي مع إنتهاء العمل أو العبادة .

أما الذكر لأنه لاحدود له فيمتد إلى كل لحظات الإنسان .. ويتناول كل دقيقة من دقائق حياته .. بل ويتخلل كل نبضة من نبضات قلبه وأنفاسه .

ولأن الذكر يكون في مقابل النسيان والسهو والغفلة ، فكانت الإدامة عليه حلقة الوصل بين الإنسان وخالقه ، لذلك جاء في الصحيفة السجادية (واشغل قلوبنا بذكرك عن كل ذكر ..) . فحياة الإنسان إذا كلها ذكر لعدم محدوديته .. وعدم تقدير كفايته ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار .. ﴾ وتؤكد الآية الشريفة هذا المعنى ، فالأنسان إما أن يكون جالساً أو نائماً أو قائماً ، وهو في كل الأحوال لأبد أن يكون ذاكراً .

والذكر بخاصيته هذه إنفرد على سائر الأمور العبادية الاخرى ، وللأمام الصادق عليه السلام إشارة في هذا الموضوع حيث يقول : (ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه ، إلا الذكر فليس له حد ينتهي إليه ، فرض الله عزوجل الفرائض فمن أداهن فهو حدهن .. إلا الذكر فإن الله عزوجل لم يرض منه بالقليل ، و لم يجعل له حداً ينتهي إليه (ثم تلا الآية) ﴿ ياأيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾ .

وعنه كذلك (**أكثروا ذكر الله ما أستطعتم في كل ساعة من ساعات الليل والنهار ، فإن الله أمر بكثرة الذكر له**)(١١) .

وجاء في أماني الصدوق في وصايا رسول الله (ص) لأبي ذر : (**أربع لايصيبهن إلا مؤمن ، الصمت وهو أول العبادة ، والتواضع لله سبحانه ، وذكر الله تعالى على كل حال ، وقلة الشيء (قلة المال) وفيها أحبكم إلى الله جل ثناؤه أكثركم ذكراً له**)(١٢)

فالذكر سلوك سامي رفيع القدر ، إنفرد بخاصية الإفاضة والشمول على باقي العبادات .

وإذا كان الذكر أعلى مدارج الإيمان ، وأنقى مناسك الإسلام ، فهو بالتالي طريقنا إلى عالم المثل ، وعالم التكامل الروحي والعروج إلى الملكات الروحية ، وهو طريقنا إلى الاخلاص والعمل الصالح والصلاة والصوم ، وهداية الناس ، وبالتالي هو طريقنا إلى الخالق البارىء تبارك وتعالى .

قال رجل للنبي (ص) : (**أحب أن أكون أخص الناس الى الله تعالى ، قال : أكثر ذكر الله تكن أخص العباد إلى الله تعالى**)(١٣) ، كما قيل له صلى الله عليه وآله ، من أكرم الخلق على الله ؟ قال : **أكثرهم ذكراً لله وأعملهم بطاعته**) .

ونتناول حديثاً قدسياً تقشعر له الأبدان ، وتصطلي منه الأبدان لما له من عميق الأثر في النفوس ، فقد جاء عن الحق تبارك وتعالى : (**إذا كان الشتاء نادى منادي : يا أهل القرآن قد طال الليل لصلواتكم ، وقصر النهار لصيامكم ، فإن كنتم لاتقدرون على الليل أن تكابدوه ، وعلى العدو أن تجاهدوه ، وبخلتم بالمال أن تنفقوه ، فأكثروا ذكر الله**)(١٤) .

ولا أرى حديثاً أكثر تأكيداً على إدامة الذكر من حديث الإفاضة ، (**أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر**)(١٥) .

أفضلية الذكر على سائر العبادات :

لماذا صار الذكر أفضل وأنفع من جملة العبادات ، على الرغم من خفته على اللسان وسهولته في البيان ، وقلة التعب والمشقة فيه ، مع مافي العبادات الأخرى من كثرة المشاق

وللإجابة على هذا السؤال نؤكد أن مقاييس الثواب والعقاب ، لا يصل إلى كنهها وفحواها إلا ا لله عزوجل ، كما أن حرمة بعض الأمور وحليه بعضها قد لا يصل إليها الإنسان فيسلم بها طوعاً . والذكر من الأمور التي أعطاها الخالق تبارك وتعالى إهتماماً مضاعفاً وكبيراً ، وتأكيداً مخصوصاً ، لسنا بمستوى (بني البشر) تحديد كنهه أو كشف ستره ، ولكننا نتوصل إلى بعض النتائج التي تكون من مخاض عقولنا أو تأملات خواطرنا أو إلهام اللطف المحيط بنا .

ومن ذلك .. أن الذكر إنما وصل إلى هذه المرتبة من الأفضلية على العبادات ، لأن الذكر النافع هنا الذي يداوم عليه صاحبه ، من حضور القلب ، وتوجهه نحو المذكور . أما الذكر والقلب لاه فهو قليل النفع يسير الجدوى ، كما أن حضور القلب في لحظة الذكر والذهول عن ا لله سبحانه ، مع الإنشغال بالدنيا فذلك أيضاً قليل الجدوى ، والأنفع هو حضور القلب مع ا لله تعالى على الدوام ، أو في أكثر الأوقات ، وهذا الذكر هو المقدم على العبادات ، بل به يشرف سائر العبادات ويكون غاية ثمرها .

كما جاء في الآداب والسنن ، عن الرسول (ص) قال : (**إعلموا أن خير أعمالكم وأزكاها وأرفعها في درجاتكم ، وخير ماطلعت عليه الشمس ، ذكر ا لله سبحانه وتعالى فإنه أخبر عن نفسه فقال : أنا جليس من ذكرني**) .

وكما روى في الحديث الشريف : (**ماصدقة أفضل من ذكر ا لله**) ، ففيه تأكيد أن الذكر لايفضله شيء من جميع أنواع الصدقة ، لأن قوله صدقه جاءت نكره في سياق نفي

فتعم كل صدقة ، ومقتضاها أن لايوجد صدقة كائنة ماكانت أفضل من ذكر ا لله ، فتكون دونه في الثواب والمرتبة .

كما أن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من ذكر القلب وحده ، وسبب ذلك أن شغل جارحتين فيما يرضى ا لله سبحانه ، أفضل من شغل جارحة واحدة . كما أن حضور القلب ضمانة الإستقامة وردع للمعاصي .

وللذكر أول وآخر كما ينقل الفيض الكاشاني رحمة ا لله ، (فأوله يوجب الأنس والحب وآخره يوجب الأنس والحب ، ويصدر عنه والمطلوب ذلك الأنس ، فإن المريد في بداية الأمر قد يكون متكلفاً يصرف قلبه ولسانه عن الوساوس إلى ذكر ا لله تعالى ، فإن وفق للمداومة أنس به وإنغرس في قلبه حب المذكور (ا لله) ، ولاينبغي أن يتعجب من هذا من المشاهد في العادات أن يذكر غائب غير مشاهد بين يدي شخص ويكرر ذكر خصاله عنده فيحبه ، وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ، ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أولا صار مضطراً الى كثرة الذكر آخراً بحيث لا يصبر عنه ، فإن من أحب شيئاً أكثر ذكره ، ومن أكثر ذكر شيء وإن كان تكلفاً أحبه) .

فذلك أول الذكر متكلف إلى أن يثمر الأنس بالمذكور والحب له ، ثم يمتنع الصبر عنه آخراً فيصير الموجب موجباً والثمرة مثمراً .

فالحب والأنس الحقيقي يأتي بعد المداومة والمكابده في الذكر مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعاً ، كالمريض الذي يأخذ الدواء وهو لايستسيغه أول الأمر أو نوعاً من أنواع الطعام ، وبعد المداومة عليه يصير موافقاً لطبعه ويعتاد عليه . فالنفس معتادة لما تكلف وكما قيل (هي النفس ماعودتها تتعود) أي تشعر بالتكلف والتعب والمشقة بادي الأمر بعد ذلك تعتاد عليه ويتحول إلى طبع أو ملكه .

وبعد أن يحصل الأنس بذكر الله ينقطع الإنسان أو الذاكر عما سوى الله ، وهذا الأنس يجد أثره بعد الموت ، حيث يتلذذ به العبد بعد موته ، الى أن ينزل في جوار ربه تعالى ، ويترقى من مرحلة الذكر الى مرحلة اللقاء ، بعد أن يبعثر ما في القبور ، ويحصل ما في الصدور .

فعن الصادق (ع) قال : (**من كان ذاكراً لله على الحقيقة فهو مطيع** ، ومن كان غافلاً عنه فهو عاص ، والطاعة علامة الهداية ، والمعصية علامة الضلالة ، **وأصلها من الذكر والغفلة** ، فأجعل قلبك قبلة للسانك ، لاتحركه إلا بإشارة القلب ، وموافقة العقل ، ورضا الإيمان ، فإن الله عالم بسرك وجهرك ، وكن كالنازع روحه أو كالواقف في العرض الأكبر ، غير شاغل نفسك عما عناك مما كلفك به ربك في أمره ونهيه ووعده ووعيده ، ولا تشغلها بدون ما كلفك ، وأغسل قلبك بماء الحزن ، وأجعل ذكر الله من أجل ذكره إياك ، فإنه ذكرك وهو غني عنك فذكره لك أجل وأشهى وأتم من ذكرك له وأسبق ، **ومعرفتك بذكره لك تورثك الخضوع والإستحياء والإنكسار** ، ويتولد من ذلك رؤية كرمه وفضله السابق ، وتصغر عند ذلك طاعتك ، وإن كثرت في جنب مننه ، وتخلص لوجهه .. وفي نهاية الحديث يقول (ع) : **والذكر ذكران : ذكر خالص بموافقة القلب ، وذكر صارف ينفي ذكر غيره** كما قال رسول الله (ص) : (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فرسول الله (ص) لم يجعل لذكره لله مقداراً ، عند علمه بحقيقة سابقة ذكر الله له من قبل ذكره له ، فمن دونه أولى ، فمن أراد أن يذكر الله تعالى فليعلم أنه مالم يذكر الله العبد بالتوفيق لذكره ، لايقدر العبد على ذكره)(١٦) .

اللذة الروحية للذكر ..

لو عرجنا قليلاً على منهج الإسلام فيما يختص بثواب الأعمال ، نجد أمور غاية في الدقة والتوافق في الأمور العبادية والتشريعية ، صاغها المشرع بعين الحكمة والبصيرة ، وجعل لكل عمل ما يوافقه من الثواب والأجر المقابل له ، فكانت أشبه بالقوانين الإلهية ، والنظم السماوية .

ففي مقابل الشكر تكون الزيادة ﴿ **ولئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾(١٧) .

وفي مقابل الإحسان يكون الملك والتمكين ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾(١٨) ﴿ **إنك اليوم لدينا مكين أمين** ﴾(١٩) كما جاء في سورة يوسف (ع) .

وفي مقابل الطاعة تكون الكرامات (عبدي أطعني تكن مثلي ، أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون) .

وفي مقابل غض البصر عن أعراض الناس ونواميسهم ، يكون الشعور بحلاوة الإيمان في القلب (**من غض بصره وجد حلاوة الإيمان في قلبه**) .

وفي مقابل التوكل الصادق مع الله تكون الراحة النفسية في تيسير الأمور ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً** ﴾(٢٠) .

وفي مقابل التقوى يكون المخرج من مضايق الأمور ، والهموم الى فسحة الأمل واليقين ﴿ **ومن يتقي الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب** ﴾(٢١) .

وفي مقابل التوبة تكون الإنابة والغفران ﴿ **نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم** ﴾(٢٢) أو كما جاء في الدعاء :

(**إلهي ضلل على ذنوبي غمام رحمتك وأرسل على عيوبي سحاب رأفتك**) .

في مقابل الرجاء يكون العطاء .. (**إلهي بذيل كرمك أعلقت يدي ، ولنيل عطاياك بسطت أملي ، أسألك بكرمك أن تمن علي من عطائك ، بما تقر به عيني ، ومن رجاك بما تطمئن به نفسي**) .

وفي مقابل التوسل يكون الرضا وتحقيق الغايات .. (**فحقق فيك أملي ، وأختم بالخير عملي ، وأجعلني من صفوتك الذين أحللتهم بحبوحة جنتك ، وبوأتهم دار كرامتك ، وأقررت أعينهم بالنظر إليك يوم لقاءك**) .

فلكل عمل ما يوافقه من عطاء أو هبة أو إستجابه أو ثواب ، وهذه الأمور تعتبر قانوناً إلهياً ثابت لايعتريه التبديل ، أو يتخلله الشك والتغيير ، لأنه من صنع الحق تبارك وتعالى أشار اليها بقوله ﴿ **فلن تجد لسنة ا لله تبديلا ، ولن تجد لسنة ا لله تحويلا** ﴾(٢٣) ، وأي نقص في إستجابة الأعمال هو خلل ونقص في المتلقي ، وليس في المُلْقي ، فليراجع نفسه ، ويسد الثغرات التي تكون مدخلاً لأهواء النفس والشيطان ، يرى سرعة الإجابة ، ونفاذ الطاعة .

عطاء الذكر

ولنا أن نتساءل .. إذا كان لكل عمل يعمله الإنسان مقابلاً وثواباً وعطاءاً من ا لله تبارك وتعالى ، فماجزاء وعطاء الذاكرين ! .. وبما أن الثواب والجزاء يكون من جنس العمل .. وبما أننا أكدنا أن الذكر هو أفضل الأعمال ، وبه تقوم العبادات وبفضله رسخت المناهج ، وبوجوده تقبل الطاعات والفرائض .. فما مقابل الذكر .

الذاكر .. جليس ا لله ..

لقد خص ا لله عز وجل الذكر بخاصية لاينالها إلا ذو حظ عظيم ، لأنها لاتكون إلا للذاكرين المقربين ، الذين يذكرون ا لله آناء الليل وأطراف النهار . خاصية تفرد بها الذكر وحده دون سائر العبادات الأخري .

ففي مقابل الذكر .. تجد الله عندك .. جليسك .. مؤنسك .. حبيبك .. وصديقك ، وهذه أرقى وأعظم درجة كمالية ، يصل إليها الإنسان ويتمناها المخلوق ، أن يكون بالقرب من الخالق .

ولم تنال أي شعيرة أو نسك من مناسك الإسلام هذه الهبة والكرامة ..إلا للذاكرين .. فعن الرسول (ص) قال : (**يقول الله تعالى : أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل شكري أهل زيادتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي**)(٢٤) .

وفي حديث آخر ، أوحى الله إلى نبيه موسى (ع) : (**ياموسى ، أتحب أن أسكن معك في بيتك ، فخر موسى ساجداً ، ثم قال : يارب كيف ذلك ، فقال ياموسى : أما علمت أني جليس من ذكرني ، وحيثما التمسني عبدي وجدني**)(٢٥) .

ولو تدبرنا في الأحاديث الواردة بشأن الذكر نجد عبارة ..

(أنا جليس من ذكرني ..)

(أنا مع عبدي ماذكرني ..)

(أذكروني أذكركم ..)

(أني حبيب من أحبني ، وجليس من جالسني ، ومؤنس لمن أنس بذكري) .

فالذكر دليل المحبة الصادقة ، والصورة الواضحة لنقاء النفس الإنسانية ، تجاه خالقها ومبدعها من العدم ، وكما قال أمير المؤمنين (ع) :

– (**الذكر لذة المحبين**)(٢٦) – (**الذكر مجالسة المحبوب**)(٢٧) – (**الذكر شيمة المتقين**)(٢٨)

كما أشار في حديث آخر أن (**أهل الذكر أهل الله وحامته**)(٢٩) .

فما أجلها من كرامة يرفضها الإنسان ويتهاون عنها .. أن يكون جليس الله وحبيبه .. وأن يكون الله مؤنسه في وحدته وصديقه في وحشته وغربته .

قال موسى (ع) : (يارب أقريب أنت فأناجيك ؟ أم بعيد فأناديك ؟ فإني أحس صوتك ولا أراك ، فأين أنت ؟ فقال الله تبارك وتعالى : أنا خلفك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك ، ياموسى : أنا جليس عبدي حين يذكرني ، وأنا معه إذا دعاني)

وفي حديث قدسي آخر ، أن الله تبارك وتعالى قال : ياداود : (**بلغ أهل الأرض ، أني حبيب من أحبني ، وجليس من جالسني ، ومؤنس لمن أنس بذكري ، وصاحب لمن صاحبني ، ومختار لمن إختارني ، ومطيع لمن أطاعني ، ما أحبني أحد من خلقي ، عرفت ذلك في قلبه ، إلا أحببته حباً لايتقدمه أحد من خلقي**) .

وفي حديث قدسي ، قال تعالى : (**إذا أحب العبد لقائي أحببت لقاءه ، وإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإذا تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإذا تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً**)(٢/٢٩) .

فالمجالسة والمصادقه ، تشعرنا بالحب واللذة الروحية مع الخالق تبارك وتعالى ، فالجلوس عند العالم من المستحبات التى أكد عليها الاسلام ، لأن جلوسك مع من هو أعلم وأرفع منك علماً وتقوى ، يجعل حالة من الإنسياب للعلم من الأكثر تركيز إلى الأقل تركيزاً ، كما أثبت علماء الفيزياء والمادة أن اقتران جسمين أحدهما يملك طاقة وحرارة أكثر من الآخر ، يجعل الطاقة والحرارة تنتقل من الجسم الأقل طاقة إلى الأكثر طاقة ، إلى أن يتساوى الجسمان مع بعضهما البعض في الطاقة والحراره .

فإذا كان جلوسنا مع آدمي عالم نستفيد من أحاديثة وخبرته ما يدعم سلوكنا وينقي نفوسنا ، له هذه الأهمية والكرامة ، فكيف إذا كان جليسنا هو الله تبارك وتعالى ، مالك الملك ، نور الأنوار أصل الوجود ومنشأه .. ماسك السماوات والأرض بقدرته ..

عندها تنساب الفيوضات الإلهيه والأنوار الرحمانيه من المعطي الملك المنان إلى العبد الضعيف المسكين والمستكين .. وتتوالي هذه الأنوار وتضمحل الكدورات ، ليحل محلها النفحات الربانية ، فيقتبس العبد من الرب جزء من نوره ، وتقتبس جوارحه إشعاعات فيض وجوده .

إلى أن يصل إلى درجة تتسامى فيها روحه ، وتعرج إلى بارئها وتحلق الى عالم المثل والقيم ، فينفصل عن الدنيا ، وعندها تتساوى الطاقة الكلية مع الطاقة الجزئية (مع فارق الرب عن المربوب) ، والى ذلك أشار الله تبارك وتعالى (عبدي أطعني تكن مثلي أقول

للشيء كن فيكون ، وتقول للشيء كن فيكون) . فيهبه ا لله من الملكات والإمكانات مالاعين رأت ولا خطر على قلب بشر .

فالمجالسة والمصادقة والحب تعني التزود بالنور الإلهي ، الذي لايشعر الإنسان بإشراقته إلا بالذكر والتسليم المطلق لله تبارك وتعالى ، فالذكر (**مجالسة المحبوب**)(٣٠) ، كما جاء عن الأمير (ع) .

والذكر يشعر الإنسان باللذة الروحية والأنس في مناجاته مع الخالق ، ففي حالة الخلوة تتجلى معاني الحب الإلهي ، وتتوحد علائق القرب الباقي ، وتتشيد وشائج العشق الروحي وما أروعها من ساعات تلك التي يقضيها المحب مع حبيبه ، حيث ينعدم فيها الزمن ، وتمتليء النفوس الضمآ من معين القدس الإلهي .

لذلك جاء في الحديث (**الذكر مفتاح الأنس**)(٣١) كما جاء في حديث آخر (**إذا رأيت ا لله يونسك بذكره فقد أحبك ، وإذا رأيت ا لله يؤنسك بخلقه ويوحشك من ذكره فقد أبغضك**)(٣٢) .

وكما جاء عن أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة : (**كن مطيعاً لله سبحانه ، وبذكره آنساً ، وتمثل في حال توليك عنه إقباله عليك**)(٣٣) .

ومن حق المحب عل الحبيب ذكره بلا إنقطاع ، والتلهج بإسمه بلا إمتناع ، والشوق إلى قربه بإحتراق ، والسعي لمرضاته بإتساق .

فإذا ذكرنا ا لله أحبنا ، وإذا أحبنا إصطفانا ، وإذا إصطفانا كان هو سمعنا وبصرنا وكل جوارحنا ، (**من أكثر ذكر ا لله أحبه**)(٣٤) .

وكما جاء عن زين العابدين (ع) : (**اللهم صلى على محمد وآله ، ونبهني لذكرك في أوقات الغفلة وأستعملني بطاعتك في أيام المهلة ، وأنهج لي إلى محبتك سبيلاً سهلة أكمل بها خير الدنيا والآخرة**) .

وينبهنا الإمام زين العابدين (ع) إلى تلك اللذة في مناجاته (**وأستغفرك من كل لذة بغير ذكرك ، ومن كل راحة بغير أنسك ، ومن كل سرور بغير قربك ، ومن كل شغل بغير طاعتك**)

فكمال اللذة الذكر ، وكمال الراحة بالأنس ، وكمال السرور والفرح بالقرب من الخالق تبارك وتعالى ، وما عدا ذلك سراب بقيعة يحسبه الضمآن ماءاً .

وماذا عسى المخلوق أن يطلب من الخالق ، إلا عطفه ورحمته ، وماذا يطلب الضعيف من اللطيف إلا قربه وحبه وصحبته ، وماذا يطلب الجاهل من العالم إلا قبسات من فيض نوره وتجليات قدسه .

فعندما يختلي الذاكر بمحبوبه ، تتعلق أنفاسه ، وتتوحد صفاته ، وتنطلق كلماته (إلهي بك هامت القلوب الوالهة ، وعلى معرفتك جمعت العقول المتباينة ، فلا تطمئن القلوب إلا بذكراك ولاتسكن النفوس إلا عند رؤياك)

عندها يدعوك رب العزة لقربه ، ويصطفيك لمحبته ، ويصطنعك لنفسه ﴿ **واصطنعتك لنفسي** ﴾ .

لذلك كان الذكر من أعظم النعم التي أكرم بها الخالق بني الإنسان ، لأنها شعور بالإنسجام ، بين متعلقين ، الروح والرب ، وحيث أن الروح نفحة من الرب ، إنفصلت منها بأطوار الخلق المختلفة ، إلى أن نزلت إلى الأرض وأستقرت في جسد المولود الذي كبر وشب في مملكة الله .

فاللذة في الذكر تنبع في إعادة هذه الروح إلى الكل الذي إنفصلت عنه ، وانخلقت منه ﴿ **فنفخنا فيه من روحنا** ﴾ ، فتشعر الروح بعروجها إلى بارئها ومصورها ومنشؤها ، النشأة الأولى ، فينتابها حالة من السمو والنزاهة والفرح .

أوحى الله إلى داود (ع) : ياداود : (**بي فأفرح ، وبذكري فتلذذ ، وبمناجاتي فتنعم ، فعن قليل أخلي الدار من الفاسقين ، وأجعل لعنتي على الظالمين**)(٣٥) .

وعن الرسول (ص) عندما سأل ربه : (أي الأعمال أفضل فوصف له المتحابين والمتوكلين .. إلى أن وصل إلى هذه العبارة (**نعيمهم في الدنيا ذكري ومحبتي ورضاي عنهم**)(٣٦) .

ويكفينا هنا أن نذكر وصية الله عزوجل لنبيه المصطفى (ص) عندما سأله : (يا أحمد هل تدري أي عيش أهنأ وأي حياة أبقى ..

أما العيش الهنيء ، **فهو الذي لايفتر صاحبه عن ذكري** ، ولاينسى نعمتي ، ولايجهل حقي ، يطلب رضاي في ليله ونهاره ، أما الحياة الباقية ، فهي التي يعمل (صاحبها) لنفسه ، حتى تهون عليه الدنيا وتصغر في عينه ، وتعظم اللآخرة عنده ، ويؤثر هواي على هواه ، ويبتغي مرضاتي ، ويعظم حق عظمتي ، ويذكر علمي به ويراقبني بالليل والنهار عند كل سيئة أو معصية ، وينقي قلبه عن كل ما أمره ، ويبغض الشيطان ووساوسه ، ولايجعل لإبليس على قلبه سلطانا أوسبيلاً ، فإذا فعل ذلك أسكنت قلبه حباً ، حتى أجعل قلبه لي ، وفراغه واشتغاله ، وهمه وحديثه ، من النعمة التي أنعمت بها على أهل محبتي من خلقي ، وأفتح عين قلبه وسمعه ، حتى يسمع بقلبه ، وينظر بقلبه إلى جلالي وعظمتي ، وأضيق عليه الدنيا ، وأبغض إليه ما فيها من اللذات ، وأحذره من الدنيا وما فيها كما يحذر الراعي غنمه عن موانع الهلكة ، فإذا كان هكذا يفر من الناس فراراً ، وينقل من دار الفناء الى دار البقاء ، ومن دار الشيطان الى دار الرحمن . فمن عمل برضاي ألزمه ثلاث خصال ، أعرفه شكراً لايخالطه الجهل ، وذكراً لايخالطه النسيان ، ومحبة لايؤثر معها على محبتي محبة المخلوقين ، فإذا أحبني أحببته ، وأفتح عين قلبه إلى جلالي ، ولا أخفي عليه خاصة خلقي ، وأناجيه في ظلم الليل ونور النهار ، حتى ينقطع حديثه مع المخلوقين ومجالسته معهم ، وأسمعه كلامي وكلام ملائكتي ، وأعرفه السر الذي سترته عن خلقي ، وألبسه الحياء حتى يستحي منه الخلق كلهم ، ويمشي على الأرض مغفوراً له ، وأجعل قلبه واعياً وبصيراً ، ولا أخفي عليه شيئاً من جنة ولا نار ، وأعرفه مايمر على الناس يوم القيامه من الهول والشدة وما أحاسب الأغنياء والفقراء والجهال والعلماء ، وأنومه في قبره ، وأنزل

عليه منكراً ونكيراً حتى يسألاه ، ولا يرى غمرة الموت ، وظلمة القبر واللحد ، وهول المطلع ، ثم أنصب له ميزانه ، وأنشر ديوانه ثم أضع كتابه في يمينه ، فيقرأه منشوراً ، ثم لا أجعل بيني وبينه ترجماناً ، فهذه صفات المحبين)(٣٧) .

الذكر نور القلوب :

النور هو الأصل الذي قامت عليه السماوات والأرض والخلق أجمعين ، ومن النور إنبثقت الحياة ، وتكونت الأفلاك وتوضحت معالم الوجود ﴿ **ا لله نور السماوات والأرض** ﴾(١/٣٧) .

وينظر البعض إلى النور من زاوية عقائدية أو تشريعية أو دينية ، أثرتها مؤلفات ومقالات العلماء والباحثين في أصول العقيدة وميدان العرفان ، وأكدتها الروايات والأحاديث الشريف .

إلا أن فكرة إنبعاث النور الأول ، أكدتها اليوم أحدث النظريات العلمية التي توصل إليها علماء القرن العشرين ، الذين أقروا بأن المراحل الأولى لبدايات الكون نشأت عن تمدد مادة أولية ، وحدث لها ما أطلقوا عليه (بالأنفجار العظيم) ، كما بينت لنا دراسات علوم الفيزياء النووية أن الجسميات دون الذرية ، أنتجت في مراحلها الأولى ، وبتأثير درجات الحرارة والضغط اللاحقة ، ذرات الكون الحديث النشأة ، كما أضاف رأياً آخر يتلخص بأنه لابد أن يكون قد نجم عن هذا الإنفجار العظيم ، وهج خافت من الإشعاع الأساسي ، نشأ بشكل منتظم وأنتشر في جميع أرجاء الكون .

كما تم إكتشاف وبمحض الصدفة في عام ١٩٦٥ عن طريق إستخدام جهاز ضخم إشعاعاً ضعيفاً منبعثاً من الفضاء ، فتم قياسه بمقاييس بمنتهى الدقة ، فتبين أن الأشعاع المذكور يقرب من (٣,٥) درجة فوق الصفر المطلق . تم البحث عن المصدر الحقيقي لهذا الأشعاع ، أهو منبعث عن الشمس أو عن مجرة التبانه ، فتبين في النهاية أن هذا الأشعاع لو كان مصدره الشمس لاشتدت كثافته باتجاهها ، أو كان مصدره درب التبانه لاشتدت

كثافته بإتجاهها ، وفي نهاية الأمر تم الإقرار بأن الإشعاع إنما هو بقية للإشعاع الأصلي الناجم عن النور الأول أو (الإنفجار العظيم) كما أطلقوا عليه ، والذي حدث قبل ١٢ مليار عام .

وبغض النظر عن موقفنا من نظريات تشكيل البنية الأولية للكون ، فإنها تجتمع على فكرة واحدة ، وهي إنبثاق الوجود من أصل نوراني ، إنساب مابين حرفين هما (الكاف والنون) فبدأ الوجود والخلق .

وإذا كانت الخليقة بدأت بوهج نوراني ، فإمتداد الخليقة لابد وأن يتبعه نور وشعاع رحماني . وقد تختلف طبيعة النور الأول عن الثاني ، فقد نرى الأول بعيوننا ، ولكننا نرى الثاني بقلوبنا ، نرى الأول ببصرنا ونرى الثاني ببصيرتنا ، ولكن إمتداد النور موجوداً مادامت الحياة ﴿ **ويأبى ا لله إلا أن يتم نوره** ﴾(٣٨) .

وإيماننا بالأصل النوراني للوجود يدعونا لنتساءل عن سبب الظلمانية التي يعيشها بني البشر ، والتخبط العشوائي الذي ينتاب حياته ، وكيف يستطيع أن يعود الى حضيرة القبس النوراني من جديد .

ظلمانية الإنسان . .

ظلمانية الإنسان .. دائرة ومحيط معتم ، تكونت من صور وتجسيدات السلوك المنحرف العاصي ، أحاطت بالإنسان وشكلت حاجزاً وبرزخاً بينه وبين النور القادم من السماء .

وأصل هذه الدائرة ، كأي أصل مادي يتكون من ذرات وجزيئات ، إلا أنها تتكون من الكدورات والرواسب الشهوانية ، فالذنب كدورة ، والمعصية شائبة.، تعلق بهالة الإنسان وتلازمه أينما حل أو إرتحل . تحيط به فتعمي بصيرته عن عالم المثل وحقيقة الوجود ، وبقدر كثافة وسماكة هذه الدائرة يكون تيه الإنسان وإبتعاده عن المحجة البيضاء في تلقي النور .

وإلى ذلك أشار دعاء أبي حمزة الثمالي : (**وأنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك**) ، فالبعد عن مصدر النور يتناسب ومقدرا الذنب ، والخطيئة ، فا لله عزوجل لاتخلو منه الأمكنة ولا الأزمنه ، فهو الذي أين الأين وكيف الكيف ، ولكن بعدنا الحقيقي عنه بقدر الهالة الظلمانية التي تحيط بنا ، كما أشار أمير المؤمنين (ع) : (**عميت عين لاتراك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك**) .

وحتى نتخلص من هالة العبث والظلام ، لابد من الإرتباط من جديد بأصل النور ، والتزود من قبساته الروحية ، وأن نطبق المعني العرفاني للهجرة الربانية ، وهي هجرة الهالة الظلمانية ، إلى النفس الرحمانية ، لنقيم لها كياناً جديداً في أرض جديدة وبمقومات سليمة .

ومن البديهي أن من يريد التخلص من الظلمة والعتمة يضييء مصباحاً ، أو يوقد سراجاً أو يشعل شمعة ، هذا إذا أردنا أن نتخلص من الظلام المادي ، أما إذا أردنا أن نتخلص من الظلام المعنوي (الكدورات والرواسب النفسية) فعلينا أن نعمل على إذابة (دائرة الظلمانية) وتحويلها إلى (دائرة رحمانية) تتمركز وتتمحور في القلب ، الذي يتصل بعد ذلك بمصدر النور الحقيقي للوجود . لذلك كانت (**ثمرة الذكر إستنارة القلوب**)(٣٩) .

وبنظرة تمعن للأحاديث الواردة في فضيلة الذكر بهذا الخصوص كما جاء عن أمير المؤمنين (ع) :

(**عليكم بذكر ا لله فإنه نور القلوب** ..)(٤٠)

(**الذكر جلاء البصائر ، ونور السرائر**)(٤١)

(**الذكر هداية العقول ، وتبصرة النفوس**)(٤٢)

(**الذكر يؤنس اللب ، وينير القلب ، ويستنزل الرحمة**)(٤٣)

(**ثمرة الذكر إستنارة القلوب**)(٤٤)

(**من كثر ذكره إستنار لبه**)(٤٥)

(**من ذكر ا لله إستبصر**)(٤٦)

يبين لنا العلاقة الترابطية بين مفهوم الذكر ، وتلقي النور ، فألاول أداة الثاني ، ولايمكن تجاوز الذكر للوصول إلى منبع النور ، كما يؤكد الحديث الشريف المروي عن الرسول (ص) : (**عليكم بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً ، فإنه ذكر لك في السماء ، ونور لك في الأرض**)(٤٧) يحيط بالانسان على الأرض ، مما يشكل هالته الرحمانية التي تنير قلبه وتبصره نفسه ، وتؤنس لبه وبالتالي يستنزل بها رحمة الله وكرامته .

فتوقد نور القلب ، والتحلي بقبساته ، تجسيد لمفهوم الذكر ، فعندما يتوقد نور الباطن ، يتصل بنور الظاهر وهو نور الحق تبارك وتعالى ، فيرى الذاكر رحمة الله التي وسعت كل شيء ، فينظر بنور الله ، ولايرى شيء إلا ويرى الله قبله وبعده وفيه ومنه وإليه ، فالذكر نور القلب وأداة الإتصال المباشر بين الخالق والمخلوق عبر النورين . وبذلك تعاد حالة الإندماج والإتساق الأولى في علاقة الإنسان بالنور الأول . كما نقرأ في مناجاة زين العابدين (ع) : (**وأجعل قلوبنا معقودة بسلاسل النور ، وعلقها من أركان عرشك بأطناب الذكر ، واشغلها بالنظر إليك عن مواقف المختارين**) .

الذكر .. والإلهام الإلهي

سمو الروح من الكمالات العرفانية التي يجتهد الإنسان للوصول إليها ، ويعتبر رفع الحجاب والإلهام حلقة من حلقات هذا السمو الروحي ، فينظهر الموحد بعين القدرة ، ويتكلم بلسان الحق ، فيرى الحق حقاً ويرى الباطل باطلاً دون ريب ولاتشكيك .

والذاكر الذي تتجلى أسماء الحق في روحه ، وتتجسد بجوارحه ، يشعر بزوال الحجب بينه وبين الفيوضات الرحمانية (**وأفتح عين قلبه إلى جلالي .. ولا أخفي عليه خاصة خلقي .. وأعرفه السر الذي سترته عن خلقي ..وأجعل قلبه واعياً وبصيراً**)(٤٨) وفي حديث آخر يقول تبارك وتعالى : (**وأفتح عين قلبه وسمعه حتى يسمع بقلبه وينظر بقلبه إلى جلالي ..**) .

ولانقصد هنا إستنزال الوحي ، فهذه مرحلة لايصل إليها إلا الأنبياء والأوصياء ، وهي مرحلة الكشف المعنوي والصوري .

ولكننا نقصد بالكشف (رفع الحجاب) التي يفيض على الذاكر لمعرفة كنه ماوراء الحجاب من الحقائق الغيبية ، والأمور الخفية الكامنة وراء الحجاب ، سواء عن طريق المشاهدة بواسطة الحواس ، أو طريق السماع أو عن طريق الملامسة بالاتصال بين النورين – كما سبق وأن أشرنا – .

وتحدث حالات الكشف والإلهام للذاكر الذي إستشعر بروح الأسم (وتهون عليه الدنيا وتصغر في عينه ، وتعظم الآخرة عنده ، ويؤثر هوى ا لله على هواه ، ويبتغي مرضاته ، ويعظم حق عظمته ، ويراقبه بالليل والنهار عند كل سيئة أو معصية ، وينقي قلبه عن كل مايكره ، ويبغض الشيطان ووسواسه ، ولايجعل لإبليس على قلبه سلطاناً وسبيلاً ..)

عند ذلك تستتم النفس جوهرها ، وتنال كرامتها من ا لله عزوجل ، فالنفس كريمة على ا لله ، مؤيدة من السماء ، ولابد من معرفة كيفية إتصالها بروح القدس ، عندما يرفع بينها وبين هذه الروح الحجاب . فيكون حصول العلم وسريانه في النفس البشرية ، سواء في نومها وتركها استعمال آله الحس ، وأما في اليقضة فتعي وتتصور ما ألقي إليها من ذلك العالم الإلهي ، ولمع في ذاتها من الأمور الغائبة الكائنة ، إلى أن تقوى قدرتها لوصول المعارف إليها لاعن طريق المحسوسات .

والذكر عندما يصل بالنفس البشرية إلى درجة الكشف والإلهام عن طريق معرفة النفس وجوهرها ، وإكتسابها العلوم والمعارف ، فذلك لكي يقرب الخالق تبارك وتعالى الإنسان إلى حضيرته القدسية ، ويعرفه بذاته النقية وتجلياته الرحمانية .

وإلا ما أبعد الإنسان التائه اللاهي عن معرفة ربه ، والدنو لقربه . فالانسان ينظر في حدود قدراته الضعيفة ، وحواسه المحدودة إلى الدنيا ، فلا يرى إلا اليسير ولا يبصر إلا القليل . فيعتقد بأن الحياة هي مايراه ويدركه فقط ، فتضيق نفسه ، ويمل معاشه ، متجاهلاً عالم ماوراء المادة والطبيعة ، الذي يقسم به رب العزة ﴿ **فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون** ﴾(٤٩) ، فالإنسان محكوم بحواسه ، محبوس بإدراكه ، يشعر أن الدنيا سجن كبير سيلاقي به حتفه ونهايته .

بينما الوصول إلى تجليات الذكر القلبي والوجداني ، يكشف الحجاب ، ويزيل عوالق المادة عن بصيرته ، فيرى ويدرك عوالم الغيب ، وعجائب صنع الله في الموجودات ، ما يعمق إيمانه بربه وبرسالته . لذلك إبتدأت سورة البقرة ، وهي أول سورة بالقرآن بعد الفاتحة المقدسة ﴿ **الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ..** ﴾(٥٠) فتم تقديم الإيمان بالغيب على الصلاة والإنفاق ، لأن الإيمان بالغيب وما وراء الحجاب يدعوك للصلاة والصوم والصلاة . أما الصلاة دون الإيمان بالغيب فهي صلاة التكليف ، وليس صلاة العروج والقرب .

وفلسفة الإلهام والكشف وإزالة الحجاب الفاصل بيننا وبين عالم الغيب ، إنما أكد عليها الإسلام ، لأنها وسيلة لحياة القلوب ، وإنعاش للروح ، فعالم المادة يميت القلب ويجمد المشاعر ويحجر الأحاسيس . فالروح تتوق لعالمها الغيبي وترتاح من حالات التأمل والخيال لأنها تمدها وتزودها بالطاقة واللطافة التي تحتاجها ، وتعينها على نموها وتطور مراحلها .

لذلك كان الذكر وسيلة العروج إلى عالم الغيب ، وتلقي الإلهام ، (**حياة القلوب**) كما جاء عن الرسول الأعظم (ص) . وكذلك (**الذكر قوت الأرواح**)(٥١) كما جاء عن الأمير (ع) .

كما أشار الرسول (ص) : (**بذكر الله تحيي القلوب وبنسيانه موتها**)(٥٢) ، فإذا إنقطعت وسيلة الإلهام والتجليات ، إنغلقت المعارف الإلهية ، مما يؤدي الى إماتة القلب وجموده وإبتعاده عن الله عزوجل .

جاء في نهج البلاغة عن الأمير (ع) عند تلاوته الآية الكريمة ﴿ **رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾ إن الله سبحانه جعل الذكر جلاء القلوب ، تسمع به بعد الوفرة وتبصر به بعد العشوة ، وتنقاد به بعد المعاندة ، وما برح لله عزت آلاؤه في البرهة بعد البرهة ، وفي أزمان الفترات عباد ناجاهم في ذكرهم ، وكلمهم في ذات عقولهم ، فاستصبحوا بنور يقظة في الأسماء والأبصار والأفئدة ، يذكرون بأيام الله ويخوفون مقامه ، بمنزلة الأدلة في الفلوات من أخذ القصد حمدوا إليه طريقه وبشروه بالنجاة ، ومن أخذ يميناً

وشمالاً ذموا إليه الطريق وحذروه من الهلكة ، وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات وأدلة تلك الشبهات ، وإن للذكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً ، فلم تشغلهم تجارة ولابيع عنه ، يقطعون به أيام الحياة ، ويهتفون بالزواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين ، فشاهدوا ما وراء ذلك ، وكأنما اطلعوا عيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه وحققت القيامة عليهم عداتها ، فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا حتى كأنهم يرون مالايرى الناس ، ويسمعون مالايسمعون ، فلو مثلتهم بعقلك في مقاومهم المحمودة ومجالستهم المشهودة ، لرأيت أعلام هدى ومصابيح دجى ، قد حفت بهم الملائكة ، وتنزلت عليهم السكينة ، وفتحت لهم أبواب السماء ، وأعدت لهم مقاعد الكرامات في مقعد اطلع الله عليهم فيه . .)(٥٣) .

ودوام الذكر يزيد من مادة المعارف الإلهية ، ويفتح نوافذ القلوب على خواص المباحث العرفانية ، فتنشأ علاقة ، وتنعقد حلقة بين النفس والخالق . ولأهمية هذه العلاقة ودوامها أوصى أمير المؤمنين (ع) ولده الحسن (ع) : (**أوصيكم بتقوى الله يابني ولزوم أمره وعمارة قلبك بذكره**)(٥٤) .

فالذكر أداة لعمارة القلوب لاستنزال المعارف الإلهية التي تحتاج إلى كشف الحجاب ، كمثل شخص يقول (ابني المنزل بالطوب) ، فالطوب أداة ومادة لبناء البيت الذي سيكون فيما بعد للاستقرار والراحة والسكن .

ويعتبر الإلهام وكشف الحجاب عن الإنسان وسيلة لغايتين هما ، معرفة الخالق تبارك وتعالى ، والعروج إليه ، وثانياً : لكي تنسجم النفس مع الواقع وتصلح في دنياها ، وتؤدي رسالتها على أكمل وجه .ولولا هاتين الغايتين من الإلهام ، ورفع الحجاب عن الإنسان ، لأصبح الكشف ترفاً بلا معنى ، وجزءاً لايؤدي إلى كل ذو نفع وغاية ، وهذا بالفعل ما نراه عند بعض المتريضين من الناس ، الذين يرتاضون لحصول الإلهام لا للوصول إلى غايات تخدم آخرتهم أو تصلح حياتهم وحياة الآخرين ، إنما لمصالح آنية محدودة .

(**مداومة الذكر قوت الأرواح ومفتاح الصلاح**)(٥٥) . فالروح إنما تحيا بقوت المعارف الإلهية العرفانية ، وهذه لا تأتي إلا بالكشف الروحي والإلهام .

ولو أمعنا النظر في حديث أمير المؤمنين (ع) : (**من ذكر ا لله سبحانه أحيا قلبه ونور عقله ولبه**)(٥٦) لعرفنا بأن الذكر يعرّف الإنسان بنفسه وعلّه وجوده ، وبذلك يعرف آخرته التي إبتدأت من أوله ، لأن أوله هي تلك النفس النقية الطاهرة التي جبلت من نفحة من روح ا لله تبارك وتعالى . فلو عادت آخر الأمر الى ربها بنفس هذه الصورة ، كان هو كمالها ونجاحها .

وبالذكر تتفتح آفاق العقل الإلهامية لتنهل من نور الخالق هذه المعارف ، فيعرف من أين بدايته والى أين مستقره ونهايته ، وإلا كيف يكون الذكر نور العقول بدون المعرفة التي تقتبس من عالم الكليات .

الذكر والحماية الإلهية :

من الخصائص التي ينفرد بها الذكر ، خاصية الرعاية والحماية ، فالذاكر شخص محبوب مقرب من رب العزة . هذا يذكره ويمجده ويحمده ويهلله ، وهذا يحيطه ويحرسه ويحميه . وما أروع هذه العلاقة التي يقول عنها ا لله عزوجل (**أنا مع عبدي ، ماذكرني وتحركت بي شفتاه ..**)

فمعّية ا لله وإجتماعه بالإنسان مرتبطة بالذكر ، ولنا أن نتساءل الآن :

ـ كيف يصيب الإنسان سوء إذا كان ا لله معه وهو يذكره .

ـ كيف يتعرض للأهوال والكوارث إذا كان ا لله معه ويذكره .

ـ كيف يُظلم أو يحزن أو يغتم إذا كان ا لله معه ويذكره .

لقد أختص ا لله عزوجل فضيلة الذكر بالحماية والرعاية ، وقال للإنسان إذا ذكرتني أكون عندك ، ومن كنت عنده أمن من الأهوال والمخاوف .

قال موسى (ع) لربه : (**من في سترك يوم لاستر إلا سترك ؟ قال : الذين يذكروني فأذكرهم ، ويتحابون في فأحبهم ، أولئك الذين إن أردت أن أصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم ، فدفعت عنهم بهم**)(٥٧) .

كما أوحى ا لله إلى بعض أنبيائه :

(يابن آدم : أذكرني في غضبك ، أذكرك في غضبي ، فلا أمحقك فيمن أمحق ، وأرض بي منتصراً ، فإن إنتصاري لك خير من إنتصارك لنفسك ، وإذا ظلمت بمظلمة ، فأرض بانتصاري لك ، فإن إنتصاري لك خير من إنتصارك لنفسك)(٥٨) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (**إحترسوا من ا لله عز ذكره بكثرة الذكر**)(٥٩) .

وكأنما يشير الأمير إلى أن الذكر يقي الإنسان مصارع السوء وبلاء الدهور .

وكما جاء عن الصادق (ع) : (**إن الصاعقة لاتصيب ذاكراً لله عز وجل**)(٦٠) .

وعنه (ع) : (**الصاعقة تصيب المؤمن والكافر ، ولاتصيب ذاكراً**)(٦١) .

وعنه (ع) : (**يموت المؤمن بكل ميته ، يموت غرقاً ، يموت هدماً ، ويبتلى بالسبع ، ويموت بالصاعقة ، ولايصيب ذاكراً لله**)(٦٢) .

ولايعني ذلك إستثناءاً في فلسفة الإبتلاء ﴿ **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون** ﴾(٦٣) فالمؤمن والذاكر والمتقي والعارف مبتلون وفق قانون الخالق الذي من أجله كان الثواب والعقاب ، إلا أن للذاكر كرامة على ا لله ، وفق مبدء العندية أو المعية (أنا مع عبدي ماذكرني وتحركت بي شفتاه) فا لله أكرم أن يعذب الإنسان بموت الفجأة وهو يذكره .. أو يفاجأ بصاعقة وهو يذكره .. أو يغرق عرض البحر وهو يذكره أو يسقط عليه السقف وهو يلهج بذكره .. هيهات لذات ا لله العلية أن يعذب ويبتلي مريده وذاكره بهذه العقوبات .

وهذا لايعني عدم تعرض الذاكر للمحن والإبتلاءات ، ولكننا نقول أن إبتلاء الذاكر وإختباره أمر من شأن ا لله وحده ، كما جاء في الحديث القدسي: (أهل طاعتي في ضيافتي وأهل شكري في زيادتي ، وأهل ذكري في نعمتي ، وأهل معصيتي أويسهم من رحمتي ، إن

تابوا فأنا حبيبهم ، وإن مرضوا فأنا طبيبهم ، أداويهم بالمحن والمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعائب) .

كما جاء عن الحبيب المصطفى (ص) : (**كل أحد يموت عطشاً إلا ذاكر ا لله**)(٦٤) .

توليت سياسته :

محدودية الإنسان وفقره ، تدعوه للإرتباط بمن هو أقوى منه بالعلم ، والقدرة ، والعطاء وغيرها من مصادر القوة والمنعة .

فالجاهل يحتاج للعالم ، والفقير يحتاج للغني ، والضعيف يحتاج للقوي ، والمحتاج يحتاج للكريم .. وهكذا لتدارك النقص والمحدودية .

وكانت علّة محدودية الإنسان ، ومحدودية قدراته ، لكي يرتبط بالخالق المطلق والقوي المطلق ، والعالم المطلق ، ليتقرب منه ويشعر بحاجته الدائمة إليه ، ويفهم المعنى الحقيقي للعبوية التي أرادها ا لله .

ويتعمق هذا الإرتباط بالذكر ليصل الى درجة يتولى فيها ا لله سبحانه وتعالى شئون عباده الصالحين وسياستهم . كما جاء في الحديث القدسي : (**أيما عبد إطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته ، وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه**)(٦٥) .

ولنا أن نتصور حياة يدير شئونها رب العزة والجلال ، فتكون النجاة والرحمة الموصوله ، وجلاء الهموم والغموم ..

كما جاء على لسان أمير المؤمنين (ع) : (**اذكروا ا لله ذكراً كثيراً خالصاً تحيوا به أفضل الحياة ، وتسلكوا به سبل النجاة**)(٦٦) .

وما أكثر العثرات والمنغصات والأخطاء التي تنشأ ، عندما يوكل الإنسان المبادرة إلى نفسه ، ويعتقد أن بإرادته يدير شئون حياته ، وبعقلة يصل إلى حقائق الأمور ، فتكثر مفاسده ، وتتكدر محاسنه ، وتنقلب حياته رأساً على عقب .

في حين يرى الذاكر أن حياته وفق توجيه ووصاية الخالق ، فيتحسس آثاره ، ويتلمس فيوضاته تبارك وتعالى ، إلى أن يصل إلى مراتب متقدمة لهذه الوصاية والولاية (ولاية الله للذاكر) بالإستجابة قبل الطلب ، وقضاء الحوائج قبل التطرق إليها (من شغل بذكري عن مسألتي ، أعطيته أفضل ما أعطي من يسألني)

وهي بالتأكيد مرتبة من مراتب الرفعة والشرف للإنسان ، أن يتولى الله سياسة العبد ، حيث قطع الباري على نفسه العهد والميثاق بالنظر بعين العفو والرحمة والرضوان إلى عبيده الذاكرين ، كما جاء في مناجاة الذاكرين ...

(وقلت وقولك الحق ﴿ فأذكروني أذكركم ﴾ ، فأمرتنا بذكرك ووعدتنا أن تذكرنا ، تشريفاً لنا وتفخيماً وإعظاماً ، وها نحن ذاكروك كما أمرتنا فأنجز لنا ما وعدتنا ياذاكر الذاكرين) .

ومن ثمار هذه الوصاية والولاية التي ترسخت بالذكر ، عصمة الإنسان من الوقوع في المحضورات والشبهات ، لتأييد الله له في السر والعلانية ، وتنبيهه الدائم له عن الوقوع في المحرمات ، وتوضيحه المستمر لعواقب الموبقات .

قال الله تعالى (**إذا علمت أن الغالب على عبدي الإشتغال بي ، نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي ، فإذا كان عبدي كذلك فأراد أن يسهو ، حلت بينه وبين أن يسهو أولئك أوليائي حقاً ، أولئك الأبطال حقاً** ..)(٦٧) .

فسبحان الذي خلق الإنسان وأيده ، وأودع فيه ملكوته وبصره ، واستنقذه برسالاته وأكرمه .

الذكر شيمة المتقين :

إرتبط الذكر بالمراحل المتقدمة للإيمان (كمفاهيم وكسلوك وكطقوس عبادية) ، أما من حيث إرتباطه بالسلوك فقد إرتبط بالجهاد والقتال وهما أسمى مراحل البر ، كما جاء عن الرسول (ص) : (ليس عمل أحب إلى ا لله ولا أنجى لعبد من كل سيئة في الدنيا والآخرة من ذكر ا لله ، قيل : ولا القتال في سبيل ا لله ، قال : لولا ذكر ا لله لم يؤمر بالقتال) .

وارتبط بالصلاة : (لا تزال مصلياً قانتاً ماذكرت ا لله قائماً وقاعداً أو في سوقك أو في ناديك أو حيثما كنت)

وأرتبط بالحج ﴿ وأذكروا ا لله في أيام معدودات ..﴾ .

وغيره مما أسلفنا ذكره سابقاً

أما إرتباطه بالمفاهيم التي تدرك الإيمان وحقيقة الأشياء ومفاتيح الغيب :

فقد إرتبط بالروح : (**مداومة الذكر قوت الأرواح**)

وأرتبط بالنفس : (**ذكر ا لله قوت النفوس ومجالسة المحبوب**) .

وارتبط بالقلب : (**عليكم بذكر ا لله فإنه نور القلوب**) .

وارتبط باللب : (**من كثر ذكره إستنار لبه**) .

وإرتبط بالبصيرة : (**من ذكر ا لله استبصر**) .

وارتبط بالفكر : (**دوام الذكر ينير القلب والفكر**) .

وارتبط بالضمير : (**ذكر ا لله ينير البصائر ويؤنس الضمائر**)(٦٩) .

وارتبط بالعقل : (**الذكر هداية العقول وتبصرة النفوس**)(٧٠) .

وارتبط بالصدر : (**الذكر نور العقول وحياة النفوس وجلاؤ الصدور**)(٧١) .

(**الذكر يشرح الصدر**)(٧٢) .

أما إرتباطه بدلالات الإيمان ومراحله فقد

ارتبط بالتقوى : (**ذكر ا لله شيمة المتقين**) .

(**ذكر ا لله مسرة كل متقي ولذة كل موقن**)(٧٣) .

وارتبط بالإحسان : (**ذكر ا لله سجية كل محسن وشيمة كل مؤمن**)(٧٤) .

وارتبط بخير الأعمال : (**ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من الدينار والدرهم ، وخير لكم أن تلقوا عدوكم فتقتلونهم ويقتلونكم ، قالوا : بلى يارسول ا لله ، قال : ذكر ا لله كثيراً**) .

وارتبط بالكرم : (**قيل يارسول ا لله من أكرم الخلق على ا لله قال : أكثرهم ذكراً لله وأعملهم بطاعته**) .

وارتبط بأصل الإيمان : (**ذكر ا لله دعامة الإيمان وعصمة من الشيطان**)(٧٥) .

وارتبط بالاخلاص : (**من أكثر ذكر ا لله فقد بريء من النفاق**)(٧٦) .

(**أفيضوا في ذكر ا لله جل ذكره ، فإنه أحسن الذكر وهو أمان من النفاق وبراءة من النار ، وتذكير لصاحبه عند كل خير يقسمه ا لله عزوجل ، وله دوي تحت العرش**)(٧٧) .

فإذا كان الذكر يرتبط بالممارسات الإيمانية والسلوك الرباني من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيره .. ويرتبط بمفاهيم ومراحل الإيمان من تقوى وإحسان وإيمان وكرم وإخلاص وغيرها .. يرتبط بكل المراكز الروحية التي يتعامل بها الإنسان مع عالم الغيب والشهادة (الباطن والظاهر) ، وبها يستدل على خالقه وبداياته ونهاياته ، كالعقل والفكر واللب والقلب والصدر والضمير والروح وغيرها

من هذه الإرتباطات المتعددة لا يسعنا إلا تأكيد فكرة أن الكمال الحقيقي للإيمان إنما يكون بالذكر (ولذكر ا لله أكبر) .

فالذاكر تجتمع فيه العناصر السلوكية والروحية والإيمانية ، وتورثه هذه العناصر صفة الكمال البشري (الآدمي) ليس فقط في آخرته ، وإنما كذلك في دنياه التي تعكس هذه

التجليات الكمالية ، فتستنجح جميع أعماله ، وتيسر جميع أفعاله ، كما جاء في الحديث (**ذكر ا لله تستنجح به الأمور وتستنير به السرائر**) ، وكما جاء عن الأمير (**من عمر قلبه بدوام الذكر حسنت أفعاله في السر والجهر**)(٧٨) .

وعندما تتجلى فيه هذه الحقائق يكون من أهل الذكر الذين قال عنهم أمير المؤمنين (**أهل الذكر أهل ا لله وحامته**)(٧٩) .

العلم .. ميراث الذكر

﴿ **فأعلم أنه لا إله إلا ا لله واستغفر لذنبك** ﴾(٨٠) .

تشير الآية الكريمة إلى بوابة العلم الحقيقي ، الذي يعتمد على أساسين هما :

تنقية الباطن ، وخلوصه من الكدورات العالقة بالنفس الإنسانية (الإستغفار) ، والحقيقة الثانية هي تأهيل النفس والروح للعروج والقرب من الخالق (الذكر) .

فتحصيل العلم يأتي ، إما عن طريق التعلم والإستذكار (مسموع) ، وإما عن طريق الإلهام والإستنزال (مطبوع) ، ونقصد بالاستنزال الإيحاء الذي يتم تلقيه بواسطة الروحانية اللطيفة التي تلازم الإنسان .

ولكلا النوعين آثارة الفعلية والعملية ، إلا أن أصل العلم هو ذلك النور الذي يقذفه ا لله في القلب ، لأنه يؤدي إلى الآخرة ، في حين أن علم (التعلم والاستذكار) لايؤدي إلى العلم الكلي (النوراني) .

وإلى ذلك أشارت الآية الكريمة ﴿ **إنما يخشى ا لله من عباده العلماء** ﴾(٨١) لتدلل على مفهوم العلم الذي يأتي بعد مرحلة العبادة والتوجه القلبي ، ويعمق الخشية تجاه الخالق .

والعلم بلا خشية ومعرفة وإيمان بالغيب ، يسمى ثقافة أو فكر ولا ينعت بالعلم . لأن الحكمة والإيمان بالغيب ، يكشف للإنسان الحقائق التي لايستطيع الاستدلال عليها أو كشفها عبر العقل أو النقل ، فالعقل محدود ، والنقل مردود .

لذلك كان العالم يختلي بنفسه أياماً وليالي طويلة إذا استشكلت عليه معضلة أو واجهته مشكلة ، يجد حلها بعد ذلك ويدعو الناس إليها . لذلك كان العلماء ورثة الأنبياء ، لأن الوحي وإن انتهت أيامه برحيل خاتم الأنبياء ، إلا أن هناك طرق ووسائل تهيء الإنسان ليرشح من التعاليم الربانية ما ينير بصيرته ، ويدعوه إلى الحق ، وهو ما يتجلى بمفهوم العلم أو (النور) .

إن إزدهار علوم المسلمين في الأزمنة المنصرمه ، ووصولهم إلى مستويات وحقائق متقدمة في الأبحاث العقلية والفلسفية والعرفانية والطبية والحكمية ، كان بسبب اعتقادهم وتجسيدهم لمفهوم العلم الحقيقي الذي يقوم على تنقية الذات والعروج إلى محل الصفات .

فإبن سينا ـ على سبيل المثال ـ كان يصلي ركعتين لله عز وجل ، كلما استشكلت عليه معضلة أو واجهته صعوبة في تشخيص الأمراض . يجد بعدها الفرج والمخرج ، وكذا بقية العلماء الذين أسسوا مباديء العلوم التي لاتزال تدرس في جامعات الغرب ومعاهدها .

كما أثبتت دراسات الغرب مؤخراً ، أن الإبداع والعبقرية في إحداث أمر ما ، وعلى الخصوص فيما يتعلق بعلوم الصنعة أو الحكمة ، كالرياضيات والطب والفلك يعتمد بشكل كبير على نقاء الباطن وتهيئة العقل . لأن الإبداع في هذه العلوم ، إنما يأتي عن طريق الإلهام بنسبة كبيرة تتجاوز ال٨٠ المائة ، وحتى يستقبل ومضات الإلهام لابد من تهيئة الأرضية المناسبة التي يستند عليها .

ذكر العلماء

لذلك يخطيء من يظن أن الذكر ، والرياضة الروحية ، أداة للتقاعس والتبلد والإنعزال ، فذلك جهل مركب لحقيقة الروحانية بشتى صورها وأبعادها .

ولعل من الصعوبة للوهلة الأولى إدراك الإزدواجية ، بين الذكر وتلقي العلم ، وقد يشكك البعض في هذه الإزدواجية التي تسير في خط متوازي . فما دخل العلم في الروحانيات ؟ وهل كل العلماء الذين نسمع عنهم أو نراهم .. هم روحانيين ؟

كما ذكرنا ـ آنفاً ـ فهناك فرق بين العلم (كنور) وبين تركيب الحروف وتناسق الجمل ، والتي يعتقد البعض أنها هي العلم . في حين أن العلم هو معرفة بواطن الأشياء ، والدلالة على منبعها الحقيقي ، وأصل وجودها ، وبالتالي صدق الحكم فيها ، ومعرفة المحكم من المتشابة والوقوف على الحقائق الكلية ، الخروج بمحصلة العدل والحكم بين الناس ، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿ **ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** ﴾(٨٢) وهذا لا يأتي إلا عن طريق إفاضة الحق ، وتلقي العلم من منبعة وهو ا لله عز وجل ﴿ وعلم آدم الأسماء ..﴾ ، ﴿ علم الإنسان ..﴾ ، ﴿ فأعلم أنه لاإله إلا ا لله ﴾ . وقد أشار الحق تبارك وتعالى في آية بمنتهى الصراحة والوضوح حين قال ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون** ﴾(٨٣) ، فالعلم .. كل العلم عند أهل الذكر ، ومن الطبيعي أن ا لله عز وجل لايرشدنا إلى أحد إلا وهو يعلم أنهم أهلاً للسؤال بحقائق الأشياء .

وعندما نقول سؤال (أهل الذكر) فلا يعني سؤالهم عن مسئلة دينية أو حكم شرعي ، وإنما سؤالهم عن مجمل العلوم المختلفة ، حتى في المجال السياسي والاجتماعي .فقد لا يكون عالماً بالسياسة ، ولكنه يجيبك ويتنبأ لك عن مستقبل بعض العلاقات السياسية ، وهي أرقي مرحلة يصل إليها علم السياسة ، (وهي مرحلة التنبأ السياسي) ، وقد لايكون طبيباً بارعاً بالطب ، ولكنه يعطيك نتيجة العملية الجراحية قبل إجرائها ، وهو ما يعجز عنه أمهر الأطباء المعالجين .

وتنجلي أمام ناظرينا معالم الدهشة والإستغراب ، ونحن نقرأ هذا الكلام عن أهمية الذكر ، عندما نعلم أن مركز العقل والإدراك والشعور والحكمة واليقضة والإحساس في الإنسان تتمركز في منطقة يطلق عليها (اللب) والتي أشار إليها الحق تبارك وتعالي في آيات عديدة من القرآن .

فالعقل واللب مصطلحان جاء ذكرهما في القرآن الكريم ، وعلى الرغم من تشابه مفاهيمهم ، إلا أن اللب يأتي في المواطن التي يشتد فيها التركيز الروحي ، وتعمق فيها الدلالة الغيبية ، وتتمركز فيه القوى الروحية التي تعمل بدورها على استنارة المراكز المجهولة

في الدماغ ، وتنشط قدراته وإمكانياته المختزنة . (فألوا الألباب) هم أصحاب العقول المؤهلة لتكون وعاءاً ومحطاً لاستنزال القوى الغيبية ، والأجسام اللطيفة ، والنفحات الربانية التي تثير الفكر وتنشط الروح وتخترق سحب المجهول .

لذلك دار اللب في رباعية صفات الحكماء ، وهي :

١/ القدرة على ربط السنن الكونية والحياتية في وحدة مركزية ، ومعادلة كلية تجمع الوجود والحياة والتاريخ والتجارب ، كما صرحت بذلك الآية الكريمة ﴿ **إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب** ﴾(٨٤) ، أي هؤلاء الذين يربطون الكون ـ السماوات والأرض ـ والحياة ـ الليل والنهار . وأصل الحكمة إنما تنشأ من ربط الكليات ، لذلك كان أولو الألباب من الذين نعتهم ا لله عز وجل في كتابه بالحكماء ﴿ **يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر إلا أولوا الألباب** ﴾(٨٥) .

٢/ القدرة على كشف الحقائق ، ذلك أن دوافع القوة الغيبية تمده بالحوافز ، وتهيء له وسيلة هذا الكشف ، فتراه يصل إلى حقائق غامضة ، و يبقر علوماً شائكة ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .. وما يذكر إلا أولو الألباب** ﴾(٨٦) .

٣/ البصيرة والنظرة البعيدة للأمور : فهو لاينظر للحدث الواقع إنما ينظر إلى خلفياته التي ستأتي بعد عقود من الزمن ، فتكون رؤيتهم ألمع من وميض البرق وأنفذ من مرمى البراق ، ولا يمرون على الحدث إلا واستلهموا منه العبر والدلالة الروحية والعملية ﴿ **ألم تر أن ا لله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ، ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً ، إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب** ﴾(٨٧) .

٤/ القدرة على التنبىء : ويحدث هذا عندما يتخلل العقل بالروحانية اللطيفة ، فتنبهه عن أمور المستقبل ، وتكشف له عن حقائق الغيبيات ، وبقدر علاقته مع هذه الروحانية التي تستقر في وعاء العقل ، تكون قدرته أكبر على هذا الكشف ﴿ **فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾(٨٨) .

وحتى تستغل هذه الملكة والهبة الإلهية ، وحتى تتوقد هذه الشعلة ، عين الله لها قبساً ينيرها ، ونوراً يتخللها ، وهو الذكر ، حيث جاء على لسان أمير المؤمنين (ع) : (**من كثر ذكره استنار لبه**)(٨٩) فاللب يتوقد بكثرة الذكر لانه عامل الإثارة النوراني ، كما جاء عن الأمير في حديث آخر (**الذكر يونس اللب ، وينير القلب ، ويستنزل الرحمة**)(٩٠) . جاء وصف اللب هنا بالكائن الحي الذي يحتاج الى الأنس ، كدلالة على روحانية هذه المنطقة التي أكرم الله بها الإنسان ، وبها تشرف على سائر المخلوقات .

فالعلم (النور) يجتمع مع اللب في أية قرآنية عظيمة - وكل آياته عظيمة - حيث يؤكد الحق تبارك وتعالى أن العلم إنما يأتي بتأهيل اللب ، وجعله أرضية خصبة لاستقبال الروحانية ، وذلك عبر العروج بالنفس إلى رحاب الإيمان ومنازل اليقين والتوجه القلبي والقالبي للخالق الباري ﴿ **أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ، ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب** ﴾(٩١) فالعلم الحقيقي يتجلى للذاكرين دون غيرهم ، فللإيمان مجالاً مغناطيسياً يجتذب الروحانية والعلم من مستودعاته ويحرره على صحيفة العقل الذي ينطق به الإنسان.

ولو سألنا أنفسنا .. من أين يأتي العلم ؟ أليس يأتي من البصيرة .. ألا يأتي من العقل ؟ ألا يأتي من الفكروصفائه .. ؟ وكل هذه الأمور لا يقوم لها أساس بدون الذكر (**فالذكر هداية العقول ، وتبصرة النفوس**) ، و (**دوام الذكر ينير القلب والفكر**) ، (**ثمرة الذكر استنارة القلوب**) و (**الذكر جلاء البصائر ، ونور السرائر**) .

الحكمة .. والرياضة الروحية

قد يتهمنا البعض بالغلو .. أو تبني بعض المعتقدات التي ترشحت من آفاق الزمن . مما يجعلنا نؤكد أفكارنا ومعتقداتنا بالكتاب والسنة والسيرة ، لنتيقن دون شك أو ريب بهذه الحقائق التي يجدها الباحث في صلب عقيدتنا الإسلامية .

فكثيرة هي الأحاديث والروايات التي تربط العلم بالرياضة الروحية أو المستحبات كما هو المتعارف عليها ، فالرياضة الروحية لاتخرج عن إطار المستحبات واجتناب المكروهات التي شرعها الله عز وجل لبني البشر . وتدلل العديد من هذه الأحاديث على ربط الجوع والخلوة والصمت ـ مثلاً ـ بالعلم ، كما جاء في خطاب الله عز وجل لنبيه محمد (ص) : (**يا أحمد لو ذقت حلاوة الجوع والصمت والخلوة وما ورثوا منها .. قال يارب : ما ميراث الجوع ، قال : الحكمة ، وحفظ القلب ، والتقرب إليّ** ..)(٩٢) وغيرها من صفات روحية عالية المضمون ، إلا أننا نجد الحديث قدم الحكمة لأنها أم العلوم الأخرى ، وبها تتفتح أبواب التلقي والعروج ، وتعود إليها كل البدايات والنهايات .

وفي حديث قدسي آخر : (**أول العبادة الصمت والصوم**) قال يارب : ما ميراث الصوم ، قال تعالى : (**الصوم يورث الحكمة ، والحكمة تورث المعرفة ، والمعرفة تورث اليقين ، فإذا استيقن العبد لا يبالى كيف أصبح بعسر أم بيسر**)(٩٣) . فالجوع والزهد والصوم تورث العلم والحكمة ، لأنها تعمل على تهيئة الأرضية ، ونقاء النفس ، وخلو القلب من أية كدورة أو شائبة ، لتحل محلها العلوم الإلهية .

وإذا كان العلم ـ نور يقذفه الله في قلب من يشاء ـ فمن الطبيعي أن يستوجب هذا الإيجاد والقذف ، تهذيب السيرة الروحية للسالك ، وعمله بالمستحبات المورثة لكل ما من شأنه إستقرار النور في القلب .

(يا أحمد ، إن العبد إذا جاع بطنه ، وحفظ لسانه علمته الحكمة ، وإن كان كافراً تكون حكمته حجة عليه ووبالاً ، وإن كان مؤمناً تكون حكمته له نوراً وبرهاناً ، وشفاءاً ورحمة)(٩٤)

ولا نريد هنا الحديث عن ينابيع الحكمة ، بقدر ما أردنا التأكيد على أن الرياضة الروحية ليست أداة للتقاعس كما يدعي البعض ، بل هي بوابة العلم والحكمة ، وسوف نتناول هذا الموضوع في الفصل الخامس من هذا الكتاب .



الفصل الخامس

شروط الذاكرين :

ـ صدق الإعتقاد

الذكر لله أم لهباته

معرفة روح الأسم والتخلق بصفاته

ـ المداومة والإستمرارية

ـ إستقرار الأحوال القلبية

ـ إختيار الأوقات المناسبة

ـ الخلوة والعزلة . . الكيان الذاكر

ـ التأمل والتفكر

ـ التحصين

ـ الرياضة الروحية



شروط الذكر

إن كرامة وعظيم شأن الذاكر تعلو وترتقي في تمثيله وتجسيده لشروط الذكر ، فمع عظم المذكور وتجلي أسمائه ، إلا أن الكرامة الحقيقية لا تتأتى إلا بعد سعي الذاكر في توفر شروط ومستلزمات الذكر ، لكي تكتمل حلقاته ، ومفرداته التي تؤهل الإنسان ليكون ذاكراً على الحقيقة ، يكون أرضية مؤهلة للتلقي . فالذكر مشروط بإندماج البعدين (الملقي والمتلقي) ، وكل خطأ يشوب عملية الذكر مردها إلى المتلقي ، لأن الملقي (وهو ا لله تبارك وتعالى) صادق في وعده ووعيده لايخلف ماصرح به من عظم لطفه بالذاكر .

وحتى تكتمل رؤيتنا ، ونؤطر منهج الذكر بصورة أكثر شمولية ، كان لزاماً علينا أن نتطرق ولو بشكل سريع للشروط الواجب مراعاتها في الذكر .

شروط الذكر :

أولاً : صدق الاعتقاد

﴿ **صدقوا ما عاهدوا ا للهَ عليه** ﴾[1] .

عندما يرطب المرء لسانه بذكر أحد ، ويكثر من مديحه ، والثناء عليه ، فلا أقل أن يكون هذا الذكر مرتبط بحالة من الإطمئنان والمعرفة الصادقه ، والتوجه لهذا الشخص الذي يستحق هذا المديح والثناء . وإلا فكيف يمتدح إنساناً يجهل شخصه ، أو يثني على أحد لا يعرف فضله . وكذا هو الحال بالنسبة لذكر ا لله تبارك وتعالى فلابد أن يرتبط بالمعرفة الحقه ، وأن يعرف الذاكر من يدعوه ومن يناديه ويناجيه ، ومن هو ا لله الذي يلهج لسانه بذكره .

أن يعرف هذا الرب ، وهذا الإله الرحيم الودود ذو الرحمة الواسعة والآلاء الساطعه ، والبراهين الباهرة ، لذلك أوحى ا لله تعالى إلى نبيه داود (ع) : (**صفني لخلقي بالكرم والرحمة ، وأني على كل شيء قدير** .. **إلى أن قال** : **مالكم لاتقدسون ا لله وهو مصوركم وخالقكم على ألوان شتى ؟ ما لكم لاتحفظون طاعة ا لله آناء الليل والنهار**)(٢)

ومعرفة الخالق إنما تأتي على مراتب علم الإنسان وإستعداده ، فمن لطفه تبارك وتعالى أنه أعطى خلقه فوق الكفاية ، وكلفهم دون الطاقة ، ويسر لهم الوصول إلى السعادة بسعي خفيف في مدة قصيرة وهو عمر الإنسان ، كما قال تعالى (**لم أكلفك فوق طاقتك ولم أحملك من الأمانة إلا ما قدرت عليه**)(١/٢) فلا يطلب ا لله عز وجل من عجوز أمية ، أو رجل جاهل سبر أغوار العقيدة لمعرفته ، إنما يكتفي أن يعرف أن ا لله هو الرب الواحد الأحد لاشريك له ، وأنه بيده مقاليد السماوات والأرض ، وهو على كل شيء قدير ، وأنه هو المربوب العاجز الواهن الضعيف ، كتلك العجوز التي سألها أحد الصحابة : كيف عرفت ا لله ، وكانت تغزل الصوف بمغزل لها ، فقالت : إن مغزلي لا يدور إلا إذا أدرته فهل يعقل أن الخلق والأفلاك دارت بدون محرك وبدون رب عليم ، أو كقول الأعرابي الذي قال : البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير ، أفخلق كهذا لايكون بيد قدير خبير .

أما المؤمن العارف فلابد ألا يكتفي بمعرفة العجائز ، لأن ا لله وهبه عقلاً ونفساً ، وأغدق عليه المعارف ، فلا بد أن تكون معرفته با لله أنفذ من بعرة البعير ، أو أثر المسير ، لأن الأمي عندما يذكر ا لله بمعرفته المحدوده ، تتكامل فيه إنطباعاته عن الخالق ، وتصل إلى درجة كمالها المطلق ، أما العارف والمؤمن الواعي يتكامل الذكر عنده بقدر معرفته وإطلاعه على من يذكره ، لذلك جاء في السورة الثالثة والعشرون من (كلمة ا لله) : **أنا ا لله فاعرفوني ، وأنا المنعم فاشكروني ، وأنا الغفار فاستغفروني ، وأنا المقصود فاقصدوني ، وأنا العالم بالسرائر فاحذروني**)(٣) .

فالخوف من ا لله عز وجل (مثلاً) عند الرجل العادي ، هو الخوف من النـار والعـذاب والحريق .. وما أشبه ، وهذا يدعوه للإلتزام بكـلام ا لله ، وتطبيـق أحكامـه . أمـا خـوف العالم (ونقصد به العالم المفكر والمتأمل لفلسفة الخلق) فهو يجد أن الخـوف أداة لإفاضـة الحكمة والعلوم الحقة على قلب الإنسان ، فتشمل ترك المنهيات والعمل بالواجبـات ، بـل وإجتناب المتشابهات كذلك ، لأنها تكون حجاباً عن تلقي الحكمة من ا لله عز وجل .

فعدالة ا لله عز وجل جعلت الثواب والعقاب على قدر العلم الحاصل في قلب الإنسـان ، لذلك ينبغي للسالك في مسألة المعرفة عدة أمور نذكرها بإيجاز :

توحيد ا لله عز وجل :

والتوحيد يبدأ بمعرفة الخالق .. ولكن كيف نعرف الخالق ؟

في الحديث عن ا لله وتوحيد الخالق ، وكل ما هو فوق العرش ، نلجأ إلى مدينـة العلـم ، وأصل العلوم الإلهية والعرفانية ، ومنبع أصول الحكمة ، محمد بن عبدا لله (ص) الرسـول الأعظم الذي خلقه ا لله من نور عظمته ، البشير النذير والصراط المستقيم .

هذا النبي الذي أفرغ نوره وعلومه لإبن عمه أمـير المؤمـنين (ع) وصـرح بـه في خطبـه الغراء ، تلك الخطب التي ركزت في موضوعاتها على ماهيـة التوحيـد وفلسـفة الوجـود ، وعرفت الإنسان بربه وبنفسه وآخرته .

فللدلاله على موضوع التوحيد نلجأ إلى علـوم أهـل البيـت (ع) وإشـارات أحـاديثهم لأنهم الأدلاء على ا لله ، ولانعتمد على عقولنا المجردة المحدودة في معرفة الخالق وما يرتبـط به من موضوعات ، كما هو الحادث اليوم عند بعـض المسـلمين ، فيصـور ا لله عـز وجـل بالجسم ، وأنه يرى يوم القيامه وغيرها من المعتقدات التي قيست وفق عقليـات أصحابهـا دون تقدير أو إجلال للخالق تبارك وتعالى .

فيقول أمير المؤمنين (ع) في معرفة الخالق : (**لم يطلع العقول على تحديد صفته ، ولم يحجبها عن واجب معرفته**) أي أن الله لم يطلع الإنسان على عمق الصفات وكنهها ، وذلك لمحدودية العقل وعدم قدرته على الإحاطة بالصفات اللامحدودة ، إذ لا يمكن للعقل المحدود أن يدرك صفة غير محدودة مطلقاً ، كما لايمكن لمحدود أن يعرف غير المحدود سواء بالعقل أو بالفكر أو العرفان ، وسواء كان بالدماغ أو القلب لذلك يقول الأمير (ع) (**لايدركه بعد الهمم ولايناله غوص الفطن**) فلا يستطيع معرفته المفكرون الذين يعتمدون على أعمال الذهن ، ولا العارفون الذين يعتمدون على التأملات وغير ذلك ، فمهما توغلوا في بحر العلوم العقلية والعرفانية ، فإنهم سيصلون إلى حد لايستطيعون تخطيه وهذا قمه التنزيه والإجلال للخالق تبارك وتعالى ، فمعرفة الله ملازمة للإعتراف بالعجز دوماً عن معرفته ، فأرقى ما يصل إليه العقل ، وكمال ما يصل إليه الفكر هو الإعتراف بالعجز والجهل عن معرفة الذات الإلهية .

كما أشار إلى ذلك الأمير في نهجه (**فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود ، تعالى الله عما يقوله المشبهون به والجاحدون له علواً كبيراً**) .

والمتمعن لنهج البلاغة في تنزيهه للخالق وتوحيده ، يجد أن الأمير في بداية خطبه يؤكد على أهمية معرفة الله كضرورةٌ يستلزمها الإيمان والدين (أول الدين معرفته) ، في حين نجده بعد ذلك يؤكد على عجز الإنسان عن معرفة الذات المقدسه ، وما بين المرحلتين يوضح لنا نهجاً عقائدياً وعرفانياً في كيفية المعرفة الحقة ، عن طريق الإستدلال وقيام الخلق على نظام العلية والمعلول (كل معروف بنفسه مصنوع وكل قائم في سواه معلول) أي أن كل موجود مهما كان نصيبه من الوجود ، هو موجود معلول إلا الله تعالى شأنه .

فعندما يعرف الإنسان نفسه بأنه مخلوق ، لابد أن يعرف بأن له خالقاً مدبراً حكيماً ، وهبه الحياة وأغدق عليه نعمه ظاهرة وباطنه .

لذلك يكون منهج التفكير لمعرفة ا لله ، ليس تفكـراً .في ذات ا لله إنما يكـون في العلـوم الإلهية ، والتفكر في نظـام الخلـق والكـون ، ليسـتدل بهـا الإنسـان علـى بدائـع خلـق ا لله وصنعه ، وبهذا يكون قلب الإنسان محط للإستدلال الإلهـي ، (**إن هـذه القلـوب أوعيـة فخيرها أوعاها**) ، وكأن القلوب آنية يكون أفضلهـا مـا يسـتوعب الإسـتدلالات الإلهيـة والمعارف الربانية .

وما أكثر الطرق والوسائل لمعرفة الخالق وآثاره في الموجـودات ، فـالطريق إلى ا لله بعـدد أنفاس الخلائق ، شريطة أن يكون القلب وعاءاً متسعاً لها ، وكما جاء عن الأمير (ع) : (**كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع به**) .

وجـاءت أهميـة دراسـة العقيـدة فيمـا يتعلـق .بمعرفـة ا لله ، وأسمائـه وصفاتـه وأفعالـــه ، كضرورة ملحة للذاكر ، لأنه يزيد من عمق الرابطـه بـين الإنسـان وربـه ، ويـزداد تعلقـه بهذا الإله العظيم ، الذي ليس كمثله شيء . فعندما يعلم الذاكر أن من يذكـره مـنزه عـن النقص والحاجة ، يجده أينما طلبه ، لايجري عليه نظـام الحركـة والسـكون ، بيـده مقـاليد السماء والأرض ، السماوات مطويات بيمينه ، عندهـا يعلـم مـن يذكـر ، فيخشـع قلبـه ، وترتعد فرائصه لهذا الإله العظيم .

والوصول إلى حقيقة التوحيد بدلالة الخلق والموجودات الداله على ا لله ، آيه للذاكريـن ﴿ **الذين يذكـرون ا لله قيامـاً وقعـوداً وعلـى جنوبهـم ويتفكـرون في خلـق السـماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنـا عـذاب النـار** ..﴾ حيـث تلخـص هذه الآية فحوى الذكر وإرتباطه بالتفكر والإستدلال على معرفة الخالق عز وجل .



الكمال المطلق لله :

لأنه أصل كل الكمالات الوجودية ، ومنه تفيض إلى عالم الوجود والمقصود بالكمال المطلق للخالق هنا ، ألا يتصور أو يتخيل الذاكر أى صورة أو شكل لله عزوجل ، كما جاء في مضمون كلام الصادق (ع) : (أي شيء تخيلته بفكرك أو قلبك فأعلم أن ا لله غيره) .

فاستمرارية الذكر تهيج جنود إبليس للنيل من الذاكر ، فيبدأ في التخيل والتفكر بالخالق بصورة جسمية ، كما ذهبت إليه بعض المذاهب المنحرفة ، أو يقول في نفسه إن ا لله معي الآن وحدي لأني أذكره ، وهو بالتالى غير موجود في مكان آخر .. وغيرها من الصور الذهنية التي يلعب في تشكيلها الشيطان بكل دقة ووضوح . و هذا الشعور يحد ا لله في صفاته ، فأوجده في مكان واحد ، ونفى وجوده في مكان آخر .

لذلك يجب أن تتلاشى كل الصور والتخيلات بذهن الذاكر ، وإذا أراد توهم شيء من التجسيم يلجأ على الفور بالتعوذ ﴿ **إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا** ﴾(٤) والإستدلال بالآية الشريفة ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ ﴿ **و لله المثل الأعلى** ﴾ .

فهو الكمال الذي لاينتابه نقص ولاشائبة ، وكما يستدل الأمير (ع) على ذلك بقوله (لاتجري عليه الحركة والسكون) فلا وجود لنظام التغير فيه أنه ثابت ، بل هو فوق التحول والتغير ، لأن الغرض من التحول والتغير هو الوصول إلى الكمال ، والكمال غير المحدود هو هدف المتحركين والسائرين ، أما ا لله سبحانه وتعالى فلا حركة له لأن الحركة لاتهدف سوى الوصول إلى الكمال ، وهو نفسه كمال لامحدود وكمال محض .

(فكل شيء خاضع له ، وكل شيء قائم به ، غنى كل فقير وعزكل ذليل ، وقوة كل ضعيف) .

والإقرار بالكمال المطلق لله يثمر اليقين في قلب الذاكر ، والثقة وحسن الظن بربه وخالقه ، حتى وإن استبطأت عنه الإجابة ، فلا يشك بربه عند إقتار رزقه أو تكالب المصائب والبلاء عليه ، فبا لله فليثق ، وبحسن الظن بربه فليتيقن ، (**يابن آدم : خلقتك من تراب ثم من نطفة ، ولم أعي بخلقك ، أيعنيني رغيف أسوقه إليك في حينه**)(٥) .

الذكر لله أم لهباته :

يقع كثير من الناس فريسة حبائل الشيطان الذي يحول ذكر الإنسان لخالقه إلى هباته وعطاياه ، فيذكر ا لله لكي يعطيه ا لله الصحة ويهيء له الرزق ، ويكشف له الحجب ، وتتناوب عليه الإشراقات النورانية في اليقظة والمنام ، وليس هذا بالأمر المحرم شرعاً ، إلا أنه ذكر التجار وألوا الحاجات ، كما قال أمير المؤمنين : (إن قوماً عبدوا ا لله خوفاً من ناره فتلك عبادة العبيد ، وإن قوما عبدوا ا لله طمعاً في جنته فتلك عبادة التجار ، وإن قوما عبدوا ا لله رهبة فتلك عبادة الأحرار) .

وا لله عز وجل لايبخل على من يدعوه ، فيستجيب للذاكر حاجته من قضاء حاجة أو تفريج كرب أو إستنزال رزق ، ولكنه في منزلته يختلف عن الذاكر الذي يريد مرضاة ا لله تبارك وتعالى ، ويشعر برحمته تدغدق قلبه ، وبإفاضاته الروحية تملىء مشاعره .

فلابد أن يسأل الإنسان نفسه .. هل يذكر ا لله ويناجيه ويدعوه كما هو أهله ؟ أم يذكره لهباته وعطاياه ؟ فالذاكر الحقيقي يتلذذ بمناجاة ا لله وحده دون أي طلب أو حاجة خالصاً لوجهه تبارك وتعالى (**إجعل لساني بذكرك لهجاً ، وقلبي بحبك متيماً**) .

يذكره جزاء إحسانه وعطاياه التي أغدقها عليه منذ أن كان روحاً في عالم الذر (الأرواح) فأكرمه بالوجود والخلق ، وهداه إلى شريعة التوحيد وإلي الدين القويم ، وهيء له سبل الخلافة في الأرض .

فالذاكر يستحي من الله أن يطلبه بشيء ، لخلوص نيته ، وتسليمه المطلق لهذا الإله ، وعندما يعلم الله إخلاص العبد يقضي حاجته دون أن يبادر هو في طلبها . كما جاء في الحديث القدسي : (**من شغل بذكري عن مسألتي ، أعطيته أفضل ما أعطي من سألني**)(٦) .

ومن الأمور الواجب إيضاحها فيما يتعلق بهبات الذكر ، أن كثير من الناس يتضررون بالذكر أكثر من نفعهم ، ففي حال الضروره والحاجه يناجي الإنسان ربه ويتضرع إليه عند نزول الشدائد والمحن ، ويذكره ، فترى الرجل له إعتقاد حازم ولو بالتقليد أو المعرفة النظرية بحقيقة الذكر وتأثيره ، وهنا يترصد الشيطان لهذه الفئة ، فيوسوس له أنه لم يذكر الله إلا لحاجة ، وعندما لايستجاب له حاجته ، ولا يرى في ظاهر الحال أثر استجابته ، تقل عقيدته بالذكر ، وينتابه شكاً في القلب وإعراضاً وتكذيباً ، وغير ذلك من المفاسد التي كان سالماً منها قبل الذكر ، والبعض منهم يتوقف عن الدعاء والذكر لأنه لم يلبي حاجته .

لذلك على الذاكر أن يفرغ قلبه لله وحده ، وألا يشرك معه شيئاً آخر ، ولا يذكره طمعاً في هبة أو عطاء ، حتى وإن كان عطاءاً روحيا ، كالتجليات أو الكشف .. وغيرها من أمور كما حدث لدى بعض الجماعات الذين إتجهوا للذكر والرياضات الروحية بهدف الوصول إلى الكرامات والتجليات والكشف ، وابتعدوا عن المفهوم الحقيقي للذكر والحب والعشق الإلهي والتوجه الروحي .

فإذا استبق الذاكر تحديد هدفه بوضوح ، قبل سلوك طريق المريدين والمحبين ، وأخلص نيته لله تبارك وتعالى ، ولم يطلب سوى رضا الله والقرب منه ، دون شائبة أو غرض ، فقد أيقن بالطريقة والصراط الأمثل في طريقه .

(**يابن آدم : تريد ، وأريد ولايكون إلا ما أريد ، فمن قصدني عرفني ، ومن عرفني أرادني ، ومن أرادني طلبني ، ومن طلبني وجدني ، ومن وجدني ذكرني ، ومن ذكرني ذكرته**)(٧) .

معرفة روح الإسم والتخلق بصفاته :

على الذاكر مراعاة تنزيه الخالق تبارك وتعالى عن كل نقص أو خلل ، وتنزيهه عن المحدودية أو الجزئية ، فآيات ا لله الكريمة تؤكد الإطلاق الذاتي ، وعدم تناهي الذات ﴿ **وكان ا لله بكل شيء محيطا** ﴾(٨) ، ﴿ **إن ا لله على كل شيء شهيد** ﴾(٩) .

كما يجب مراعاة الإعتقاد بهذه الأسماء التي لا تتجلى لصاحبها إلا عند الطهارة الكاملة سواء الحسية منها أو المعنوية ، ثم رياضة الفكر والتأمل في هذه الأسماء ، ومعانيها إعتباراً واستقراراً ، بحيث يكون عن ذلك اليقين الكامل لمعرفة أسرارها والحزم التام بتأثيراتها ، والتخلق بجميع الأسماء ليعطيه كل أسم ما في قوته .

فكيف للذاكر أن يكون بخيلاً وهو يناجي ربه (ياكريم) ، أو يحاسب الناس على صغائر أعمالهم وهو يذكره (ياعفو ياغفور) ، أو يكون سيء الخلق مع الناس وهو يذكره (يا أنيس من لا أنيس له) .

فحتى يحصل له الإندماج الكلي مع الأسماء يجب أن تتجلى هذه الأسماء في نفسه وروحه وأن يخلى ما في نفسه ويبقى ا لله وحده دون أدنى شائبة من شوائب الدنيا أو متعلقاتها وألا يشرك به شيئاً ، كما جاء عن النبي (ص) : يقول ا لله سبحانه : (أنا خير شريك ، من أشرك معي شريكاً في عمله فهو لشريكي دوني ، فإني لا أقبل إلا ما خلص لي)(١٠) .

كما يجب أن يعرف نفسه لأنها مفتاح الأسماء ، بل هي مفتاح معرفة الخالق تبارك وتعالى ، (فمن عرف نفسه فقد عرف ربه) كما جاء في الحديث الشريف ، (**إعرف نفسك أيها الإنسان تعرف ربك ، ظاهرك للفناء ، وباطنك للبقاء**) وهذه المعرفة ترتبط بحقيقة الوجود وخلق الإنسان ودوافع النفس وقواها وإنفعالاتها ، والعمل على معرفتها يحدد فيما بعد طرق وأساليب تقويمها .

لذلك يخطيء كثير من الناس عندما يتوجهون للذكر ، ويخوضون هذا العلم دون دراسة وتحليل لحقيقة النفس أو الروح ، وكيفية التغلب على الإنفعالات الذاتية ، والتوجهات الآنية ، والصفات العصبية .

فالبعض يتصور الروحانية هي مجرد مطالعة كتب ماوراء الطبيعة أو دراسة آخر الإكتشافات العلمية عن الجن والأشباح ، أو التعمق في معرفة ودراسة الحروف والطلاسم دون أن يمس ذلك تغييراً في نفسياتهم أو سمواً لأرواحهم .

كما نرى من يذكر الله دون معرفة لروح مايذكرونه ، أو دون أن تتحلى نفسياتهم بروح هذه الأذكار .

فالإنسان هو أسم الله الأعظم ، كما صرح بذلك كثير من علماء العرفان ﴿ **وفي أنفسهم أفلا يبصرون** ﴾(١١) ، فهو أعظم آية من آيات الوجود ، لما استودعه الله من العقل والعلم والحكمة ، وعندما يدرك الإنسان حقيقة نفسه ، تنفتح له مدارك الغيب ، وتتوقد بصيرته بنور الإلهام .

والذكر له من القوة والفاعلية ، والإنس ما لا يحوزه أو يتلذذ به إلا من عرف نفسه وأشرق نور اليقين في قلبه ، فتنعكس قداسه الذكر مع شفافيه الروح ويحدث الأنس ، فالروح ضمى والذكر زادها ، والنفس عطشى والذكر ماؤها .

لذلك يرى البعض أن الذكر لايحمل تلك الأهمية المشار إليها في الأحاديث التي تتحدث عنه وفيها شيء من المبالغة .

إن جزءا كبيراً في رد هذه الإشكالية واقع على أهلية النفس البشرية ، فالنفس عند البعض كالأرض الخصبة ، التي ما أن تتساقط عليها حبات المطر ، حتى تراها أخضرت وأزهرت ، وآتت آكلها وفاح ريحها ، بينما البعض الآخر نفوسهم كالأرض السبخة التي وإن هطلت عليها الأمطار دهراً تراها لاتزداد إلا سوء وتصحراً وتفككاً .

لذلك كانت النفوس الضعيفة والقلوب القاسية ، من أشد الإبتلاءات التي يبتلي ا لله بها الإنسان ، ﴿ **فهي كالحجارة أو أشد قسوة** ﴾(١٢) وهو نوع من العذاب يسلطه ا لله على من ينسلخ عن فطرته السليمة ﴿ **نسوا ا لله فأنساهم أنفسهم** ﴾(١٣) ﴿ **فويل للقاسية قلوبهم عن ذكر ا لله** ﴾(١٤) .

والذكر إنما يكون من المذكور أولاً ثم من الذاكر ، فالذاكر إنما يذكر ا لله لأن ا لله هو الذي ذكره أولاً ، ثم بدأ (الإنسان) بذكر ربه ثانياً ، أما إذا كان الإنسان منسياً عند ا لله (أي كان الخالق لايعبأ بهذا الإنسان أينما حل أو ارتحل) فلا يوفق لذكر ا لله ، لأنه لم يذكره .

كما جاء في الحديث القدسي : (**عبدي إذا عرفتني ، وعبدتني ورجوتني ، ولم تشرك بي شيئاً غفرت لك ما كان منك ، ولو استقبلتني بملء الأرض خطايا وذنوباً ، استقبلتك بملئها مغفرة وعفواً ، وأغفر لك ولا أبالي**)(١٥) .

* * *

ثانياً :

المداومة والإستمرار في الذكر :

الذاكر يجب ألا يغفل عن الذكر في جميع ساعاته وأيامه . ولعل أصعب مرحلة هي مرحلة تعود اللسان بإطلاق الذكر ، ولكنه سرعان ما يعتاد وينطبع على لسانه ، وقلبه وروحه ، فلا يكفي الذكر المؤقت في الكرب والشدائد ، بل يجب أن يفيض في حياة الإنسان سواء كان قائماً أو جالساً أو ماشياً أو في دائرته أو في عمله أو في ناديه أو مجلسه وقد أشار ا لله تبارك وتعالى إلى إستمرارية الذكر (بالذكر الكثير) :

﴿ **يأأيها الذين آمنوا إذكروا ا لله ذكراً كثيراً ، وسبحوه بكرة وأصيلاً** ﴾(١٦) .

وجاء على لسان موسى (ع) : ﴿ **كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً** ﴾(١٧) .

والتأكيد على إدامة الذكر مرتبط بفلسفة العبودية الخالص لله عز وجل ، فالإنسان ذلك المخلوق الذي وهبه ا لله نعمة الوجود وبين له هدفية وجوده ﴿ ما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون ﴾ ، يجب أن يستمر لسانه لهجاً بذكره مادام له رمق وروح ، وما أكثر الأحاديث التي تدعو للمداومة على الذكر والإستمرار فيه كما جاء عن أمير المؤمنين (ع) :

- (**لسان البر مستشهد بدوام الذكر**)(١٨) .
- (**مداومة الذكر خلصان الأولياء**)(١٩) .
- (**المؤمن دائم الذكر ، كثير الفكر**)(٢٠) .

وكما جاء عن الرسول الأعظم (ص) : (**ما من ساعة تمر بإبن آدم لم يذكر ا لله فيها إلا حسر عليها يوم القيامة**)(٢١) .

وكما جاء في دعاء الإمام علي (ع) : (**إلهي من لم يشغله الولوع بذكرك ، ولم يزوه السفر بقربك ، كانت حياته عليه ميته ، وميتته عليه حسرة**)(٢٢) .

ونقرأ في المناجاة الشعبانية للأمير (ع) : (**إلهي وألهمني ولهاً بذكرك إلى ذكرك ، وهمتي إلى روح نجاح أسمائك ، ومحل قدسك**) .

(وأسئلك أن تصلي على محمد وآل محمد ، **وأن تجعلني ممن يديم ذكرك ، ولاينقض عهدك**)

كما جاء في دعاء كميل عن الأمير (ع) : (**وأسئلك بحقك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمائك ، أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة ، وبخدمتك موصوله ، وأعمالي عندك مقبولة ، حتى تكون أعمالى وأورادي كلها ورداً واحداً**) .

فالمداومة على الذكر تفتح كنوز الأسماء ، وتعرج بروح الذاكر إلى عالمها ، فيتحسس عظيم منّ ا لله عليه وكرامته لديه .

وما أكثر الأوقات التي يعيشها الإنسان في غفلة عن ربه وخالقه ، وحتى في ذكره القليل يمن به عليه ، وكأن له التطول عليه ، فعلى الرغم من عجزه ومحدوديته ، وقصر عمره ، ينخدع بزخارف الدنيا ، حتى إذا فاجئه ملك الموت لقبض روحه ، أخذه الندم والحسرة والإنكسار على مافرط في جنب ا لله .

فالإنسان مخلوق ا لله المكرم ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ..﴾ ومحط التكريم هو إتصال الضعف بالقوة ، إتصال الفقر بالغنى ، ولكن لجهل الإنسان المركب يجده يركن إلى ضعفه وإلى فقره المحدود ، ولاينال الكرامة التى أعدها ا لله للذاكر .

ومعرفة حقيقة الذكر والإستقامة ، تجلت لدى أولوا الألباب ، الذين كرمهم ا لله على العقلاء لإندماجهم التام والكامل في توحيد ا لله والإخلاص له . كما جاء ذكرهم في الآية الشريفه ﴿ إن في خلق السماوات والأرض وإختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون ا لله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم .. ﴾ فهم في كل حالات حياتهم في ذكر مستمر دائم لآلاء ا لله وبدائع صنعه في الخلق والطبيعة ، وتصويره للجمال ، ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ﴾(٢٣) .

وكما جاء في الآية الشريفة ﴿ **فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا ا لله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم ..**﴾(٢٤) .

ولأهمية إستمرار الذكر في كل الأوقات والأماكن فقد سأل موسى (ع) ربه ، قال : (يارب أكون في حال أجلك أن أذكرك فيها ، قال : (**ياموسى ، اذكرني على كل حال**)(٢٥) .

كما جاء عن الرسول (ص) : (**أفضل الوصايا وألزمها ، أن لاتنسى ربك وأن تذكره دائماً ولاتعصيه ، وتعبد قاعداً أوقائماً**)(٢٦) .

ويأتي التأكيد على ذكر ا لله في كل الأحوال ، كون الذكر يشكل مانعا وحاجزاً لمعصية الإنسان وإنحرافه ، فعندما يكون الرجل في دائرته يذكر ا لله ، فذكره يجعله يغفل عن إرتكاب المحرمات ، والشاب المؤمن عندما يكون وحيداً في منزله أو في السوق يوسوس له الشيطان فعل الفواحش ، فيحجبه الذكر عن إرتكابها .كما جاء في وصية الأمير (ع) لإبنه الحسن (ع) عند الوفاة : (**وكن لله ذاكراً على كل حال**)(٢٧)

إن حاله المداومة على الذكر تحول الذكر إلى ملكة روحية للإنسان لاتنفصل عنه ، فالإنسان عندما يلهج لسانه بكلمة (لا إله إلا ا لله) أو (سبحان ا لله) ويديم عليها ، تصبح هذه الكلمات ملكة على لسانه ، مندمجة بروحه ، وتشكل جزءاً من تركيبه النفسي والوجداني ، حتى إذا سأله منكر ونكير في قبره عن ربه ونبيه ، يجيب بلا إله إلا ا لله أو سبحان ا لله لأنها أصبحت جزءاً من كيانه وبنيته .

ونتيجة للمداومة على الذكر يشعر الإنسان بحالة التوافق التام ، فيلحظ لسانه يلهج بالذكر دون إرادته ، فيسبح من غير أداة للتسبيح ، ويلحظ يده تتحرك بطريقه اعتاد عليها وإن لم يسبح ، فسبحان ا لله الذي جعل أعضاء الإنسان تلهج بذكره .

كما جاء في وصية ا لله عز وجل لعبده المصطفى (ص) قال : (**يا إلهي كيف أزهد في الدنيا ، وأرغب في الآخرة ، قال : خذ من الدنيا خفاً من الطعام والشراب واللباس ، ولا تدخر لغد .. ودم على ذكري**)(٢٨) .

مراتب الذكر :

للمداومة على الذكر بالغ الأهمية في تدرج ورقي الذاكر وعروجه في درجات الإخلاص واليقين ، وتبدأ بانتقال الذكر من اللسان إلى القلب ، وهي مرحلة لا تحصل إلا بالتوجه والإستزادة من الذكر ، كما جاء عن الأمير (ع) : (دوام الذكر ينبر القلب والفكر) وكما جاء في الصحيفة المهدية للعلامة محسن الكاشاني : (أولهما أن يكون باللسان ، الثانية أن يكون به وبالقلب ، وكان يحتاج الى مراقبة حتى يحضر مع الذكر ، والمرحلة الثالثة : أن يتمكن الذكر من القلب ويستولى عليه بحيث يحتاج إلى التكلف في صرفه عنه إلى غيره ، كما احتاج في الثانية إلى التكلف في استمراره عليه ، والرابعة : أن يتمكن المذكور من القلب ويحي الذكر فلا يلتفت القلب إلى الذكر ولا إلى القلب بل يستغرق في المذكور جملة ، ومهما ظهر له في أثناء ذلك التفات إلى الذكر ، فذلك حجاب شاغل ، وهذه الحالة هي التي يعبر عنها الربانيون باللب المطلوب من الذكر) .

يتبين لنا أن مراتب الذكر لا تأتي إلا عبر شرطين : التوجه الكلي للإنسان تجاه الذكر والمذكور ، وإدامة الذكر ليحل في موطن القلب حتى يصل بالذاكر الى محو القلب ، والتعلق با لله عز وجل . كما جاء عن الصادق (ع) : (الذكر ذكران ، ذكر خالص يوافقه القلب ، وذكر صارف ينفي ذكر غيره)

لذلك كان الضياع .. كل الضياع أن تمر ساعة أو لحظة في حياة الإنسان وهو لاهياً عن ذكر ا لله تبارك وتعالى وعن التفكير في آثاره .

قال رسول ا لله (ص) : نزل جبريل إلي ، وقال لي : (**يامحمد ، ربك يقرئك السلام ويقول لك : كل ساعة تذكرني فيها ، فهي عندي مدخرة ، وكل ساعة لاتذكرني فيها ، فهي منك ضائعة**)(٢٩) .

وكما جاء في الحديث القدسي : (**أيما عبد إطلعت على قلبه ، فوجدت الغالب عليه التمسك بذكري ، توليت سياسته ، وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه**)(٣٠) .

والمداومة تشعر الإنسان بعبوديته الخالصه لله عزوجل . فعندما ينبلج فجر الصبح ، ويفتح عينه في يومه الجديد يذكر الله وهو في سريره (الحمد لله الذي أحيانا بعد موتنا ..) أو غيره من الأوراد .. وعندما يقوم يقول (بحول الله أقوم وأقعد ..) وعندما يدخل الحمام ، يستعيذ با لله من الشيطان الرجيم ومن هفواته وزيغه ، وعندما ينظر إلى المرآة يقول : (الحمد لله الذي أحسن تصويري وتقديري وكما حسنت خلقي فحسن خلقي) وهكذا عندما يلبس ويأكل ويركب سيارته (الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ..) ، وهو لايزال يذكر الله في دائرته ومجلسه وبقية يومه .

إن هذا الذكر المتواصل هو عين العبودية لله ، بحيث يشعر الإنسان أنه ما من لحظة أو طرفة تمر عليه ، إلا ويكون رب الأكوان حاضراً معه ، وأنت تشهد له بالربوبية ولك بالعبودية . كما جاء في بحار الأنوار عن الرضا (ع) : (**من ذكر الله ولم يستبق إلى لقائه فقد استهزء بنفسه**) .

وهي مرتبة لا تأتي إلا بتوفيق الخالق جل وعلا ، لأنه إن إصطفاك جعل ذكره على لسانك لاينقطع أبداً ، واستنزل بهذا الذكر الروحانية المؤيدة التي تزيل العديد من الحجب الوضعية عن عينك وقلبك ، فيتحول بصرك إلى بصيره ورؤيتك للأمور إلى حكمة ، وعلاقتك بالآخرين إلى مودة ورحمه .

* * *

ثالثاً :

إستقرار الأحوال القلبية :

يابن آدم : (بقدر ما يميل قلبك إلى الدنيا ، أخرج محبتي عن قلبك ، فإني لا أجمع حبي وحب الدنيا في قلب واحد أبداً ، تجرد لعبادتي وأخلص من الرياء عملك حتى ألبسك لباس محبيتي ، أقبل إلي وتفرغ لذكري أذكرك عند ملائكتي)

القلب .. هو الموطن الحقيقي للذكر ولمعرفة الخالق تبارك وتعالى ، فلو اشتغل القلب بغير الذكر ، لاختلط محتوى هذا الوعاء بالصالح والطالح ، بالأسود والأبيض . ألا ترى أنك لو جمعت الفاكهة الجيدة والفاسدة في إناء واحد ، ألا ترى الفساد كيف ينخر بالصالح ، فترى بعد حين من الزمن أن الكل قد فسد واضمحلت روحه .

والقلب وعاء ، وآنية المؤمن ، يستوعب المعرفة الحقيقية لله ، ويكون محطاً للذكر ، إلا أنه لو احتوى من الدنيا شيئاً من ماديتها وكدوراتها ، فإنه يمتلىء ويتضخم ، ولا يتسع حينها لتلك المعارف الإلهية .

وهذا الوعاء (القلوب أوعية فخيرها أوعاها) يتسع للفيوضات الرحمانية ، وللعلم وللدلالة على الخالق ، ولايضيق وسعاً مهما إزدادت تلك العلوم عند السالك ، وهذه المعرفة يجب أن تكون متسقة فيما بينها دون تضاد أو تضارب ، فإذا أقحمنا القلب بشيء آخر نراه يضيق ويفسد .

فالقلب المفعم بحب الله تبارك وتعالى ، لايتسع لحب آخر ، والقلب المكتض بحب الدنيا لا نجد فيه مكاناً لحب الله ، فبمجرد أن يميل القلب للدنيا ويتوجه إليها نجد الله يخرج حبه من القلب ، لأنه لايجتمع حبان في قلب واحد .

ولنا في زليخة مثال على مصداقية الحب ، فقد كان قلبها شغفاً بصورة كلية بعشق وحب سيدنا يوسف (ع) ، وكانت لا ترى حبيباً سواه ، حتى أنها كادت أن تموت من

شدة حبها وعشقها له ، الأمر الذي دعاها لمراودته عن نفسه ، وإدخاله السجن ، وبعد مرور الأيام وإنقلاب الأحوال ، إعتلى يوسف (ع) عرش مصر ﴿ **إجعلني على خزائن الأرض** ﴾(٣١) .

وذات يوم مر يوسف الصديق مع موكبه الكبير في الأسواق ، وإذا به يستوقف الموكب وينظر إلى إمرأة شعثاء غبراء بالية الثياب ، منفوشة الشعر ، فخاطبها ، مالذي أوصلك إلى هذه الحالة ، (وكانت هذه المرأة هي زليخة) فقالت : حبك هو الذي أوصلني إلى ذلك فقال لها : كيف لو رأيت نبي آخر الزمان وجماله وهيبته ، ويقصد رسول ا لله (ص) فسكتت هنيئة ثم قالت ، صدقت يانبي ا لله ، فقال يوسف (ع) : كيف تقولين ذلك وأنت لم ترينه أو تعرفينه ، فقالت : لقد وقع حبه في قلبي بمجرد أن ذكرت اسمه ، وإذا بالوحي ينزل على يوسف ويخبره أن العلي الأعلى يقرؤك السلام ، ويقول لك : تزوجها كرامة لحبها للنبي (ص) ، فأخذها يوسف وعلمها ثم تزوجها .

والشاهد من هذه القصة أن يوسف عندما علّم زليخة تعاليم دعوته ، وفهمها فحوى عبادته ، وكشف لها عن المعرفة الحقيقية لرب الأرباب وملك الملوك ، تشرب قلبها بهذا الحب ولفظت مادونه من رواسب وكدورات ، وأصبح قلبها خالياً من كل شيء سوى ا لله عز وجل ، وعندما أراد يوسف (ع) الدخول عليها ، إمتنعت وقالت : لقد كان قلبي لايرى سواك ، أما الآن فإنه لايرى سوى ا لله عز وجل .

فالقلب لايتسع لشيئين ، أن يقول الإنسان أحب ا لله وأولادي ، أو أحب ا لله وأموالى ، أو أحب ا لله ومنزلي ، إلا أن تكون الأمور الجزئية مؤدية إلى الأمور الكلية ، فحب الرجل لزوجته وأولاده أو ماله يجب أن يوصلاه إلى الكل ، وهو حب الخالق ، وإلا فكل هذه الأمور كدورات أرضية تثقل الإنسان إلى الأرض ﴿ **قل إن كان آباؤكم و أبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال إقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من ا لله ورسوله ..** ﴾(٣٢) .

فكل حب ما دون الله يجب أن يكون جزئياً يؤدي إلى الكل ، وعلى هذا قامت المدارس والنظريات والمذاهب القديمة ، التي تدعو إلى تنقية القلب وتجرده عن الكدورات ، لمعرفة الخالق تبارك وتعالى .

وهذه الفكرة يجسدها ويطبقها كل واحد منا في حياته اليومية ، دون أن يلتفت إلي تطبيقها مع الله عز وجل . فلو دعوت أحد معارفك أو أصدقائك لزيارة منزلك واستضافته عندك ، أقل ما تفعله هو ترتيب الدار وتنظيفها من الأوساخ المبعثرة ، وتنسيق الأثاث وتهيئة الجو المناسب للجلسة والضيافة .

في حين لا نفعل هذا مع الخالق الذي نود (استضافته) في قلوبنا ، فالله عز وجل يقول (**أنا جليس من ذكرني**) فهو أذن ضيفك وجليسك ومحادثك ، وأي ضيف أقدس وأطهر من الخالق .. ومع هذا لا نهييء له الدار الخالية (القلب) أو نرتب أثاث المنزل (تزكية الأعضاء والجوارح) بالصورة المشرفة لاستضافة هذا الضيف الكريم .

لذلك نجد كثير من الناس قلوبهم كدرة ، ونفوسهم ثقيلة ، وهؤلاء لا يتنعمون بمصداقية الذكر ، ويبقى الذكر على اللسان دون أن يحتوي القلب .

فالذاكر إذن يرتبط بنقاوة القلب وطهارته ، والإبتعاد عن الشوائب الدنيوية ، كحب الدنيا ، والملذات ،والمناصب أو الشوائب النفسية كالأحقاد والرياء والغرور والعجب والحسد .

كما يقول الله في حديث قدسي : (**يابن آدم : أخرج حب الدنيا من قلبك ، فإنه لايجتمع حب الدنيا وحبي في قلب واحد أبداً**)(٣٣).

وبعد أن يخلي الإنسان قلبه من متعلقات الدنيا ، يشعر بالذلة والضعف والعبودية لله عز وجل ، بشكل طبيعي ودون تكلف ، لأن القلب حينها يكون ذو إتجاه واحد .

قال موسى (ع) : (يارب من أهلك الذين تظلهم في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظل عرشك ؟

قال : ياموسى (**الطاهرة قلوبهم ، والبريئة أيديهم ، الذين يذكرون جلالي ذكر آبائهم ، الذين يكتفون بطاعتي كما يكتفي الولد الصغير باللبن ، الذين يأوون إلى مساجدي كما تأوى النسور إلى أوكارها**)(٣٤) .

أو كما جاء في الحديث (**ادعوني بالقلوب الخالية أستجب لكم بالدجات العالية**)(٣٥) .

فالذكر يحتاج إلى أرضية طاهرة نقية ، بعيدة عن الحقد والكراهية وسوء الظن بالأخرين والإنكباب على الملذات والشهوات ، لأن هذه الموبقات تعمل على أطفاء نور القلب ، وأن تلهجنا بالذكر . ألا ترى إلى السراج عندما تتسخ مشكاته أو آنيته ، فإنه لا يضيء وأن ملئته بالزيت أو الوقود ، لأن إتصاله بالعالم الخارجي يفصله برزخ الأوساخ والسنون وبقايا الذرات العالقة ، والقلب ذو الكدورات لا يضيء ، ويسعى نوره وأن كان صاحبه يلهج بالذكر .

على أن التزام الذكر والمداومة عليه ، من شأنه تطهير وتزكية القلب من هذه الشوائب ، شريطة أن يعي الذاكر هذه الإلتفاته ، ويؤكد على نفسه هذا المعنى ، وألا يبقى الذكر عنده مجرد كلمات ، بل يجب أن يصل الذكر إلى القلب فينقيه من الرواسب الظلمانية العالقة . كما جاء في وصف المحبين (تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم .. قلوبهم ذاكرة) .

كما جاء في الحديث القدسي : (وعزتي وجلالي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني ، لا يؤثر عبد هواه على هواي ، إلا شتت عليه أمره ، ولبست عليه دنياه ، **وشغلت قلبه بها** ، ولم آته منها ألا ما قدرته له ، **وعزتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني ، لا يؤثر عبد هواي على هواه ، إلا استحفضته ملائكتي ، وكلفت السماوات والأرضين رزقه ، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر ، وآتيته الدنيا وهي راغمة**)(٣٦) .

وحذار ممن يذكر ا لله وفي قلبه غير ا لله ، أو تؤمن با لله وتخاف غيره ، أو تعترف به رازقاً وتستعين بغيره .

(يابن آدم : كم تقول ا لله ، ا لله وفي قلبك غير ا لله ، ولسانك يذكر ا لله وتخاف غير ا لله ، وترجو غير ا لله ، ولوعرفت ا لله لما أهمك غير ا لله ، وتذنب ولاتستغفر فإن الإستغفار مع الإصرار توبة الكاذبين ، وماربك بظلام للعبيد)(٣٧) .

وفي هذا المعنى أشار الباري في كتابة الحكيم ﴿ **وما يؤمن أكثرهم با لله إلا وهم مشركون** ﴾(٣٨) .

أي أنهم مع إيمانهم يشركون با لله عز وجل ، وهذا الشرك ليس في ا لله ، وإنما في الإستعانة واللجوء بغير ا لله عزوجل .

فعلى الرغم من إسلامه نراه عندما يمرض يلجأ إلى كل الأطباء والمستشفيات ، ويطرق كل الأبواب ألا باب ا لله . وعندما يصاب بأزمة مالية يستعين بكل أصدقائه ومعارفه ، ولايطلب العون من ا لله ، في حين يقول الحق تبارك وتعالى (**من طلبني بالحق وجدني ، ومن طلب غيري لم يجدني**) ، كما جاء في الحديث القدسي عندما أوحى ا لله لنبيه عيسى بن مريم (ع) : (**لا تدعني إلا متضرعاً إليّ وهمك هم واحد ، فإنك متى تدعني كذلك أجبك**)(٣٩) .

إن هذه القلوب القاسية كالحجارة الصلدة الثابته في الماء ، لا تتأثر برقائق المياه التي تنساب على جانبيه .

فتذليل القلب أولى خطوات العروج إلى الذكر الحقيقي ـ كما ذكرنا سابقاً ـ (وافتح عين قلبه الى جلالي) لأنه يكون محط استنزاله وآلة عمله ، ومستودع تكراره واستمراريته ، فهو المشكاة التي تعكس أنوار الذكر على عالمه الخارجي .

أوحى ا لله إلى عيسى (ع) : (**ياعيسى ، ذلل لى قلبك ، وأكثر ذكري في الخلوات وأعلم أن سروري أن تبصبص اليّ ، فكن في ذلك حياً ، ولاتكن ميتاً ، وأسمعني صوتاً حزيناً ..**)(٤٠).

وعن جعفر بن محمد الصادق (ع) قال : (بينما موسى يعض أصحابه ، إذ قام رجل فشق قميصه ، فأوحى الله تعالى إلى موسى (ع) **ياموسى : قل له لا تشق قميصك ، ولكن إشرح لي عن قلبك**)(٤١) .

ثم قال : مر موسى برجل من أصحابه وهو ساجد ، ثم انصرف من حاجته وهو ساجد فقال موسى (ع) : لو كانت حاجتك في يدي لقضيتها لك ، فأوحى الله تعالى إليه : ياموسى : لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبلت منه حتى يتحول عما أكره الى ما أحب)

وكما جاء أن بني إسرائيل أصابهم قحط سبع سنين ، فخرج موسى (ع) يستسقي لهم في سبعين ألفاً ، فأوحى الله إليه (**كيف أستجيب لهم ، وقد أظلت عليهم ذنوبهم وسرائرهم خبيثة ، يدعونني على غير يقين ، ويأمنون مكري ، إرجع الى عبد من عبادي يقال له (برخ) يخرج أستجيب له**) .

وجاء في جواب الشيخ فريد عصره ، العالم زين الدين الاحسائي عند جوابه على سؤال حضور القلب في الطاعات أجاب : (إن النية إنما تخلص إذا ظهرت على مشاعر العبد أثار فضل الله سبحانه وتعالى ، حتى جذبه الطمع فيما عند الله ، والرغبة في خيرات وعد الله الصادق وآثار عدله سبحانه ، حتى صرفه الخوف من مقام الله والرهبة من محذورات وعيده المطابق . فإذا حصل ذلك للإنسان إنصرف عما سوى الله سبحانه وتعالى إليه ، فهناك تخلص نيته ، ويحضر قلبه عند الله وتكون أعماله مقبولة ، فينهمك في الطاعات وتترقى نفسه إلى الكمالات ، فيتخلق بأخلاق الروحانيين وتتعلق روحه بالمحل الأعلى من القدس .

(كما أن الله) نبه على ذلك في مواضع من كتابه منها قوله تعالى ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين** ﴾ يعني أن غير الخاشعين لايقدرون على الإستعانة بالصلاة على جميع مطالبهم ، لأنهم معرضون عن ذكر الله ، فكانت قلوبهم في غمرة من هذا أو لهم أعمال دون ذلك هم لها عاملون .

فإذا أردت طريق خلوص النية ، فعليك بحسن العمل ، فإنه لاشيء كالعمل ، كما قال أمير المؤمنين (ع) ، فإذا أرت الصلاة فأسبغ الوضوء تقرباً الى ا لله ، وأقرأ ما ندبك اليه الإمام من أدعية الوضوء وقبله وبعده وتوجه إلى ذلك بقلبك ، وقم إلى الصلاة بقصد الخدمة لله سبحانه .

ومع هذا كله فتحتاج إلى ساعة من ليلك ونهارك ، تخلو بنفسك وتنظر في المخلوقات من الأرضين والسماوات والجمادات والنباتات ، وتعتبر بما ترى من الآيات الدالة على قدرة خالق البريات ، فإنه لابد لمن يريد رضى ا لله والدار الآخرة ، ويريد أن يعرفه ا لله نفسه ويعرفه أنبياؤه وأولياؤه عليهم السلام ، وأن يبصره في دينه الذي أرتضاه ويجعله إنساناً ، فان أكثر الناس بهائم ، كما قال الباقر (ع) : (الناس كلهم بهائم إلا قليل من المؤمنين ، والمؤمن قليل) .

فإذا واظبت على ذلك فتح ا لله مسامع قلبك ، فأدركت الحكمة وعرفت العبرة ، وخلصت نيتك ، وحضر قلبك ، وصح قصدك في الخيرات ، وترقت نفسك في الكمالات القدسية ، قال ا لله تعالى (من أخلص لله العبودية أربعين صباحاً تفجرت ينابيع الحكمة على لسانه) وقال تعالى (**مازال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ، إن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته ، وإن سكت بدأته**) .

* * *

رابعاً :

أوقات الذكر :

﴿ **وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾(٤٢) .

ليس للذكر وقت على العموم ، فكل حالات وأوقات ولحظات المؤمن لا تخلو من ذكر ا لله أو التفكر في آثارة وآياته ، حتى في حالة الجماع يؤكد المشرع على استحباب ذكر ا لله لضمان تسوية خلقة الجنين ، وإبعاد الشيطان في تلك اللحظة .

واستمرارية حالة الذكر (إدامته) في كل الأوقات هي السيرة والطريقة التي سار عليها نبي هذه الأمة ، محمد بن عبدا لله وأهل بيته عليهم السلام ، فكما جاء عن أبي عبدا لله (ع) : (كان أبي كثير الذكر ، لقد كنت أمشي معه وأنه ليذكر ا لله ، وآكل معه وأنه ليذكر ا لله ، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر ا لله ، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول : لا إله إلا ا لله)(٤٣) .

وكان رسول ا لله (ص) الذي نال الدرجة الرفيعه والمقام المحمود عند ا لله عزوجل ، لم يرى إلا ذاكراً في كل أحواله ، وكان يقول : (**من أعطي لساناً ذاكراً فقد أعطي خير الدنيا والآخرة**)(٤٤) ، فنال شرف الدنيا بإجتبائه ، وشرف الآخرة بإصطفائه شفيعاً لأمته

ولجمال هذا الصوت الشجي ، صوت النبوة ، ووصوله إلى مرحلة المحب الأول لله عز وجل ، فقد أمره ا لله أن يكون نطقه ذكراً ، (**إن ربي أمرني أن يكون نطقي ذكراً ، وصمتي فكراً ، ونظري عبرة**)(٤٥) .

فليس للذكر وقت محدد ، بل له الإطلاق في كل الأوقات ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اذكروا ا لله ذكراً كثيراً ، وسبحوه بكرة وأصيلا** ﴾(٤٦) .

والغريب في مفهوم الذكر ، أننا عند قراءة الأحاديث الواردة عنه ، تنعت الإنسان الغافل عن الذكر بأنه إنسان ميت ، والحياة ..كل الحياة للذاكرين ، فمن دعاء علمه أمير المؤمنين

عليه السلام لنوف البكالي (**إلهي من لم يشغله الولوع بذكرك ، ولم يزوه السفر بقربك كانت حياته عليه ميته ، وميتته عليه حسره**)(٤٧) .

وكما جاء في الحديث الشريف : (**ذاكر ا لله في الغافلين كالحي بين الأموات**)(٤٨) .

وفي حديث آخر (**ذاكر ا لله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم**)(٤٨/١)

فالذاكر يعرف حقيقة الحياة والمعاش وتقلب الأحوال ، ويشعر أن الحياة كلها تحت هيمنة العزيز الجبار ، وأن كل مصيبة من هم وغم أو فرح وفرج أو إبتلاء ويسر كلها في ميزان دقيق وتحت نظر عليم خبير . فقد جاء عن الحسين البزار قال : قال لي أبو عبدا لله عليه السلام : (ألا أحدثك بأشد مافرض ا لله عزوجل على خلقه ، قلت : بلى ، قال : إنصاف الناس من نفسك ، ومواساتك لأخيك ، وذكر ا لله في كل موطن ..)

وعلى الرغم من شمول الذكر لحياة الإنسان واحتوائها لكل لحظاته وأنفاسه ، إلا أن ا لله تبارك وتعالى خص بعض الأوقات والأمكنه بالخصوصية ومنها :

عند لقاء العدو :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فأثبتوا وأذكروا ا لله كثيراً** ﴾(٤٩) .

وجاء عن الأمير (ع) : (**إذا لقيتم عدوكم في الحرب فأقلوا الكلام ، وأكثروا ذكر ا لله عز وجل**)(٥٠) .

فلا ينتابنا العجب إذن عند تصفحنا تاريخ المسلمين الأوائل ، والإنتصارات التي حققواها ، فعلى الرغم من قلة عددهم وضعف عدتهم وعتادهم ، إلا أنهم كانوا يدخلون الحرب وألسنتهم تلهج بذكر ا لله عز وجل ، وعلى الرغم من فساد الولاة والحكام في فترات التاريخ الغابرة ، إلا أن أفراد الجيش كانوا على يقين بعظم هذه الأذكار وأنها هي وحدها سبب إنتصارهم .

لقد حدثني أحد العارفين عن الآية الكريمة ﴿ **حسبنا ا لله ونعم الوكيل** ﴾ وقوتها في الإنتصار بالحرب ، فقال : لوكتبت هذه الآية الشريفة على سلاح المقاتل ، ثم صاح الجيش بصوت واحد بهذه الآية في حالة الهجوم ، فلاشك أنهم سينالون الإنتصار الحتمي وإلا يكون هناك خللاً في فهمنا للقرآن الكريم ، لأن هذه الآية هي شرط الانتصار ، ومعادلة ثابته لاتحتاج إلى تأويل أو تفسير ، وهي إمتثالاً لقوله تعالى ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا ا لله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من ا لله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان ا لله ، وا لله ذو فضل عظيم** ﴾(٥١) فهي إذن شرط الإنتصار ودلالته .

والذاكر إنما يستمد العون والمدد الحقيقي من ا لله عز وجل ، ومنه تخلص النية في الحرب ، فهو لا يرى إلا إحدى الحسنيين ، إما النصر أو الشهادة ، كما قال علي بن الحسين (ع) وهم في طريقهم إلى كربلاء ، عندما سال أباه وقال : (أولسنا على الحق) قال : بلى ، قال : إذن لانبالي أوقعنا علي الموت أو وقع الموت علينا) .

عند دخول السوق وغفلة الناس :

السوق وكر من أوكار الشيطان ، ينشب فيه شباكه ، ويبسط سلطانه ، فهو ملتقى الأجناس ، على إختلاف صورهم وأجناسهم ونفسياتهم من جانب ، وهو كذلك إداة لهو وزينة وترف من جانب آخر . وهو أداة للمعاملات المادية والتجارية من جانب ثالث

فالجنس واللهو والمادة كلها تجتمع في السوق ، وهذه الروافد الثلاثه عماد إنحراف الإنسان وسبب سقوطه وضياعه ، كما جاء في رواية أن الشيطان أول من يدخل السوق وآخر من يخرج منه .

لذلك جاءت الأحاديث حول ضرورة أن يذكر الإنسان ربه عند دخوله إلى هذه الأماكن ، كما جاء عن الإمام أمير المؤمنين (ع) : (**أكثروا ذكر ا لله إذا دخلتم**

الأسواق ، وعند إشتغال الناس ، فإنه كفارة للذنوب وزيادة في الحسنات ، ولاتكتبوا من الغافلين)(٥٢) .

وعن الرسول الأعظم (ص) : (**من ذكر ا لله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب ا لله له ألف حسنة ، ويغفر ا لله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر**)(٥٣) .

عند الهم والغضب :

توتر الحالة النفسية للإنسان من شأنها أن تسبب العديد من المضاعفات الروحية ، وتضعف الهالة المحيطة بالانسان مما ينذر بخطر الإصابة بالأمراض الروحية والنفسية ، والتي يطلق عليها علماء النفس الكآبة والقلق أو بعض أنواع الفصام .

وذلك أن إضطراب الهالة من شأنها تعكير صفوة الإنسجام الذاتي للإنسان ، وتؤدي إلى اضطراب في المحيط الروحي ، مما يتسبب في الإصابة بهذه الحالات التي قد تصل إلى درجة الجنون .

ولعل أهم الحالات التي تسبب إضطراب المحيط الرحي هي حالة (الفرح الشديد المفاجيء ، والغضب ، والحزن ، والمفاجآت شديدة الوقع) .

لذلك حثنا الباري عز وجل إجتناب هذه الحالات ، وإن وقعت يجب عندها أن نلهج بذكر ا لله عز وجل ، لأن الذكر يعطينا ضمانة الطمأنينة والسكينة ﴿ **ألا بذكر ا لله تطمئن القلوب** ﴾ وبذلك نتجاوز حالة التوتر .

وإلى ذلك أشار الرسول (ص) : (**اذكر ا لله عند همك إذا هممت ، وعند لسانك إذا حكمت ، وعند يدك إذا قسمت**)(٥٤) .

وعنه (ص) قال : (**أوحى ا لله تعالى إلى نبي من أنبيائه : ابن آدم : اذكرني عند غضبك ، أذكرك عند غضبي ، فلا أمحق فيمن أمحق**)(٥٥).

أفضل أوقات الذكر :

لأن المذكور هو الذي أين الأين وكيف الكيف ، فلايوجد مكان مختص بالذكر كما لايوجد زمان مختص بالذكر أيضاً ، فهو الباسط المهيمن الذي لاتخلو منه الأمكنة ، ولاتفتقد إليه الأزمنه . لذلك جاء في البحار عن الصادق (ع) : (**أكثروا ذكر ا لله ماستطعتم في كل ساعة من ساعات الليل والنهار ، فإن ا لله أمر بكثرة الذكر له**) .

إلا أن هناك أوقات لها من الروحانية والتركيز مالا نجده في غيرها ، فنجد الروايات والأحاديث تؤكد عليها لما لها من تأثير على نفاذ روح الذكر في الذاكر ، وعظيم إنسجامه وتفاعله معه .

لذا .. لابد للذاكر أن يترصد لذكره ودعائه الأوقات الشريفة ، كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الأشهر ، ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل ، قال تعالى ﴿ **وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾ .

وقيل أن نبي ا لله يعقوب (ع) إنما قال : ﴿ **سوف أستغفر لكم ربي** ﴾(٥٦) ليدعو في وقت السحر ، فقيل أنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه ، فأوحى ا لله عز وجل إليه : (إني قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء) .

كما جاء في الحديث الشريف أن ا لله تعالى إذا رأى أهل قرية قد أسرفوا في المعاصي وفيها ثلاثة نفر من المؤمنين ، ناداهم ا لله جل جلاله : (**يا أهل معصيتي ، لولا من فيكم من المؤمنين المتحابين بجلالي ، العامرين بصلواتهم أرضي ومساجدي ، والمستغفرين بالأسحار خوفاً مني لأنزلت عذابي ثم لا أبالي**)(٥٧) .

كما جاء في وصية ا لله عز وجل لعيسى بن مريم (ع) :

(ياعيسى : أحي ذكري بلسانك ، وليكن ودي في قلبك ، ياعيسى : **تيقظ في ساعات الغفلة** ، واحكم لي لطيف الحكمة ، ياعيسى : **راع الليل لتحري مسرتي** ، وأظمأ نهارك ليوم حاجتك عندي)(٥٨) .

كما جاء في الحديث : (أن الله تعالى ينادي كل ليلة من أول الليل الى آخره :

(ألا عبد مؤمن يدعوني لدينه ودنياه قبل طلوع الفجر فأجيبه ، ألا عبد مؤمن يتوب إليّ قبل طلوع الفجر فأتوب عليه ، ألا عبد مؤمن قد قترت عليه رزقه فيسألني الزيادة في رزقه قبل طلوع الفجر فأزيده وأوسع عليه ، ألا عبد مؤمن سقيم يسألني أن أشفيه قبل طلوع الفجر فأعافيه ، ألا عبد مؤمن محبوس مغموم يسألني أن أطلقه من سجنه وأخلي سربه ، ألا عبد مؤمن مظلوم يسألني أن آخذ له بظلامته قبل طلوع الفجر فأنتصر له بظلامته ..)(٥٩) .

كما قال تعالى : **(إن أحب العباد إليّ ، المتحابون بجلالي ، المتعلقة قلوبهم بالمساجد ، والمستغفرين بالأسحار ، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة ، ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم)**(٦٠) .

إن الله تعالى ينزل ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة ، في الثلث الأخير ، وليلة الجمعة من أول الليل ، فيأمره فينادي :

(هل من سائل فأعطيه ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ، ياطالب الخير أقبل ، وياطالب الشر أقصر) فلا يزال ينادي بذلك حتى يطلع الفجر ، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء .

وكان فيما ناجى الباري تعالى نبيه داود (ع) :

(ياداود : إذا جن عليك الليل فأنظر إلى إرتفاع النجوم في السماء ، وأكثر من ذكري حتى أذكرك .

يا داود : إن المتقين لا ينامون ليلهم إلا بصلواتهم إلي ، ولايقطعون نهارهم إلا بذكري .

يا داود : إن العارفين كحلوا أعينهم بمرود السهر ، وقاموا ليلهم يسهرون ، يطلبون مرضاتي .

يا داود : إنه من يصلي بالليل والناس نيام يريد بذلك وجهي ، فإني آمر ملائكتي أن يستغفروا له ، وتشتاق إليه جنتي ، ويدعو له كل رطب ويابس)(٦١) .

وجاء فيما أوحى الله إلى نبيه موسى (ع) :

(يابن عمران : لو رأيت الذين يصلون لي في الدجى ، وقد مثلت نفسي بين أعينهم وهم يخاطبونني ــ وقد جليت عن المشاهدة ــ ويكلمونني ــ وقد تعززت عن الحضور.

يابن عمران : كذب من زعم أنه يحبني ، فإذا جنه الليل نام عني ، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه ، هأنذا يابن عمران ، مطّلع على أحبائي ، إذا جنهم الليل ، حولت أبصارهم في قلوبهم ، ومثلت عقوبتي بين أعينهم ، يخاطبونني عن المشاهدة ، ويكلمونني عن الحضور .

يابن عمران : هب لي من قلبك الخشوع ، ومن بدنك الخضوع ، ومن عينيك الدموع ، ثم ادعني في ظلم الليل ، فإنك تجدني قريباً مجيباً)(٦٢) .

كما أوحى الله إلى بعض الصديقين :

(إن لي عباداً يحبونني وأحبهم ، ويشتاقون إليّ فأشتاق إليهم ، ويذكرونني فأذكرهم فإن أخذت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك ، يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الشفيق غنمه ، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها ، فإذا جن الليل واختلط الظلام ، وفرشت الفرش ، ونصبت الأسرة ، وخلا كل حبيب بحبيبه . نصبوا لي أقدامهم وأفترشوا لي وجوههم ، وناجوني بكلامي ، وتملقوا لي بأنعامي ، فبين صريخ وباك ، وبين متأوه وشاك ، وبين قائم وقاعد ، وبين راكع وساجد ، بعيني ما يتحملون من أجلي ، وبسمعي ما يسألون من حبي . أول ما أعطيهم ثلاثاً : أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ، والثاني ، لوكانت

السماوات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم ، والثالث ، أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحداً ما أريد أن أعطيه)(٦٣) .

وقال رسول الله (ص) : (**إن العبد إذا تخلى بسيده في جوف الليل وناجاه ، أثبت الله النور في قلبه ، فإذا قال : يارب ، يارب ، ناداه الجليل جل جلاله :**

(**لبيك عبدي ، سلني أعطك ، وتوكل علي أكفك ، ثم يقول ملائكتي : انظروا إلى عبدي ، فقد تخلى بي في جوف الليل المظلم ، والبطّالون لاهون ، والغافلون نيام ، اشهدوا أني قد غفرت له)**(٦٤) .

إن العبد ليقوم في الليل ، فيميل به النعاس يميناً وشمالاً ، وقد وقع ذقنه على صدره ، فيأمر الله أبواب السماء فتفتح ، ثم يقول للملائكة :

(**انظروا إلى عبدي ، ما يصيبه بالتقرب إليّ ، بما لم أفترض عليه راجياً مني لثلاث خصال : ذنب أغفره أو توبة أجددها له أو رزق أزيده فيه ، أشهدكم ياملائكتي ، أني قد جمعتهن له .)**(٦٥) .

وعن الرسول (ص) قال : (إن في جنة عدن خيل بلق مسرجة بالياقوت والزبرجد ، ذوات أجنحة ، لاتروث ولاتبول ، يركبها أولياء الله ، فتطير بهم في الجنة حيث شاؤوا ، فيناديهم أهل الجنة : يا إخواننا ، ما أنصفتمونا . ثم يقولون : ربنا بماذا نال عبادك منك هذه الكرامة الجليلة دوننا ؟ فيناديهم ملك من بطنان العرش :

(**إنهم كانوا يقومون بالليل وكنتم تنامون ، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون ، وكانوا يتصدقون بمالهم لوجه الله تعالى وأنتم تبخلون ، وكانوا يذكرون الله كثيراً لايفترون ، وكانوا يبكون من خشية ربهم وهم مشفقون)**(٦٦) .

وجاء في أصول الكافي عن علي (ع) إذا أمسى يقول : (مرحباً بالليل الجديد ، والكاتب الشهيد ، اكتبا على إسم الله ، ثم يذكر الله عز وجل)(٦٦/١) .

وعن شهاب بن عبدا لله قال: سمعت أبا عبدا لله (ع) يقول : (**إذا تغيرت الشمس فاذكروا الله عز وجل وإذا كنت مع قوم يشغلونك ، فقم وأدع**)(٦٦/٢) .

خامساً :

الخلوة مع ا لله والأنس بالخالق :

لسنا هنا بصدد ترجيح كفة العمل الإجتماعي ، وملاقاة الناس والإشتغال بهم ومعهم ، وبين العزلة والخلوة عن الناس والإشتغال بالعبادة والعمل على سمو النفس وتنقيتها من الكدورات ، فذلك موضوع يطول بحثه ، وقد تم التطرق إليه في العديد من الكتب والدراسات .

وخلاصة هذه المفارقات تؤكد أن الشريعة الإسلامية ، دعت الإنسان وحملته مسئولية الرسالة وإيصالها للناس ﴿ **جعلناك خليفة في الأرض** ﴾ ، أي أن يجسد معاني ومفاهيم العبودية ، وهذا يتطلب منه مخالطة الناس والألفة معهم ، كالحديث المروي عن الرسول (ص) : (المؤمن إلف مألوف ولاخير فيمن لايألف ولا يألف) ، أو (من فارق الجماعة شبراً خلع ربقة الاسلام من عنقه) أو (من أصبح و لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم) أو كما جاء في حديث الهجر (من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار) ، وغيرها من الأحاديث المروية التي تؤكد معاشرة الناس والإختلاط بهم .

في الوقت نفسه نجد هناك العديد من الآيات الشريفة والروايات التي تعطي شرعية وأفضلية للعزلة والخلوة ، كما سنذكر لاحقاً ، إلا أن مانود تأكيده ، أن الخلوة مع ا لله هي ضمانة الإنسان في عمله الإجتماعي وهداية الناس وتوجيههم ، كما أن الخلوة أو العزلة لا تعني التقوقع والرهبنة والإنزواء في زوايا الدار أو المسجد العمر كله ، إنما تعني التزود بالتقوى والورع .. التزود بالنور الإلهي .. بالوقود الذي لاينضب .. التزود بالروحانية التي تستمد من الأنس والجلوس مع الخالق تبارك وتعالى .

فعن إبراهيم الخليل يقول ا لله تبارك وتعالى ﴿ **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون ا لله ، وهبنا له إسحاق ويعقوب ، وكلاً جعلنا نبياً** ﴾(٦٧) وذلك دلاله على عظم العزلة التي كان فيها بركتها على نسله التي إنفتق منها نبيان من أنبياء ا لله .

ولابد أن نفرق بين نوعين من العزلة :

النوع الأول :

العزلة الكلية والأبدية : وهي تكون في مرحلة اليأس والاستسلام ، وهذا ما فعله أنبياء ا لله عندما شنوا عليهم حروب التكفير والتشهير والمقاطعة والقتل .

مثلما اعتزل إبراهيم الخليل (ع) عندما يأس من هداية قومه ﴿ **وأعتزلكم وما تدعون من دون ا لله وأدعو ربي** ﴾(٦٨) .

أوكعزلة نبي ا لله موسى (ع) ﴿ **وإن لم تؤمنوا لي فأعتزلون** ﴾(٦٩) فقد فرغ إلى العزل عند يأسه منهم .

أو كعزلة أصحاب الكهف ﴿ **وإذ اعتزلتمزهم وما يعبدون إلا ا لله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا** ﴾(٧٠) .

وكعزلة نبينا محمد (ص) قريشاً لما آذوه وجفوه ودخل الشعب ، وأمر أصحابه باعتزالهم ثم الهجرة إلى أرض الحبشة .

فالعزلة هنا شاملة عن المجتمع لأنهم وصلوا الذروة في الإلحاد والكفر ، فالرسول (ص) لم يعتزل المسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار ، وأهل الكهف لم يعتزلوا بعضهم البعض وهم مؤمنون ، إنما اعتزلوا الكفار .

أما النوع الثاني من العزلة :

والتي نطلق عليها الخلوة أو (العزلة المؤقته) لأنها أقرب إلى الصواب ، فهي ليس إعتزال المجتمع والإنزواء الذاتي ، وإنما هي الإختلاء والخلوة مع ا لله عز وجل للتزود والتفكر والعبادة والإستئناس بالخالق ومجالسته ، مما يعمق فيه مفاهيم العبودية والإيمان الذي يدعوه بالتالي لأداء دوره الإجتماعي والإصلاحي في المجتمع .

والخلوة المستحبه هي التي تقوي الإنسان إيماناً وروحاً وفكراً ، لذلك كان النبي (ص) في إبتداء أمر دعوته يخلو بنفسه في أعالي جبل النور ، حتى قوي فيه نور النبوة ، فكان الخلق لايحجبونه عن ا لله ، فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلاً على ا لله .

ولا يمكن لأي مفكر أو عالم أو فقيه ، أن يؤدي دوره التكاملي في المجتمع إلا بعد أن يعيش الخلوة مع ربه ، ويستمد منه العون والنور والإلهام . ومع نفسه يرقبها ويعرفها ويعالج نواقصها .

فالخلوة هي التفرغ للعبادة والفكر والإستئناس بمناجاة الخالق ، عن مناجاة الخلق والإشتغال بإستكشاف أسرار ا لله تعالى في أمر الدنيا والآخرة ، وفي الخلق وفي ملكوت السماوات والأرض . وهي وسيلة السالكين والعارفين للوصول إلى الحقائق والكليات ، لذلك فهي تعمل على دوام الفكرة ، وتثبيت للعلوم والمعارف التي تترسخ في قلوب الذاكرين ، ليحيوا بها حياة طيبة ويذوقوا من خلالها حلاوة المعرفة ، فسرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه ،كما قال أحد الحكماء (من لم يأنس بمحادثة ا لله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره) .

وعن الصادق عليه السلام : (**العبودية جوهر كنهها الربوبية ، فما فقد من العبودية وجد في الربوبية ، وما خفي عن الربوبية أصيب في العبودية .. وتفسير العبودية بذل الكل ، وسبب ذلك منع النفس عما تهوى ، وحملها على ماتكره ، ومفتاح ذلك ترك الراحة وحب العزلة ، وطريقة الإفتقار إلى ا لله تعالى**)(٧١) .

وعن أبي عبدا لله الصادق (ع) : قال : قال رسول ا لله (ص) : (**الدنيا ساعة فأجعلها طاعة ، وباب ذلك كله ملازمة الخلوة بمداومة الفكر ، وسبب الخلوة القناعة وترك الفضول في المعاش ، وسبب الفكر الفراغ ، وعماد الفراغ الزهد ، وتمام الزهد التقوى ، وباب التقوى الخشية ، ودليل الخشية التعظيم لله تعالى والتمسك بخالص طاعة في أوامره ، والخوف والحذر مع الوقوف عن محارمه ودليلها ، قال ا لله تعالى ﴿ إنما يخشى ا لله من عباده العلماء ﴾**(٧٢) .

كما جاء في وصية الله لنبيه عيسى (ع) : (**ياعيسى أبك على نفسك في الخلوات ، وأنقلها إلى مواقيت الصلوات ، وأسمعني لذاذة نطقك بذكري ، فإن ذكري إليك حسن**)(٧٣) .

الكيان الذاكر :

﴿ وإذ إعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ﴾(٧٤) .

البصائر القرآنية فيصل الحكم في العديد من الإشكالات ، والمفارقات التي تقع بين المسلمين ، سيما إذا كان أمراً ملحاً ، قد تشعبت أوداجة واستطالت مباحثه في أكثر الفرق الاسلامية .

ومن هذه الإشكالات ما ينال مفهوم العزلة ومفهوم الكيانات الإسلامية ، وأصل الربط بينهم وشرعية كلاً منهم .

ففي الآية الكريمة إشارة صريحة لمن ألقى السمع ، على ضرورة العزلة سواء الفردية منها أو الجماعية ، أي أن تكون العزلة للفرد عندما يجد نفسه بحاجة إليها ، أو تكون للكيان أو الجماعة للتزود بالإيمان وترسيخ المفاهيم الحقة في وجدانهم ، للسعي في إصلاح المجتمع .

لقد إعتزل أصحاب الكهف مجتمعهم الذي تجرد عن أبسط مقومات الإنسانية ، فكفر بربه ونشر الفساد ، وسلك سلوكاً عدوانياً مع من يناصرون الحق ، فأجتمع فتية **﴿ آمنوا بربهم ﴾** على بناء حلقة تتوحد فيها الأرواح ، وتتواصل فيها النفوس ، فكان كياناً نموذجياً للعبودية الخالصة لله عز وجل .

وجدوا ضالتهم في أحد الكهوف ، فأقاموا فيه ، ولكن شاءت إرادة الله تبارك وتعالى أن يبقى هذا الكهف آية من آيات الإيمان والتقوى ، حيث تم العثور على ثمانية قبور متجاوره ، يجمعهم الإيمان الحب والتفاني في ذات الله ، في مغارة الكهف الذي أكتشف سنة ١٩٦٣ عند منطقة الرجيب بالأردن .. الكهف الذي لعظمته سميت سورة بالقرآن

باسمه (سورة الكهف) وأشار إليه القرآن ﴿ **أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً** ﴾(٧٥) .

ولم تأتي عظمة الكهف لطيب خامته أو نقاوة معدنه ، إنما للكيان الذاكر الذي عسكر فيه ، ولجأ إليه وقت المحنه والشدة ، فتبارك الكهف بهم وبأنفاسهم التي وحّدت الله وقدسته ومجدته ، كما شوهدت على جدران الكهف كتابات بلغات قديمة مختلفة تشير إلى وحدانية الله عز وجل .

فالعزلة إذن لا تكون بين المؤمنين الموحدين والعارفين ، إنما تكون مع العابثين والمنافقين والجاحدين ، الذين لايزيدون جليسهم إلا حسرة وندامة وضعفاً وخسارة ، وكما قيل معاشرة الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار .

أما المؤمنون فهم كيان واحد يذكرون الله ويمجدونه ويتدارسون تعاليم دينهم وينهلون من بعضهم تعلم الشرع ، والخوض في العلوم والمعارف الدينية والدنيوية .

فالعلم هو أصل الدين ولا خير في عزلة العوام والجهال ، وذلك لا يتأتى إلا بتبادل المعارف والخبرات والتجارب .

كما أن الإجتماع بالمؤمنين وقضاء حوائجهم له من الثواب العظيم الذي لايدانيه شيء (فالساعي في قضاء حاجة أخيه المؤمن كالمتشخص بدمه في سبيل الله) والأنس بالمؤمن ترويح للقلب وتهييج لدواعي النشاط في العبادة ، فإن القلوب إذا أكرهت عميت ، ومهما كان في الوحدة من وحشة وفي المجالسه أنس يروح القلب فهي أولى .

فالمعتزل لا يستغني عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته ، ولا يستغني عن كيان مؤمن يجد فيه طريقه وهمته لبلوغ غايته .

لذلك كانت الخلوة من سمات الشيعة الذين قال عنهم الصادق (ع) : (**شيعتنا إذا خلوا ذكروا الله كثيرا**)(٧٦) . كما جاء مسمى الذاكرين في العديد من الآيات والأحاديث بصيغة الجمع ، مما يؤكد شرعيتها وضرورتها الحياتيه .

إن شرعية تكوين وبناء الكيانات والجماعات ، تنطلق من ضرورتها الإيمانية ، وليس كما يشاع من حيث الضرورة السياسية ، وإن كان هذا من ذاك ، إلا أن الإيمان وحده هو الذي يشكل ذلك الكيان المتماسك ، الذي تذوب فيه الفروقات ، وتنصهر فيه النفوس في محبه ا لله ورسوله وأولي الأمر .

وما فشل الكيانات التي قامت وهي تفتقر إلى الإيمان ، إلا دليلاً متجلياً لكل ذي بصيرة وعقلية متحررة .

فالكيان المؤمن الذاكر عندما يجتمع ، يتحول إجتماعهم إلى روضة من رياض الجنة ، لأنهم تآخوا في ا لله ، ونبذوا مادونه ، من مصلحة ، وشهرة ، ومكاسب دنيوية ، كما قال رسول ا لله (ص) : (**بادروا إلى رياض الجنة ، قيل يارسول ا لله ومارياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر**)(٧٧) .

وكما جاء في وصية لقمان لابنه : (يابني ، اختر المجالس على عينك ، فإن رأيت قوماً يذكرون ا لله فأجلس معهم ، فإن تكن عالماً ينفعك علمك ، وإن تكن جاهلاً علموك ، ولعل ا لله أن يظلهم برحمته فيعمك معهم ، وإذا رأيت قوماً لايذكرون ا لله فلا تجلس معهم ، فإنك إن تكن عالماً لاينفعك علمك ، وإن تكن جاهلاً يزيدوك جهلاً ، ولعل ا لله أن يظلهم بعقوبة فيعمك معهم)(٧٨) .

وعن النبي (ص) : (إن الملائكة يمرون على حلق الذكر ، فيقومون على رؤوسهم ، ويبكون لبكائهم ، ويؤمنون على دعائهم ، فيقول ا لله سبحانه لهم : (وأشهدكم أني غفرت لهم وآمنتهم مما يخافون ، فيقولون : ربنا إن فلاناً كان فيهم ، وأنه لم يذكرك ، فيقول : قد غفرت له بمجالستهم لهم ، فإن الذاكرين لايشقى بهم جليسهم)(٨٠) .

ولو أمعنا النظر في أسباب نبذ العزلة عند العديد من المفكرين والمذاهب لرأيناها لاتعدو أحد الأسباب التالية :

أولاً : عدم إستيعاب المفهوم الحقيقي للخلوة ، بمفهومها القرآني الصريح ، حيث عرفوها بأنها الإنزواء والرهبنة والإبتعاد عن المجتمع والناس ، وملازمة زوايا المسجد أو الدار ، وأكل الخبز اليابس ولبس الخشن من الثياب .

في حين أن الخلوة بمفهومها القرآني تعني التزود من الفيوضات الرحمانية ، والأنس بالخالق والتفرغ للعبادة ، والإشتغال بالتفكر في ملكوت السماوات والأرض ليكون إنطلاقة في حياتهم لهداية الأمة من الضلال ودعوتهم للرشاد . وإلا كيف يدعو الناس للإيمان وهو لم يذق حلاوته ، أو يهديهم إلى الرشد وهو لم يسترشد آثاره ، أو كيف يدعوه إلى التوحيد وهو لم يأنس بجلوسه من الخالق ، أو كيف ينصحهم بالعدول عن المحرمات وهو لم يجاهد نفسه .

فالداعية إلى ا لله إن لم يتقرب لمعرفة الخالق ، لايستطيع دعوة الناس إليه ، وإن دعاهم إليه فقد يضل طريقه وإن ضل أضل من معه ، وهذا مع الأسف مايزخر به واقعنا .

فكم من داعية ظن في نفسه الإيمان ، وأكتفى باليسير من الزاد ، هوى على منخريه في بحر الظلمات ، فلم ينفع نفسه ولامن معه ، ولولا هذه الحقيقة لما أكد الإئمة المعصومين (ع) على الخلوة مع إشتغالهم بقيادة الأمة وإهتمامهم بعامة الناس .

ثانياً : لم يفرق عامة الناس بين مفهومي العزلة الشاملة والخلوة المؤقته ، حيث تعني الأولى العزلة من المجتمع ككل ، إذا إنسلخ من إنسانيته وإسلامه ، كما ذكرنا ، بينما تعني الخلوة ، فترات التأمل المتقطعة من حياة الإنسان التي يقضيها في محاكاة نفسه ، ومحاسبتها على أخطائها ، ويرجع بها إلى ا لله عز وجل ، فضعف البصيرة القرآنية جعل مفهوم الخلوة مفهوماً مريباً .

ثالثاً : تم فصل العبادة عن العلم ، حيث جردوا المعتزل عن العلم ، وأوقفوا العزلة على العبادة فقط ونسبوا إليها معاني الجهل والتخلف وما أشبه .

في الخلوة يجتمع العلم والإيمان ، فكما أنها وعاء العبادة وبها تتفتح همم الإنسان للوصول إلى أعلى مدارج الإيمان والتقوى ، فهي في الوقت نفسه تشمل أرقى مباديء التفكير والتركيز الروحي في علوم الكليات ، وبحث مدارك الكمالات ، وبحث معالم الأكوان ، وفلسفة الخلق ، وغيرها من العلوم الأخرى .

وكما ذكرنا ـ في الباب الرابع ـ حول معطيات الذكر فيما يتعلق بالعلم الذي لا يأتي إلا بالعبادة والخلوة والتفكر والروحانيات لحصول الحكمة ومعرفة أصول الأشياء ، وأسباب وجودها وماهيتها والحكمة منها ، وكما جاء في الحديث (العلم علمان مطبوع ومسموع ، ولاينفع المسموع إذا لم يكن مطبوع) ، والعلم المطبوع هو المستقر الحقيقي الذي يأتي بعد المجاهد والعزلة .﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾(٨١) .

رابعاً : يظن البعض أن الخلوة هروب من واقع الحياة وإنسحاب من المجتمع ، وإبتعاد عن محك الصراع الحضاري . وذلك ظن الذين نظروا بعين واحدة للإسلام ، وأولوا كل شيء لمفاهيمهم الخاصة ، وحجبوا ما دونه عن معتقداتهم .

إن مثل هؤلاء كمثل الذي يدخل حرباً فيفسر الآية الكريمة ﴿ **خذوا زينتكم عن كل مسجد** ﴾(٨٢) فيقول المراد بالزينة هو حمل السلاح ، لأن السلاح زينة الرجال ، في حين أن لهذه الآية أكثر من معنى ، فالبعض يرى أن المسجد هو قلب الإنسان ، وأخذ الزينة بمعنى أن يحاط القلب بذكر الله عز وجل ، كما يفهمه البعض التهييء للصلاة بأفضل صورة جسمانية .

أو كمن يفسر ﴿ والتين والزيتون ﴾ بأن التين دلالة على اسلوب المهادنة واللين في حين أن الزيتون يرمز إلى الصراع المسلح أو الحرب .. وما أشبه

فلكل فكر أبعاده الخاصة بموضوع فلسفة الحياة ، فالبعض يرى الحياة أنها دار صراع ، والبعض يراها دار للتمكين والبعض يراها حتمية لابد من إنقضائها والبعض يراها داراً للعبادة والإنتقال .

فمن يراها دار للصراع جند كل قواه وطاقته في الكيانات السياسية ، وجير كل شيء لصالح هذه الكيانات ، حتى الإسلام نفسه بدأ يجيره لخدمة الكيان ، في حين أن الكيان لابد أن يكون لخدمة الإسلام .

وما أكثر الذين ضاعوا وتاهوا روحياً وإيمانياً ، ونسوا أنفسهم بين مفردات الفكر ومصطلحات السياسة ، وتفاوت المسميات والبحث عن التعقيد ولزوم التابع الذي يجهل المتبوع .

والنتيجة هي .. الضياع ، لأن أصل الحياة إنما هي للعبادة ، بصريح الآية الكريمة ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد رزقاً ولا يطعمون ﴾ وبعد العبادة تأتي مرحلة الصراع والفتنة . وإلا إذا كان الإنسان عاصياً جاهلاً ، فما ينفعه الصراع ، وما تنفعه الفتن والإبتلاءات ، وما فائدة الصراع ونحن لانزال نجهل أنفسنا ونشكك في عقيدتنا ونجهل خالقنا ..

الإبتلاء والصراع يأتي كنتيجة للعبادة والإيمان ﴿ **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لايفتنون** ﴾(٨٣) ، فما نؤمن به الآن ليس هو الإيمان الذي يعقبه الإبتلاء والفتن إنما هو شيء آخر لا نصل إليه ، إلا بعد دراسة العقيدة دراسة تأني ، وإعادة النظر في مفاهيم الإسلام كالصدق مع النفس والإخلاص ، وبحث معايير التوجه الروحي للإنسان تجاه خالقه وربه ، وتزكية النفس من الأهواء وتطهير القلب من الأدران العالقة .

كما أن فهم الحياة على أنها ساحة صراع ، يجعل همنا وسعينا سعياً دنيوياً أكثر منه أخروياً ، لأننا نظل ننتظر نتائج أعمالنا في كل عمل نعمله أو نتحركه ، بغض النظر عن مبدأ الثواب والعقاب ، ونفكر في كل شيء من منظار المادة والمصلحة .

ولانريد هنا الخوض في موضوع الهروب من ساحة الصراع ، إلا أننا نؤكد أن أصعب ساحة يدخلها الإنسان هي ساحة النفس ، كما جاء في الحديث (إن أعدى أعداء الإنسان نفسه التي بين جنبيه) . فما أكثر من نجد من المفكرين والعاملين ممن يفقد

السيطرة على نفسه عند تعرضها للأزمات المادية ، أو الجنسية ، فيخر ساجداً لها على الرغم من علومه المكتسبة ووجاهته النظرة ، وعلو شخصيته الإجتماعية .

فالنفس هي ساحة الصراع الحقيقية ، التي تحتد بين دوافع الشر ودوافع الرحمان ، حتى إذا ما تم الإنتصار ، ركز الإنسان أولى خطواته على الطريق السليم .

فأرقى مرحلة من مراحل الصراع ، هي مرحلة الكفاح المسلح ضد العدو ، ولكن انظروا إلى رسول الله (ص) ماذا يقول عندما رجعت كتيبة من المجاهدين منتصرين في أحد المعارك ، قال : (لقد رجعتم من الجهاد الأصغر ، وعليكم بالجهاد الأكبر ، فقالوا : يارسول الله ، وما الجهاد الأكبر ، قال : جهاد النفس) .

وكما بينا أن ذكر الله يعلو على الجهاد في سبيل الله ، لأنه لولا ذكر الله لم يأمر بالجهاد .

* * *

سادساً :

التأمل والتفكر بوابة الروحانيات :

لعل لحظة تفكر أو تأمل واحدة ، كفيلة بتغيير حياة الإنسان ، واستبدال الضنك والمشقة بالسكينة والحياة السعيدة ، وهذه اللحظة تكون بداية الإنسان للدخول في عالم الروحانيات ، والتجرد عن الماديات ، وبداية الإنطلاقة في التصديق بعالم الغيب ..

فذلك اللص القاتل الذي استوقفته الآية الشريفة ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾(٨٤) .

وذلك المترف (بشر الحافي) الذي استوقفته كلمات الإمام (لو كان عبداً لله لما فعل هذا) .

وذلك الرجل الذي استوقفته كلمات الجارية التي قالت له بعد أن خيرها بين الزنا وبين إعطائها المساعدة ، وعندما لم تجد بداً من ذلك قالت : لك هذا ولكن لنذهب إلى مكان لايرانا فيه أحد ، فأخذها إلى داره وأغلق الأبواب ، وقال : نحن الآن بعيدين عن أنظار الناس ، فقالت له : ولكن الله يرانا ..

هذه الكلمات أخذت موقعها في روح الإنسان الإنتهازي ، فتحول إلى عابد زاهد ، كما حول من قبله اللص السارق إلى مؤمن صالح وتحول بشر الطاغي ، إلى بشر الحافي ..

حالات التأمل والتفكر .. بوابة النفس البشرية لمعرفة الذات والكشف عن ماهيتها وحقيقتها ومعدنها الأصيل ، وهما منفذ الروح لاستقصاء معالم الحياة وربطها بالسنن الكونية ، والتاريخ والحضارات الإنسانية .

والتأمل هو حالة من التواصل الروحي بين مجموعة من المتغيرات والأحداث ، يرتبط فيها الواقع بالخيال ، والماضي بالمستقبل ، والفلسفة بالحياة ، تبدأ بسؤال .. وتنتهي بسؤال ..

وهذا السؤال يحدث وقعاً نفسياً مؤثراً ذا ديناميكية في حياة الإنسان ، قد يغير مسارها ، ويقوّم إعوجاجها ويواصل إنقطاعها ..

في سؤال المتأمل يحاكي الإنسان نفسه ، من أنا ..؟ لماذا خلقت ..؟ وأين المنتهى؟ هذه الأسئلة تظل عالقة في أفق المتأمل .. وتراود خياله ، وتصدمه بالواقع المجرد للحياة والعالم ، لأنها ببساطه تعرفه بحقيقة نفسه وعالمه والهدف من وجوده .

فليس للعاقل أن يتخيل عالماً يتمحور حول كتلة من العبث والفوضى والتحرك العشوائي أو يتصور دنياً بكل مقوماتها ونظمها وتشريعاتها تقوم على اللاهدفية واللامنهجية ، فهل الإنسان مخلوق عابث .. كتلة من الغرائز .. مستودع من الإنفعالات والملذات .. وعاء للأكل والرغبات .. أم هو غير ذلك .

وهذا ما تجيب عليه فلسفة المعرفة لذات الإنسان ، والتي تبدأ بالتأمل والتفكر وإثارة هذه الأسئلة الجوهرية .

وغريب هذا المخلوق (الإنسان) الذي فكر في كل شيء ، إلا نفسه وروحه وذاته ، حتى إنتابه الغرور ليتخيل أنه أصبح يقبض على زمام الكون والطبيعة ، ويتحكم بها كما يشاء ، ويسوقها إلى حيث يريد .

وعجيب هذا المخلوق الذي إهتم في كل شيء من مأكل وملبس ومسكن ، ونسي أن يسأل نفسه من أنا ..؟ وماذا أريد ..؟ ولماذا هذا الخلق ؟ وإلى أين المنتهى ..؟ .

إن حالات التأمل توقظ الإنسان من غفلته ، وتعيد ترتيب أوراقه المبعثرة من جديد ، لذلك كان تفكر ساعة خيرمن عبادة سنة أو سبعين سنة ، كما جاء في الروايات .

ذلك أن مثل الإنسان في هذه الدنيا ، كرجل غاب عن الوعي .. ثم فتح عينه فوجد نفسه في مقصورة قطار ينطلق به سريعاً إلى حيث لايدري ، يخترق الجبال والوديان ، ويقطع الأنهار والتلال ، ويدخل عالماً لا علم له به ، ولكن بدل أن يسأل نفسه عن سبب وجوده في هذا القطار .. ومن جاء به إلى المقصورة ؟ ومن قائده ؟ وإلى أين المسير ؟ وأين هي غايته ومحطته الأخيرة ؟ بدل ذلك كله يتشاغل لأهياً ساهياً بما يراه من جمال الطريق

وغرابة المشاهد ، وإرتفاع الجبال وكثرة الأشجار .. ينظر إلى حدوده الضيقة .. هل مقصورتي جميلة ومؤثثة ومريحة ؟ هل تتوفر فيها سبل اللهو واللذة ؟ والقطار يمضي مسرعاً لحتفه ونهايته .

فالدنيا قطار متسارع .. يقطع بنا الفيافي والأزمان في الليل والنهار ، يجتاز فيه سلسلة الحياة البشرية ، ونحن بني البشر شغلنا أنفسنا بالنظر من نوافذ القطار إلى زخارف الدنيا ، وقطوفها الدانية وماديتها المجردة عن حقيقتها الجوهرية .. فنحن لانعلم شيئاً عن مصدرها ومنتهاها ، ولم نسأل أنفسنا يوماً من الذي أتى بنا في هذا القطار (الدنيا) ولماذا ؟ (فلسفة الحياة) وإلى أين ينتهي بنا المطاف ، وعن عليّة هذا القطار وسيره .

إن حالات التأمل والتفكر تحول مسيرة الإنسان نحو التكامل ، لأنها وقفة من النفس تعيد من خلالها برمجة الحياة وفق مناهج تتخللها المعرفة ، وتحددها فطرة الروح البشرية ، ويرسمها منطق العقل السليم ، وبالتالي تكون الصياغة الجديدة للإنسان لأنها تهيىء له أسباب العروج إلى الكمالات القدسية ، لذلك كان (أكثر عبادة أبي ذر رحمه الله التفكر والإعتبار) كما جاء عن الإمام الصادق (ع) ، وكما يقول أمير المؤمنين (ع) : التفكر يدعو إلى البر والعلم به)(٨٥) .

وكما جاء في الحديث (تفكر ساعة خير من عبادة سنه ، إنما يتذكر أولو الألباب)(٨٦)

لأن التفكر يرجع الإنسان إلى جادة الصواب ، ويضع قدمه على المحجة السليمة ، كما قال أمير المؤمنين (ع) : (**ولو فكروا في عظيم القدرة ، وجسيم النعمة ، لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق**) .

وما أبعد بني البشر عن هذه اللحظات الجوهرية ، لحظات التأمل والتفكر ، والإعتبار ، فنعيش حياة الدابة المربوطة ، همها علفها ، تدور في طاحونة الحياة ، نخرج من الصباح إلى العمل ثم نرجع للغداء ، وننصرف إلى شئون المنزل والأطفال إلى حين المساء ، وتبدأ دورة العمل من جديد دون إستيقاف النفس ، أو محاكاة للروح وسؤالها عن هدفيتها ومسيرتها في هذه الحياة .

ومما يعيق عملية التفكر والتأمل ، الغفلة التي تستحكم بالانسان ، فينظر لأحداث الحيـاة ومفرداتها على أنها عادة ، فتفقد الموجودات بالنسبة إليه أية دلالـة أو معنـى أو هدفيـة ، فلاشيء يستوقفه أو يدعوه للتأمل والإعتبار ، ﴿ **أو كأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون** ﴾(٨٧) . لذلك أوحـى الله إلى نبيـه عيسى (ع) : (**ياعيسى .. تيقظ في ساعات الغفلة ، وأحكم لي لطيف الحكمة**)(٨٨) .

فكل ما في الكون والوجود يدعو إلى الله ، من قريب أو بعيد ، مـن الخليـة المجهريـة إلى أكـبر منظومـة شمسية ، تدعـو إلى التفكـر في أمـر الله وإدراك قدرتـه المتناهيــة الدقـة في الموجودات . لذلك كان التفكر والتأمل أولى خطوات السلوك الروحاني ، حيـث يتنـاول التفكر الإجابة على العديد من الإسئلة حـول فلسـفة الخلـق ، والوجـود وهدفيـة الحيـاة ، والبعث والنشور والحساب .

لذا أوصى أمير المؤمنين ولده الحسن (عليهما السـلام) : (لاعبـادة كـالتفكر في صنعـة الله عزوجل) وعنه كذلك (**التفكر في ملكوت السماوات والأرض عبادة المخلصـين**) وجاء في معاني الأخبار عن النبي (ص) : (**أغفل الناس مـن لم يتعـظ بتغـير الدنيـا مـن حال إلى حال**) . وجاء في صحف إبراهيم (ع) : (على العاقل أن تكون له سـاعات : ساعة يناجي فيها ربه تعالى ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيهـا صنـع الله ، وساعة يخلـو فيهـا بحـظ نفسـه مـن الحـلال ، فـإن هـذه السـاعة عـون لتلـك السـاعات ، واستجمام للقلوب وتفريغ لها)(٨٩) .

والتفكر هو الذكر الحقيقي القلبي والوجداني ، الذي لايدانية بعد المعرفة صفـة أو عمـل في العلو والفضيلة ، لأنه يفتح أبصار القلوب على الحقـائق ، وبـه تظهـر في النفـس آثـار العبودية وذل الإنكسار والمسكنة .

وخلاصة فلسفة التأمل والتفكر هو إقناعك بأنك روح بالدرجـة الأولى ، قـد حلـت في هذا الجسد الظاهري ، ولهذه الروح كما للجسد متطلبات عديده ، وأمور كثيره لابد مـن تبنيها ، وألاتعطي كل إهتمامك وجهدك لهذا الجسد المادي ، لأنه جسد فاني مضمحـل ،

والروح هي الأصل الباقي ، وعلى هذه الفكرة قامت جميع رسالات السماء ، وهي فكرة الإهتمام بالروح (الباقية) أكثر من اهتمامها بالجسد (الفاني) .

ولأن الإنسان يعيش في عالم مترابط ، تسوده المادة وتؤطره المصالح ، غفل عن هذه الحقيقة الكلية ، لذلك كان التأمل والتفكر لإرجاع الإنسان إلى روحه وحقيقته . فالإنسان يولد ، غنياً كان أو فقيراً ، سليماً كان أومعاقاً ، أسوداً كان أو أبيض ، يفكر في غده ومستقبله ، وأمله في الحياة من شهادة ومنصب وشهرة ورفاه وزوجة وأطفال .. الخ ويتقدم به العمر وتمضي به الأيام ، قد يصل إلى هدفه أو يكاد ، ولكن بعد هذا ، يجد نفسه يبحث عن سراب ، فالمنصب إنتقل ، والمرأة هرمت ، والطفل فسد والبيت تصدع ، والمال توزع ، والشهرة إنعدمت .. الخ حتى ولو نجح في حياته إلى آخر لحظة فإن الموت يباغته ويسلب منه وجوده وكيانه .

بعد كل هذه الجهود والمشقة في بناء هذه الحياة ومتعلقاتها .. يضمحل كل شيء . ولم يدخر شيئاً لروحه (الحقيقة الباقية بعد الموت) ، بعد سبعين أو ثمانين سنة من مولده إلى موته ، لم يعرف شيئاً عن روحه التي هي ديناميكية وجوده ، وجعل جل إهتمامه في جسده الضعيف ، ونأى عن الهدف الأكبر والحياة الباقية .

ألا يدعو سلوك الإنسان إلى الدهشة والإستغراب ..!! يهتم بجسده الذي يعمر إلى الثمانين أو ما يقاربه ، ويغفل عن الروح التي ستخلد أبد الدهر .. الروح التي ستنتقل من هذا الجسد (بعد الموت) إلى عوالم وعوالم عديده ، ومتشعبة لا يعلم مداها إلا الله تبارك وتعالى .

عجبت لهذا الإنسان الذي يعد ويهيء زاده لسفره الذي يستغرق بضع ساعات أو أيام ، ويهمل سفر الروح الذي يستغرق آلاف السنين (بحساب الله) .

(يابن آدم : أكثر من الزاد إلى طريق بعيد ، وخفف الحمل فالصراط دقيق ، وأخلص العمل فإن الناقد بصير ، وأخر نومك إلى القبر ، وفخرك إلى الميزان ، ولذاتك إلى الجنة)(٩٠) .

فأي إنسان يستبدل الطيب بالخبيث ، والطالح بالصالح ، ولو تفكرنا في هذا الأمر لكفانا ردعاً في الإهتمام بالأجساد البالية ، والإهتمام بالأرواح الباقية ، والإلتجاء إلى ا لله ذو الصفات العالية .

(**يابن آدم : ليس من إنكسر مركبه وبقي على لوحه في البحر بأعظم مصيبة منك ، لأنك من ذنوبك على يقين ومن عملك على خطر**)(٩١) .

لذلك جعل الحق تقدست أسماؤه التفكر أولى صفات الروحانيين (اولو الألباب) وأولى صفات الذاكرين ﴿ **إن في خلق السماوات والأرض وإختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون ا لله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذا ب النار** ﴾ .

سابعاً :

التحصين :

ينبغي للذاكر والمريد أن يحصن نفسه في اليوم والليلة من الشيطان ووساوسه وحبائله ، لأنه سيترصده في كل حركاته وسكناته ولفتاته ، فالذاكر ديدن الشيطان ، وموضع عمله ونشاطه ، ومحط رحاله ، فهو أعتى عدو للشيطان لتمسكه بالعروة الوثقى التي لا إنفصام لها ، وبالكلمة العليا التي تفضح الشيطان ووساوسه .

وجنود إبليس ليسوا بحاجة إلى مشقة في إغواء السذج من الناس الذين نسوا أنفسهم ، وتاهوا في منزلقات الحياة الدنية ، ولكنهم يجدون المكدة والتعب في إغواء الذاكر الذي إنطمست روحه بمعين الكمالات الروحية ، وفاضت نفسه بالنفحات القدسية .

وقد يتساءل البعض .. كيف يكون للشيطان سبيل على الذاكر ، مع ماله من عظيم الرفعة والثواب والتمكين عند ا لله عزوجل ؟ ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان** ﴾

إن للذكر مراتب ، كما أن لعروج الإنسان روحيا مراتب ومراحل ، وفي أولى مراحله يكون عرضة لحبائل الشيطان ووساوسه الخبيثة ، وذلك نراه جلياً عندما يمارس البعض الرياضات الروحية ، فينفخ الشيطان في روعه الإدعاء بالربوبية ، ويهيء له سبيل ذلك كمعرفة متعلقات الغيب أو صدق التنبيء أو بعض التجليات البصرية أو السمعية .

فالبعض يخترقه الشيطان من حيث لايدري ، ويحقق له بعض الأعمال الخارقة والمعجزات الظاهرة ليؤكد على صدق إعتقادة .

كما أن الشيطان يخترق الإنسان في مراحله الأولى عبر المس وإختراق هالته المحيطة ، فكم من الحالات التي تلمسناها عن كثب سببها مس الشيطان ، والسبب هو الجهل في مسألة الذكر ، فالذاكر لابد أن يحصن نفسه قبل كل شيء ، لأن الذكر مادة الصراع الحقيقي بين الإنسان والشيطان .

كما تلمسنا بعض الحالات التي أدت بأصحابها إلى إدعاء النبوة أو الربوبية ، وهذه نتيجة طبيعية لمن يجهل أهمية التحصين التي أكد عليها الإسلام والأئمة المعصومين عليهم السلام .

فصراعنا الحقيقي مع الشيطان وجنوده ، ليس من أجل الصلاة ولا الصوم ولا الحج ، وإنما هو من أجل الذكر ، ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾(٩٢) ، فالشيطان يريد عيشاً بدون ذكر أو تسبيح ، لأن ذلك يؤهله للعيش مع الإنسان في بيته وفي جسده وأينما شاء .

وجاءت الأحاديث والأدعية لتؤكد هذا المعنى ففي غرر الحكم عن الأمير (ع) : (ذكر الله رأسْ مال كل مؤمن وربحة السلامة من الشيطان) ، كما جاء في نهج البلاغة (**وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة ممتحناً إخلاصها .. فإنها عزيمة الإيمان وفاتحة الإحسان ، ومرضاة الرحمن ، ومدحرة الشيطان**) .

أما لو وصل الإنسان إلى مرحلة روحية متقدمة ، فلا يكون للشيطان عليه سلطاناً ، لأنه بمجرد الإقتراب منه آنذاك يحترق لقوة الروحانية التي تشع من قلبه .

ولأهمية التحصين ، فقد زخرت به الكتب المخصوصه بالأدعية والأذكار ، أو التي أشارت إلى خواص القرآن ، ولعل أقل ما يمكن للمرء أن يحصن به نفسه قراءة آية الكرسي ٣ مرات وسورة الأخلاص ٧ مرات ، أو قراءة (بسم ا لله الذي لايضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم) سبع مرات ، و (حسبي ا لله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) سبع مرات ، أو (أعوذ بكلمات ا لله التامات التي لايجاوزهن بر ولافاجر ، من شر ما خلق وذرا وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ماذرأ في الأرض ، ومن شر ما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر طوارق الليل والنهار الا طارقاً يطرق بخير يارحمن) أو قراءة دعاء التحصين للإمام زين العابدين (ع) : (سددت (شددت) أفواه الجن والإنس والشياطين والسحرة والأبالسة من الجن والانس والسلاطين ومن يلوذ بهم با لله العزيز الأعز وبا لله الكبير الأكبر بسم ا لله الظاهر الباطن المكنون المخزون الذي أقام به السماوات والأرض ثم استوى على العرش ، ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لاينطقون مالكم لاتنطقون ، قال اخسئوا فيها ولاتكلمون ، وعنت الوجوه للحي القيوم ، وقد خاب من حمل ظلماً ، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا ، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً ، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا ، وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالأخرة حجاباً مستورا ، وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لايبصرون ، اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن ا لله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ، وصلي ا لله على محمد وآله الطاهرين .) .

ثامناً :

الرياضة الروحية

(وتلك نفسي أروضها لتأتي آمنة يوم الفزع الأكبر) عن الأمير في نهج البلاغة

عندما نتحدث عن الرياضة الروحية ، يتبادر إلى أذهان الناس الطرق البراهمية والبوذية والصوفية ، التي تمارس لتنقية الذات ، وتحرى الحقائق ، عبر الكشف والجلاء .

ويرى البعض أن الإسلام بعيد كل البعد عن أية ممارسة عملية في الرياضات الروحية التي تختص في معالجة أمراض الروح من جانب وفي مراحل سموها وإرتقائها من جانب آخر .

ونتيجة لعدم تقبل الناس عادة لمثل هذه الرياضات ، رفضوها وادعوا أن الإتيان بها أو ممارستها شذوذ عن الفطرة ، وتكليف النفس البشرية مالا طاقة لها به ، وقالوا بما أننا مسلمون فلا داعي لهذه الرياضات الروحية لأنها بعيدة عن الشرع الإسلامي .

وانبثقت هذه الفكرة نتيجة إرهاصات وتقلبات أحوال المسلمين الذين أخذوا خفاً من الإسلام ، وعبدوا الله على حرف ، وتمسكوا بالقشور دون اللباب ، وتركوا كل ما من شأنه إعياء النفس أو ما يتسبب في إرهاقها وتعبها ، فأخذوا بحديث كراهية ترك أكل اللحم أربعين يوماً ، وتركوا استحباب الإمتناع عن أكل كل ذي روح على العموم . أخذوا أحاديث استحباب الزينة ، وتركوات أحاديث الزهد في المأكل والمشرب ، على الرغم ان الأول لايتضاد مع الثاني ، إلا أنهم أخذوا بالأول وتركوا الثاني ، وفق ما تقتضيه مصالحهم الذاتية ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض** ﴾(٩٣) .

كما أن البعض يهول السهر والعبادة آناء الليل بحجة المعاش في الصباح والكد على العيال ، في حين لو تمعنا في سيرة الرسول (ص) والأئمة عليهم السلام نجدهم أشد الناس إهتماماً في تزكية وسمو أرواحهم ، وأكثرهم تطبيقاً للرياضات الروحية ، ولم تمنعهم انشغالات المعاش والأهل والأولاد عن ذلك .

والسؤال هو .. أي رياضة روحية نتبناها نحن المسلمين ..؟ هل ما نقرأه من طرق علمية حديثة .. أو ماقالت به الطرق البراهمية .. أو ما صرحت به المدارس البوذية .. أو ما تحقق على أيدي المتصوفة !!

ولسنا بحاجة هنا إلى ذكر الطرق التي اتبعتها هذه المذاهب ، لأنها تبعدنا عن أصل البحث ، إلا أننا نشير إلى فكرة أساسية وهي أن جميع هذه الطرق لم تأتي من فراغ ، وإنما جاءت عن طريق الإلهام والتنبؤ والوحي ، وإمتدادها يرجع إلى إرشاد وتوجيه روحي من الخالق عز وجل ، إلى بني البشر ، إلا أنها مع الزمن اختلط نهجها وممارستها بين الحق والباطل ، وأضيفت إليها رياضات ما أنزل الله بها من سلطان ، فابتعدت عن المحجة البيضاء وانحرفت عن الطريقة .﴿ **وأن لو استقاموا على الطريقة** ﴾ .

فالزيادة والنقصان في التشريع مرده الشيطان ، ويخطيء من يظن أن الزيادة في صلاة الصبح أعظم ثواباً وأثقل ميزاناً ، أو الصوم في حالة المرض الشديد تكفير للذنوب وإعظام للشأن .

كما تم تحوير وتفخيم الرياضات الروحية التي جاء بها الأنبياء والرسل ، وأصبح العمل بها مسألة شاقة فوق طاقة البشر ، مما دعى الناس للإبتعاد عنها ، وجعلت ممارستها للخواص من الناس .

فالمتصوف يجوع إلى درجة الهلاك ، ويلبس الخفيف في زمهرير الشتاء ، وتشتعل أحشاؤه عطشاً ولايشرب الماء ، ويرقع ثوبه وإن كان جديداً ..وغيرها من الممارسات التي شوهت وأماتت الرياضات الروحية التي جاء بها المشرع الإسلامي .

المنهج الإسلامي في الرياضة الروحية :

نهج الإسلام منهجاً معتدلاً متناغماً مع الفطرة الإنسانية في مسألة سموالروح البشرية ﴿ **وجعلناكم أمة وسطاً** ﴾(٩٤) ، فالله عزوجل الذي خلق الإنسان ونفخ فيه من روحه أعلم بحقيقة الروح وحاجتها إلى مثل هذه الرياضات ، فيسرها وسهلها ليتمكن كل إنسان من القيام بها دون تكليف ومشقة كبيرة .

وتعتمد الرياضة الروحية على رباعية (الزهد ـ الخلوة ـ الصمت ـ الجوع) كأعمدة وركائز أساسية في تهذيب النفس وعروجها الروحي . جمعها حديث شريف في منتهى الجمال والوزن والمعنى (**الصمت يورث معرفة ا لله ، والعزلة تورث معرفة الدنيا ، والجوع يورث معرفة الشيطان ، والسهر يورث معرفة النفس**)(٩٥) .

يحق لنا .. أن نكتب هذا الحديث بماء الذهب ، ونعلقه في زوايا المنزل ، فبهذا النسق الفريد الخالى من التعقيد ، يطرح الإسلام منهج الرياضة الروحية دون تكلف أو صعوبة .

وفي سؤال أجاب عليه العلامة أحمد زين الدين الأحسائي ، عند سؤاله عن الرياضة والسلوك إلى ا لله أجاب : (وإن أبيت إلا الرياضة فأصحها طريق أهل العصمة (عليهم السلام) وهو أنك لا تأكل حتى تجوع ، وإذا جعت فكل ولاتملأ ، بل ترفع يدك وأنت تشتهي الطعام ، ولك ميل إليه ، وإياك والشبع فإنه من مؤذيات جنود الشيطان ، وكذلك الشراب ، لاتشرب حتى تعطش ، فإذا عطشت فأشرب ولا تملأ ، فأرفع رأسك وأنت تشتهي ، وذلك إمتثالاً لقول ا لله عز وجل ﴿ **وكلوا وأشربوا ولاتسرفوا ، إنه لايحب المسرفين** ﴾(٩٦) .

وقد ذكرنا سابقاً أن العلم نور يقذفه ا لله في قلب من يحب ، وفي الآية الكريمة يذكر ا لله انه لايحب المسرفين ، لذلك فلا تجتمع الحكمة والعلم والروحانية مع كثرة الأكل والشرب . كما جاء عن زين العابدين (ع) : (**إن قسوة البطنة ، وفترة الميلة ، وسكر الشبع ، وغرة الملك مما يثبط ويبطيء من العمل وينسي الذكر**)(٩٦/١) .

كما جاء في السورة الثامنة عشر من كلمة ا لله للشيرازي (يابن آدم : كيف تطمع في العبادة مع الشبع ، وكيف تطلب جلاء القلب مع كثرة النوم ، وكيف تطمع في الخوف من ا لله مع خوف الفقر ..)

ودعونا نعيش برهة مع هذا الحديث القدسي ، الذي أوصي به الرب نبينا محمد (ص) وهو يجمع كل الرياضات الروحية ، التي تسمو بالروح إلى خالقها من ألفها إلى يائها .. وهو ليس بكلام بشر حتى نشكك في صحته أو نقول بصلاحيته ، ولابكلام زاهد أو

متنسك حتى نتهمه بترويج معتقداته .. بل هو كلام رب العزة الذي أراد لهذا الإنسان السعادة الأبدية ، والإرتقاء بالروح إلى أرقى مكانتها وتصفية كدوراتها التي علقت بها .

فعن أمير المؤمنين عليه السلام ، أن النبي صلى الله عليه وآله سأل ربه سبحانه ليلة المعراج فقال : يارب ، أي الأعمال أفضل ؟ فقال الله عز وجل :

(ليس شيء عندي أفضل من التوكل عليّ والرضا بما قسمت ، يامحمد ، وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، ووجبت محبتي للمتعاطفين فيّ ، ووجبت محبتي للمتواصلين فيّ ، ووجبت محبيت للمتوكلين عليّ ، وليس لمحبتي علم ، ولا غاية ولانهاية ، وكلما رفعت لهم علماً وضعت علماً ، أولئك الذين نظروا إلى المخلوقين بنظري إليهم ، ولايرفعون الحوائج إلى الخلق ، **بطونهم خفيفة من أكل الحلال ، نعيمهم في الدنيا ذكري ، ومحبتي ، ورضاي عنهم .**

يا أحمد .. إن أحببت أن تكون أورع الناس ، **فازهد في الدنيا وأرغب في الآخرة ،** فقال ياإلهي كيف أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة ؟ قال : **خذ من الدنيا خفاً من الطعام والشراب واللباس ، ولاتدخر لغد ، ودم على ذكري .** فقال : يارب وكيف أدوم على ذكرك ؟ فقال : **بالخلوة عن الناس ، وبغضك الحلو والحامض ، وفراغ بطنك وبيتك من الدنيا** . فقال : يارب ، دلني على عمل أتقرب به إليك ، قال : **إجعل ليلك نهاراً ، ونهارك ليلاً ، قال : يارب ، كيف ذلك ؟ قال : إجعل نومك صلاة ، وطعامك الجوع .**

يا أحمد ... وعزتي وجلالي ، ما من عبد مؤمن ضمن لي أربع خصال إلا أدخلته الجنة ، يطوي لسانه فلا يفتحه إلا بما يعنيه ، ويحفظ قلبه من الوسواس ، ويحفظ علمي ونظري إليه ، وتكون قرة عينه الجوع .

يا أحمد ... **لو ذقت حلاوة الجوع والصمت والخلوة ، وما ورثوا منها . قال يارب ، ما ميراث الجوع ؟**

قال : الحكمة ، وحفظ القلب ، والتقرب إليّ والحزن الدائم ، وخفة المؤونة بين الناس وقول الحق ، ولايبالي عاش بيسر أو بعسر .

يا أحمد .. هل تدري بأي وقت يتقرب العبد إلى الله . قال : لا يارب قال : إذا كان جائعاً أو ساجداً .

يا أحمد ... عجبت من ثلاث عبيد : عبد دخل في الصلاة ، وهو يعلم إلى من يرفع يديه ؟ وقدام من هو ؟ وهو ينعس ، وعجبت من عبد له قوت يوم من حشيش أو غيره ، وهو يهتم لغد ، وعجبت من عبد لايدري أني راض عنه أو ساخط عليه وهو يضحك .

يا أحمد ... إن في الجنة قصراً من لؤلؤة فوق لؤلؤة ودرة فوق درة ، ليس فيها فصم ولا وصل ، وفيها الخواص ، أنظر إليهم كل يوم سبعين مرة وأكلمهم ، كلما نظرت إليهم أزيد في ملكهم سبعين ضعفاً ، وإذا تلذذ أهل الجنة بالطعام والشراب تلذذوا بكلامي وحديثي ، قال : يارب ، ماعلامات أولئك ؟ قال :

هم في الدنيا مسجونون ، قد سجنوا ألسنتهم من فضول الكلام ، وبطونهم من فضول الطعام .

يا أحمد ... لا تتزين بلين اللباس ، وطيب الطعام ، ولين الوطاء ، فإن النفس مأوى كل شر ، وهي رفيق كل سوء ، تجرها إلى طاعة الله وتجرك إلى معصيته ، وتخالفك في طاعته وتطيعك فيما يكره ، وتطغى إذا شبعت ، وتشكو إذا جاعت ، وتغضب إذا افتقرت ، وتتكبر إذا استغنت ، وتنسى إذا كبرت ، وتغفل إذا أمنت ، وهي قرينة الشيطان ، ومثل النفس كمثل النعامة ، تأكل الكثير وإذا حمل عليها لاتطير ، ومثل الدلفي ، لونه حسن وطعمه مر .

يا أحمد ... إن أهل الخير وأهل الآخرة رقيقة وجوههم ، كثير حياؤهم ، قليل حمقهم تنام أعينهم ، ولاتنام قلوبهم ، أعينهم باكية ، وقلوبهم ذاكرة ، إذا كتب الناس في الغافلين ، كتبوا من الذاكرين ، في أول النعمة يحمدون ، وفي آخرها يشكرون ، ولايشغلهم عن الله شيء طرفة عين ، ولايريدون كثرة الطعام ولاكثرة الكلام ،

ولاكثرة اللباس ، الناس عندهم موتى وا لله عندهم حي قيوم كريم ، يموت الناس مرة ويموت أحدهم في كل يوم سبعين مرة من مجاهدة أنفسهم ، ومخالفة هواهم ، والشيطان الذي يجري في عروقهم ، ولو تحركت ريح لزعزعتهم ، وإن قاموا بين يدي كأنهم بنيان مرصوص ، **لاأري في قلبهم شغلاً لمخلوق ، فوعزتي وجلالي ، لأحيينهم حياة طيبة ، إذا فارقت أرواحهم أجسادهم ، لا أسلط عليهم ملك الموت ، ولا يلي قبض أرواحهم غيري .**

يا أحمد ... **إن أهل الآخرة لا يهنأهم الطعام منذ عرفوا ربهم** ، ولاتشغلهم مصيبة منذ عرفوا سيئاتهم ، يبكون على خطاياهم ، يتعبون أنفسهم ولايريحونها ، وإن راحة أهل الجنة في الموت ، والآخرة مستراح العابدين ، مؤنسهم دموعهم التي تفيض على خدودهم وجلوسهم مع الملائكة الذين عن أيمانهم وعن شمائلهم ، ومناجاتهم مع الجليل الذي فوق عرشه ، وإن أهل الآخرة قلوبهم في أجوافهم قد قرحت ، يقولون : متى نستريح من دار الفناء إلى دار البقاء .

يا أحمد ... **وجوه الزاهدين مصفرة من تعب الليل وصوم النهار ، وألسنتهم كلال ، إلا من ذكر ا لله تعالى ، قلوبهم في صدورهم مطعونه من كثرة ما يخالفون أهواءهم ،** قد ضمروا أنفسهم من كثرة صمتهم ، قد أعطوا الجهود من أنفسهم ، لا من خوف نار ولا من شوق جنة ، ولكن ينظرون في ملكوت السماوات والأرض ، فيعلمون أن ا لله سبحانه وتعالى ، أهل العبادة ، كأنما ينظرون إلى من فوقها .

يا أحمد ... **عليك بالصمت ، فإن أعمر القلوب قلوب الصالحين والصامتين ، وإن أخوب القلوب قلوب المتكلمين بما لايعنيهم .**

قال : ما أول العبادة ، قال : أول العبادة الصمت والصوم ، قال : يارب ، وما ميراث الصوم ، قال :

الصوم يورث الحكمة ، والحكمة تورث المعرفة والمعرفة تورث اليقين ، فإذا استيقن العبد لايبالي كيف أصبح ، بعسر أم بيسر .

يا أحمد ... إجعل همك هماً واحداً ، واجعل لسانك لساناً واحداً ، واجعل بدنك حياً لاتغفل عني ، من يغفل عني ، لا أبالي بأي بواد هلك .

يا أحمد ... **إن العبد إذا جاع بطنه ، وحفظ لسانه ، علمته الحكمة** ، وإن كان كافراً تكون حكمته حجة عليه ووبالاً ، وإن كان مؤمناً تكون الحكمة له نوراً وبرهاناً وشفاء ورحمة .

يا أحمد ... **ليس شيء من العبادة إلي أحب من الصمت والصوم** ، فمن صام و لم يحفظ لسانه ، كمن قام و لم يقرأ في صلاته ، فأعطيه أجر القيام ، و لم أعطه أجر العابدين

يا أحمد ... هل تدري متى يكون العبد عابداً قال : لا يارب ، قال :

إذا اجتمع فيه سبع خصال ، ورع يحجز عن المحارم ، وصمت يكفيه عما لايعنيه ، وخوف يزداد كل يوم من بكائه ، وحياء يستحي مني في الخلاء ، وأكل مالابد منه ، ويبغض الدنيا لبغضي لها ، ويحب الأخيار لحبي إياهم .

يا أحمد ... ليس كل من قال : أحب الله أحبني ، حتى يأخذ قوتاً ، ويلبس دوناً ، وينام سجوداً ، ويطيل قياماً ، ويتوكل عليّ ، ويبكي كثيراً ، ويقل ضحكاً ، ويخالف هواه ، ويتخذ المسجد بيتاً ، والعلم صاحباً ، **والزهد جليساً** ، والعلماء أحباء ، والفقراء رفقاء ، ويطلب رضاي ، ويفر من العاصين فراراً ، **ويشغل بذكري اشتغالا ، ويكثر التسبيح دائماً** ، ويكون بالوعد صادقاً ، وبالعهد وافياً ، ويكون قلبه طاهراً ، وفي الصلاة زاكياً ، وفي الفرائض مجتهداً ، وفيما عندي من الثواب راغباً ، ومن عذابي راهباً ، ولأحبائي قريباً وجليساً)(٩٧) .

وجاء في حديث قدسي آخر :

(يابن آدم : تريد وأريد ، ولايكون إلا ما أريد ، فمن قصدني عرفني ، ومن عرفني أرادني ، ومن أرادني طلبني ، ومن طلبني وجدني ، ومن وجدني خدمني ، ومن خدمني ذكرني ، ومن ذكرني ذكرته برحمتي ، يابن آدم : **لا يخلص عملك حتى تذوق أربع موتات ، الموت الأحمر ، والموت الأصفر ، والموت الأسود ، والموت الأبيض : الموت**

الاحمر إحتمال الجفاء ، وكـف الأذى ، والمـوت الأصفـر الجـوع والإعسـار ، والمـوت الأسود مخالفة النفس والهوى فلا تتبع الهوى فيضلك عن سـبيل ا لله ، والمـوت الأبيـض العزلة)[٩٨]

يابن آدم : تورع تعرفني ، وتجوع ترني ، وأعبدني تجدني ، وتفرد تصلني)[٩٩] .

كما أوصى ا لله تعالى نبيه موسى (ع) :

(ياموسـى : اذكرنـي في سـرائك وخلواتـك وعنـد سـرور لذاتـك ، أذكـرك عنـد غفلاتك)[١٠٠] .

كما أوحى إلى نبيه عيسى (ع) : **(ياعيسى راع الليل لتحرس مسرتي واظمأ نهارك ليوم حاجتك عندي)**[١٠١] .



الفصل السادس

أسماء الله الحسنى

﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾

يابن آدم :

(استقامت سماواتي في الهواء بلا عمد بأسم من أسمائي)



أسماء الله الحسنى ، عدد درج الجنة ، وعنها أنفصل العلم وإليها يرجع ، وعنها ظهرت الموجودات ، فالموجودات آية دالة على الأسماء الحسنى .

وقد سرت الأسماء سلوك الأرواح في الأجساد ، وحلت محلها محل الأمر من الخلق فما من موجود صغر أو عظم ، علا أو دنى ، إلا وكانت أسماء الله تعالى محيطة به عينا ومعنى .

هذه الأسماء الروحية النيرة ، لها من العظمة والقدسية التي قال عنها الباري عز وجل : يأبن آدم : (**استقامت سماواتي في الهواء بلا عمد بأسم من أسمائي**) ، ما فاض به الوجود من الروحاينة ، وغمرت الملكوت بالأشعة الرحمانية .

وأسماء الله الحسنى إنما تفيض على الذاكر عند حصول اليقين في قلبه والأخلاص في وجدانه ، وأول مايخص الله به العبد إذا أراد أن يتولاه ، وأن يعلمه العلم اللدني فيكون ولياً عالماً عارفاً ، أن يخصه من علم الأسماء الحسنى التسعة والتسعين أسماً خاصاً ، فيفتح له منه العلم ما لا ينفتح للعالم بطريق النظر ، ثم يرقيه إلى معرفة الأسماء الباطنية ، والأحرف النورانية الأربعة عشر الواردة في أوائل بعض سور القرآن وكيفية إتصالها ببعضها على النحو الصحيح ، بعد ذلك يهبه الله الأسم الأعظم الذي إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ، وذلك إما أن يأخذه عن طريق الخضر (ع) أو عن أحد المعصومين عليهم السلام ، وإما أن يقذفه الله تعالى في إلهامه ، عند هبوب الرحمة عليه ، ويتم هذا التلقي بعد أن يجد الله فيه النية الخالصة والروح الطاهرة والنفس الزكية ، لأن هذه الرحمة يختص بها الله من يشاء من عبادة .

وأسماء الله عزوجل لاتحصى بعدد ، وإنما نركز على هذه الأسماء لذكرها في القرآن ويدل على ذلك الدعاء المأثور (وأسألك بأسمائك الحسنى ماعلمت منها وما لم أعلم) .

كما أنها تنقسم إلى أسماء الذات ، وأسماء الصفات ، وأسماء الأوصاف وأسماء الأخلاق ، وأسماء الأفعال ، فمن هذه الأسماء جلت وتقدست أسماء مخصوصه بخواص معلومة ، وأسماء مشتركة يدخل بعضها في بعض ، وفيها ما تكون خاصيتها وحدها لما فيها من قوة الإجابة والسر العظيم .

ولهذه الأسماء أسرار لا تعد ولاتحصى ، وأنوار لاتنطفي ولاتبلى ، ونحن في هذا الفصل نذكر موجزاً سريعاً من معالم هذه الأسماء ، فالبعد الروحي للذكر يستلزم ذكر مفرداته وآليته ، وقد تكون لنا وقفة أخري مع أسماء الله الحسنى في مبحث آخر وكشف بعض أسرارها الملكوتية ، وأنوارها الربانية .

الأسماء المباركة :

فأسماء الله الحسنى النورانية المشهورة ، والتي هي بوابة السالك إلى الروحانية تسعة وتسعون أسماً ، كما جاء في حديث الرسول الأعظم (ص) : (إن لله تسعة وتسعون أسما من أحصاها دخل الجنة) ، والأحصاء هنا لايعني حفظها أو عدّها وإنما الأحاطة بها والوقوف على معانيها ، والتخلق بها وعشق صاحبها ، فكل أسم يطبع في الأنسان سلوكاً ربانيا ً ، كما جاء في الحديث : (تخلقوا بأخلاق الله) . والأسماء هى :

(الله لا إله إلا هو ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز، الجبار، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ،

الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدي ، المعيد ، المحيي ، المميت الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالي ، البر ، التواب ، المنتقم العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والأكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور) .

وقد أحصاها النبي (ص) وخصها بالذكر لكونها جوامع كلم مشتملة على المعاني التي هي درج الجنة ، فلذلك قال من أحصاها دخل الجنة ، و لم يذكر الاسم الذي هو تمام المائة لاختصاص رسول الله (ص) به ، لذا قال بعض العارفين أن الإسم المائة هو اسمه صلى الله عليه وآله ومعناه الوسيلة اذ هو سبب الوصول إلى هذا الكنز العظيم ..

وسوف نتناول بايجاز بعض ملامح هذه الأسماء كي نتدرج بها إلى معرفة جزء يسير من الحقائق العرفانية والأسرار الربانية المختزنه بها :

﴿ **هو** ﴾ فهو ضمير الغيبة وهو من أخص أسمائه تعالى ، إذ الغيبة الحقيقية إنما هي له إذ لاتصوره العقول ولاتحده الأوهام ، وهو إسم للذات باعتبار احاطة عينها وإطلاقها عن جميع القيود والأوصاف التي توجب تعدداً ، وهو فاتحة الأسماء وأم كتابها وقد نزل منها منزلة الألف من الحروف .

وهو اسم جليل القدر وقيل أنه اسم الله الأعظم ، ومن أكثر من ذكره فانه لايخطر في قلبه غيره ويفتح الله له باباً من الكشف على حسب استعداده وهو من الأسماء الجليلة القدر المخصوصة بالمتألهين .

﴿ الله ﴾ فهو اسم ا لله الأعظم بالاتفاق ، تفرد به الباري سبحانه وتعالى ومعناه السيد ، وهو الإسم الجامع فكل الأسماء مشتقة منه ، وتكون جميع الأسماء وصفاً له ولايكون وصفاً لشيء منها ، وهو الإله المستحق للعبادة التي لاتحق إلا له ، وهو الإله الذي تأله إليه جميع الموجودات بلا استثناء .

ومن أكثر من ذكره لايطيق أحد النظر اليه إجلالاً له ، ومن عرف قدره استغنى به عن كل ماسواه لأنه اسم ا لله تعالى الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، وهو أول الأسماء المطهرة ، والجامع لحقائقها والمشتمل على رقائقها وهو ذكر أكابر المتألهين .

﴿ الرحمن ﴾ وهو الأسم الدال على الرحمه ، والرحمن صفة تعظيم من الرحمة كالرحيم ويعتبر من أكثر الأسماء ذكراً في القرآن الكريم لشمول رحمته على الناس والخلق أجمعين ، وذاكر الإسم لايزال يتقلب في رضوان ا لله ولايراه أحد إلا رق له وتتوالى عليه النعم . ومن أكثر من ذكره نظر ا لله له بعين الرحمة وكان ملطوفاً به في سائر أحواله ، ، وروي عن الخضر (ع) أنه قال : من صلى عصر الجمعة واستقبل القبلة وقال يا لله يارحمن إلى أن تغيب الشمس وسأل ا لله شيئاً أعطاه إياه) .

﴿ الرحيم ﴾ الرحيم مشتق من الرحمة ، ومعنى الرحمة هو تخليص من رحمهم ا لله من الضر والضلال ، والإنعام عليهم بالهدى والمغفرة والإيمان ، ومن أكثر من ذكره كان مجاب الدعوة وهو أمان من سطوات الدهر والابتلاءات والمحن .

والرحمن الرحيم من الأذكارعظيمة القدر للمضطرين وأمان للخائفين ، فذاكرهم يكون ملطوفاً به ، تحفه الرحمة أينما ذهب واستقر . وليس معنى الرحمه (الرقة) لأن الرقة عن ا لله عز وجل منفية ، وإنما سمي رقيق القلب من الناس رحيماً لكثرة ما توجد الرحمة منه

﴿ **الملك** ﴾ والملك هو الغني المطلق عن كل ماسواه وعن كل مايحتاج إليه سواه ، أما من يحتاج إلى الغير فلا يصح أن يسمى ملكاً ، إلا أن يوتي ملكاً محدداً مؤقوتاً ، أو أن يكون ذلك مجازاً ، ومن أكثر من ذكره أعطاه ا لله من الجاه والنعم مايصبو إليه ومن داوم على ذكر (لاإله الا ا لله الملك الحق المبين) كل يوم ١٠٠ مرة كانت أماناً له من الفقر ، كما جاء في الحديث الشريف .

﴿ **القدوس** ﴾ بمعنى الطهر ، والقدوس هو الطاهر المنزه ، وحضيرة القدس هي موضع الطهارة التي تكون في الدنيا ، وهذا الاسم الجليل القدر من أكثر من ذكره إلى أن يغلب عليه منه حال أذهب ا لله عنه كل شهوة مذمومة .. ويكون محبوباً من الخلق لحسن أخلاقه التي استتبعا من طهارة الأسم .

﴿ **السلام** ﴾ والسلام بمعنى الأمان ، والسلام هو الذي ليس في الوجود سلامة إلا وكانت صادرة منه تعالى ، ومن أكثر من ذكر هذا الإسم الجليل سلم من جميع الأفات ، وفي ذكره أسرار لأهل البدايات وأهل النهايات ومن أكثر من ذكره وهو خائف آمنه ا لله تعالى .

﴿ **المؤمن** ﴾ بمعنى المصدق لنفسه ، ومن أصدق من ا لله قيلا ومن أصدق من ا لله حديثا ، وا لله مؤمن ومصدق ماوعد عباده ، وله معنى آخر وهو أن من آمن به فإنه يؤمن من عذابه ، والمؤمن من الأسماء عظيمة القدر والشأن والبرهان .

من أكثر من ذكره كان مكفي الحاجة مجاب الدعوه ، ومن أكثر من ذكره عصم ا لله لسانه من الكذب .

﴿ **المهيمن** ﴾ والمهيمن هو الرقيب على كل شيء ، وهو الحافظ والشاهد لكل شيء والخاضع لسلطانه كل شيء ، وهو القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم والمهيمن عليهم ، هو الشاهد المطلع على أفعال مخلوقاته ، وهو من الأسماء الجامعة .

فمن داوم على ذكره أحاط علماً بذاته واطلع على خفي أسرارها وما أودعه الله في ذات وجوده من الإيمان والإقرار . ومن لازم على ذكره أطلعه الله على خفي مكره ، وهو من أسماء الإحاطه لايعرف قدره إلامن كشف له عن حقائق الأسماء وفيه أسرار عجيبة لمن كان له ذوق من الحكمة الإلهية التي لايصل إليها إلا نوادر العارفين .

﴿ **العزيز** ﴾ والعزيز بمعنى القوي الذى لايجوز عليه مكر الماكرين . وهو الذي لايعجزه شيء ولايمتنع عليه شيء أراده ، فهو قاهر الأشياء غالب غير مغلوب ، من أكثر من ذكره لايخاف ذلاً أو تصغيراً في طلب الحاجات ، ويعطف الله عليه كل من رآه ويصير عزيزاً عنده وعند غيره .

ومن أكثر من ذكره نال عزة في دينه ودنياه ، وأعزه الله بعد ذلة وآمنه بعد خوفه ومن فهم سره ، جمل الله باطنه بأسرار العزة .

﴿ **الجبار** ﴾ والجبار هو العالي الذي لاينال ، وهو القاهر الذي لايطال ﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ وله التجبر والجبروت ، والتعظيم والعظمة ، ومن أكثر من ذكر هذا الإسم ، لاينظر له أحد إلا غشيته منه مهابة ولايطيق أحد النظر إليه ، إجلالاً لهذا الأسم العظيم .

﴿ **المتكبر** ﴾ الكبرياء بمعنى الرفعة في الدرجات والعظمة ، فالكبرياء رداء الله لا ينازعه فيه أحد إلا أكبه على منخريه في نار جهنم ، ومن أكثر من ذكره رأى من عجائب تيسير الله له تجاه خلقه ويعلي شأنه عندهم .

﴿ **الخالق** ﴾ والخالق بمعنى الفاطر والموجد المبدع على غير مثال سبق (الخالق من العدم) ، وهو يصلح ذكراً لأرباب الصنائع الحكيمة ، فيعطيهم الأسم إبداع الخلق والصنع .

﴿ **البارئ** ﴾ البراية شيء بين الخلق والتصوير لوجودها وفقاً لترتيب الأسماء الحسنى (الخالق البارئ المصور) والبارئ بمعنى خلوص الشيء من غيره كبرء المريض من مرضه والمدين من دينه ، ومعناه أنه باري البرايا أي خالق الخلائق ، وخاصية هذا الإسم للكشف عن عالم المثل ، ويصلح ذكراً لمن يشتغل في الطب والحكمة ، فتنجح مداواته للأبدان ، وينفع كذلك للسلامة من الآفات .

﴿ **المصور** ﴾ فهو مصور كل صوره في الوجود ، وخالق كل مصور في رحم ، ومدرك ببصر وممثل في نفس ، من أكثر من ذكره أعطاه الله قدرة التصوير والخيال التي يستمدها من المصور المطلق الذي صور الوجود وأبدع تشكيله .

﴿ **الغفار** ﴾ الغفر والغفران في اللغة بمعنى الستر ، والغفران هو المبالغ في الستر ، فلا ينشر الذنب لا في الدنيا ولا في الآخرة ، لذلك فمن أشهده الحق مالايطيق شهوده أو أطلعه الحق على أحوال خلقه وخفيات أسرارهم و لم يطق الستر عليهم فليلجأ إلى الله بذكر هذا الإسم ، فيلهمه الله تحمل ما يقع في قلبه ويصبر على كتمانه .

﴿ **القهار** ﴾ القهر في اللغة بمعنى الإستيلاء على الشيء ظاهراً وباطناً ، والقهر بمعنى الغلبة ، فلا موجود إلاوهو مسخر تحت قهره وقدرته ، عاجز في قبضته تعالى ، لذلك من دعى بهذا الاسم على ظالم في خلوه أخذ لوقته ، ويصلح للمريدين ماداموا في قهر نفوسهم ومنعها من الشهوات ، وتخليصها من الزلات .

﴿ **الوهاب** ﴾ الهبة هي العطية الخالية من العوض والغرض ، والوهاب هو المعطي دون مقابل ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ﴾ فيغدق على عباده بالنعم والعطايا دون مقابل أو غاية ، رحمة بهم ورأفة عليهم . فمن داوم على ذكره رأى الأرزاق كيف تقسم ، ومن أكثر من ذكره وسع الله رزقه ، ولايسأل الله شيأً إلا أعطاه إياه ﴿ **رب هبني لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب** ﴾ .

﴿ **الرزاق** ﴾ هو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها ، والرزاق هو الذي خلق الرزق والمرزوق وخلق أسباب التمتع بهذا الرزق ، وهذا الأسم من أذكار ميكائيل (ع) ولا يذكره أحد الإيسر ا لله له أمور دينه ودنياه .

﴿ **الفتاح** ﴾ قيل بمعنى الفتاح (الحاكم بين الخلائق) والفتاح هو الذي يفتح ما انغلق بين عباده ، ويميز الحق من الباطل ويعلي الحق ويخزي الباطل . ومن أكثر من ذكره فتح ا لله له باباً إلى وجهته ومراده ، ويصلح للسالكين من ابتداء أحوالهم ، ويصلح للواصلين في انتهاء سلوكهم ، ومن اتخذه ورداً لايضطر إلى حاجة ابداً .

﴿ **العليم** ﴾ المحيط بكل شيء ، لاتخفى عليه خافية ولايعزب عن علمه شيء ، وهو العليم بنفسه ، عالم بالسرائر ، مطلع على الضمائر لايعزب عنه مثقال ذره ، علم الأشياء ، قبل حدوثها وبعدما أحدثها سرها وعلانيتها ، ظاهرها وباطنها ، ومن أكثر من ذكره أطلعه ا لله على دقائق الأمور وخفيات العلوم .

ومن فهم سره خضعت له المخلوقات وقوى تصرفه في الوجود ومنعه ا لله من الآفات ودفع عنه مايكره ، ومن أكثر من ذكره علمه ا لله ما لم يعلم وظهرت الحكمة على لسانه .

﴿ **القابض** ﴾ قيل في معنى القابض هو الآخذ ، والمخرج للأرواح والأشباح عند الموت ، فهو باسط على عباده فضله ، وقابض مايشاء بعدله ومشيئته وحكمه ، الذي لا نفاد له ولاتبديل ، ومن ذكره غلب عليه الجلال والهيبة ولايطيق أحد مجالسته وهو من أذكار عزرائيل (ع) وفيه سر لقبض الأرواح .

ومن أكثر من ذكره أقبلت عليه عوالمه ، ويرى اثار انفعالات في نفسه وفي غيره بقدر اجتهاده وصفاء باطنه .

﴿ **الباسط** ﴾ الباسط هو الذي ينشر الأرواح في الأجساد عند الحياة ، والباسط صفه من صفاته تعالى لأنه يبسط الرزق لمن يشاء أي يوسعه ، وهذا الأسم لايذكره خائف إلا آمنه الله ، ولاحزين إلاسر ، وإذا تلاه صاحب حاله بسط الله رزقه وأحيا قلبه بالمعارف وهو من أذكار إسرافيل (ع) وبه ظهر سر الإحياء كما ظهر بالقابض سر الإماته .

﴿ **الخافض** ﴾ هذا الاسم يصلح للدعاء على الفاجر وقطع دابر الظالم ، ولمن سولت له الرفعة من دون الله ، لأنه يختص بقدرته جلت قدرته على خفض المعاندين بالابعاد والهلاك .

﴿ **الرافع** ﴾ هو الذي يرفع من قدر وقدرة عبادة ، فلا رفعة ولا علو إلا ماكان منه سبحانه وتعالى ، وكل منزلة حادثة للإنسان ، أو أحدثها في نفسه أو ماله أو معاشه ، إنما تكون منه ، فالذي رفع السماء بلا عمد أقدر على رفع شأن عباده أو إذلالهم .

ومن أكثر من ذكر هذا الاسم فتح الله عليه ورفع قدره وذكره ، وإن كان صاحب سلوك وتخلق به ، ألهم العدل في حركاته وسكناته .

﴿ **المعز** ﴾ (من أراد عزاً بلا عشيرة وملكاً بلا سلطان ، فيخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته) فهو سبحانه وحده الذي يعز من تقرب إليه ، وتودد للشوق منه ومن أعزه الله فلا شيء يذله ، لأنه تسربل بلباس العز الأبدي ، والقرب السرمدي ومن داوم على ذكر هذا الاسم أعزه الله في أعين الناس وأطلعه الله على خفايا الأمور ، وهو لتقوية الهمة والإعانه على التخلص من غواشي الطبع ، وهو من أعظم أذكار المؤمنين .

﴿ **المذل** ﴾ الذي يذلل لعباده الموحدين ما يعترض سلوكهم ، من عدو متربص حاقد أو حاسد مبغض ، من أكثر من ذكره أذل الله له ماشاء من أعدائه ، وينبغي أن يذكره كل من أستعصى عليه أحد من الخلق ، وأراد النيل من إيمانه .

﴿ **السميع** ﴾ بمعنى أن لايشغله نداء عن نداء ، ولا سمع عن سمع ، ولاتمنعه إجابه دعاء شخص عن إجابة دعاء آخر ، فهو يسمع دعوات عباده وتضرعاتهم في آن واحد . والسميع بمعنى المجيب كقول الرسول (ص) : (اللهم اني أعوذ بك من دعاء لايسمع) ، أي لايستجاب ، وكذلك بمعنى القبول كقولنا (سمع الله لمن حمده) ، أي قبل الله حمد من حمده ، فيصلح ذكراً لآخر كل دعاء (إنك سميع مجيب) ومن أكثر من ذكره لاترد له دعوة لأنه أوكل دعاؤه إلى السميع .

﴿ **البصير** ﴾ إذا كانت المبصرات كان لها مبصراً ، فهو يدرك ويبصر خائنة الأعين وما تخفي الصدور وسبحان العالم بخفيات الأمور ﴿ لاتدركه الابصار وهو يدرك الأبصار﴾ ومن أكثر من ذكر هذا الأسم بصره الله تعالى بالأمور الخفية وإن كان صاحب حاله صادقة لم يخف عليه شيء من أمر دينه ودنياه .

﴿ **الحكم** ﴾ بمعنى الحاكم الذي لاراد لقضائه ولامعقب لحكمه ، وقيل في الحكم هو الذي حكم على القلوب بالرضا ، وعلى النفوس بالإنقياد والطاعة ، وقيل هو الذي يفصل الحق والباطل ويبين لكل نفس ماعملت من خير وشر .

ومن أكثر من ذكر هذا الاسم نفذت كلمته ، ويصلح ذكراً للحكام والولاة فيحكمون بالعدل ، وهو من الأسرار المخزونه .

﴿ **العدل** ﴾ بمعنى الذي لايظلم ولا يجور ، وهو مأخوذ من الإعتدال وهو الاستواء ، وهذا الأسم الفاخر والسر الظاهر ، من أكثر من ذكره ألهمه الله تعالى العدل بين الناس والحكم بينهم .

﴿ **اللطيف** ﴾ اللطيف هو الذي يريد بعباده الخير واليسر والأمن والسعاده ، ويفيض لهم أسباب الصلاح والفلاح ، وقيل عن اللطيف هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لايعلمون ، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لايحتسبون ، وهو من الأسماء سريعة الاجابة لتفريج الكرب في أوقات الشدائد ، ويصلح ذكراً للمسجونين والمأسورين ، ومن أشتد به المرض ومن كان مقهوراً خلصه الله مما يعاني ، ولايذكره أحد وفي نفسه أمر عظيم إلا ومثل له ذلك الأمر في خلوته وأقبل عليه الذاكر .

﴿ **الخبير** ﴾ الخبير من الخبره ، وهو العلم بالخبايا الباطنية ، فلا تخفى عليه خافيه ، ولا يجري في الملك والملكوت شيء ، ولاتتحرك ذرة ، ولاتطمئن نفس ، ولاتضطرب إلا ويكون علمها عند ربي ، ويصلح هذا الاسم لمن أراد الاطلاع على أمر خفي في نومه أو يقظته ، ومن ذكره سبعة أيام في خلوة ورياضة تأتيه الروحانية بكل خبر يريده من أخبار الناس والعالم .

﴿ **الحليم** ﴾ الحليم بمعنى الصفح مع القدرة والتأني الذي لايعجل بالعقوبه ، وهو من الأسرار الجليلة الذي لايعرف قدره إلا العارفون ، فذاكره تحسن أخلاقه وتطيب نفسه ويأمن من الإضطرار والإضطراب عند نزول الشدائد .

﴿ **العظيم** ﴾ العظيم صفة مبالغة من العظم ، والعظم هو الفخامة والعز والمجد والكبرياء ، كما يوصف بالعظمة لغلبته على الأشياء . وهذا الأسم عظيم الشأن ، من لازم على ذكره أعطاه الله العز الدائم وعظم في أعين الناس ، وإذا كان صاحب حالة صادقه وتوجه تام شاهد أمر الله تعالى ملء الأكوان ويشهد الأمور في كل خلوة .

﴿ **الغفور** ﴾ الغفور هو كثير الغفر وكثير العفو ، وهو أسم مشتق من المغفرة بمعنى الستر ، والغفور أى الساتر على عبده برحمته ، فمن أكثر من ذكره نجاه الله مما يخاف ويحذر ويصلح ذكراً لمن غلب عليه الحزن أو كان من السالكين .

﴿ **الشكور** ﴾ الذي يجازي القليل بالكثير ، ويجازي الإحسان بالإحسان ، فهو المحسن إلى عباده المنعم عليهم ، ومن أكثر من ذكره شكر الحق تعالى فعاله ، وكان عوناً له على مايريد من أفعال الخير ، وبه تثبت النعم ويرد شكرها وفيه أسرار لأهل العرفان .

﴿ **العلي** ﴾ ليس فوقه من معالي الجلال أحد ولامعه من يكون ، فهو العلي العال فوق كل عال ، ومعناه القاهر ذو القدرة والقهر والأقتدار ، كما أنه المتعال عن الأشياء والأنداد أي منزه عنهم . ومن أكثر من ذكره كرم الله وجهه عن التذلل للغير ، وأحبه كل من رآه وأيده الله بنصره وانطلق بالحكم وعلم دقائق العلوم ، ويرفع الله قدره ، ورأى في دهره العلو الزاهر، وفي نفسه السمو الباهر وفيه سر بديع لطلاب العلوم والباحثين ، وإذا أضيف إليه إسمه العظيم كان من أعظم الأذكار .

﴿ **الكبير** ﴾ فهو أكبر وأجل من أن تحيطه الحواس وتدركه العقول ، فقد فاق الادراك (لا يدركه بعد الهمم ولايناله غوص الفطن) ، ومن أكثر من ذكره صغر عنده كل شيء ، ولايراه أحد الا هابه وهو من الأذكار الجليلة التي تذكر عند الجبابره فتصغر نفوسهم لكبريائه .

﴿ **الحفيظ** ﴾ فهو الحافظ من الزوال والفناء ، ويحفظ عباده من المهالك ، ويقيهم مصارع السوء وفتن الدهور ، ولهذا الأسم خاصية في الحفظ إذا قرأ مع آيات الحفظ فمن ذكره في سفره حفظه الله إلى رجوعه .

وهو من الأسماء سريعة الإجابة للخائف ومن أكثر من ذكر هذا الإسم فان الله يحفظه في سائر أوقاته .

﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل** ﴾ .

﴿ **المقيت** ﴾ فهو خالق الأقوات البدنية والروحانية ، وموصلها إلى الأشباح والأرواح ، وقيل في المقيت هو المقتدر ﴿ وكان الله على كل شيء مقيتا .. ﴾ وكان الله على كل شيء مقتدراً ، أي مطلقاً قادراً على كل شيء .. ومن أكثر من ذكره كان مقاماً بالحق والأمر لايفوته شيء مال إليه .

وهو من أذكار الصالحين أهل الوصال فانهم اذا داوموا عليه لايحسون بألم الجوع وإلى ذلك أشار الرسول (ص) : (إني لست كأحدكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني) .

﴿ **الحسيب** ﴾ هو الكافي سبحانه وتعالى والمكلف بأمور المؤمنين الذين تعلقوا به فهو يكفيهم في مهامهم ويدفع عنهم البلاء ﴿ **إن يريدوا أن يخدعوك فانه حسبك الله** ﴾ فمن أكثر من ذكره كان مكفي المؤنه مقضي الحاجة مجاب الدعوة لايسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه ، لان فيه إشارة إلى الإسم الأعظم ، ومن خاف عاقبة محاسبة وأكثر من ذكره نجاه الله مما يخاف ويحذر ببركته .

ولهذا الإسم الجليل مع اسمه الوكيل ﴿ **حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ فوائد كثيرة لاتعد ولاتحصى .

﴿ **الجليل** ﴾ الجلال هو العظمة والمستحق للأمر والنهي ، ومن حق الباري تبارك وتعالى على من أبدعه أن يكون أمره عليه نافذاً وطاعته له لازمة ، وهو الذي يصغر دونه كل جليل ، فهو سبحانه الجامع لجميع صفات الجلال ﴿ **تبارك أسم ربك ذي الجلال والإكرام** ﴾ . ومن أكثر من ذكر هذا الإسم الشريف عظم في أعين الناس وهابه كل من رآه ، وفيه سر جليل للعارفين وطلاب العلوم الالهية ، فمن أكثر من ذكره لايقع عليه نظر جبار إلا وارتاع منه عند رؤيته ، حتى كأن سر الجلال على قلبه مادام ينظر إليه .

﴿ **الكريم** ﴾ هو الغني الأكرم الذي يعطي ماشاء ، ولمن شاء ، وكيف يشاء بغير سؤال . وقد ذكر أنه الكريم المطلق الذي لايضيع من لاذ به والتجأ إليه ، ومن لازم على ذكره لاتمسه فاقة إلا ويعقبها الفرج على أسهل مايكون ، واسمه الكريم والوهاب وذو الطول أسماء جليلة القدر من إستدام على ذكرها من قتر عليه رزقه سهل الله له من حيث لايشعر .

﴿ **الرقيب** ﴾ هو الذي لايخفى عليه شيء من أفعال العباد ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ وجاء في معناه الحافظ ، أي الذي يرقب عباده من أن يمسهم السوء . من أكثر من ذكره كان محفوظاً في سائر حركاته وسكناته وجميع أحواله وتصرفاته ، ومن داوم على ذكره مدة أربعين يوماً على طهارة وصوم ورياضة وجمع همه الى أن يغلب منه حال فانه يرى من عجائب صنع الله ما يعجز اللسان عن بيانه ببركة هذا الأسم الجليل .

﴿ **المجيب** ﴾ الذي يجيب دعوة الداعي اذا دعاه ، فما من مؤمن يرفع يديه قائلا (يا لله يا الله يا الله ... ثلاثاً ، إلا قال له الله لبيك عبدي سل حاجتك ..) ، شرط الإخلاص القلبي والطهارة المعنوية والحسية ، (يا مجيب دعوة المضطرين ..) وهذا الأسم الأنور والسر الأكبر يصلح لاجابة الدعوات ، فينبغي أن يضاف إلى كل اسم أريد به الدعاء والطلب (ربي آنسني بقربك واصطفيني لنفسك وألهمني ذكرك إنك أنت السميع المجيب) .

﴿ **الواسع** ﴾ فهو واسع العطاء والرحمة ، شملت رحمته وعلمه ومغفرته كل شيء (اللهم اني اسئلك برحمتك التي وسعت كل شيء ..) وأحاطت بكل الموجودات من الدقائق الصغيرة إلى أكبر الاجرام المنضومة ، فهو واسع في علمه ، واسع في رحمته واسع في مغفرته ، واسع في حكمه . وقيل أنه الغنى و السعة هي الغنى .

هذا الأسم الشريف والسر اللطيف من أكثر من ذكره وسع الله عليه رزقه وخلقه وعلمه وفسح له في أجله ، وهو من الأسماء الجليلة ، ومن داوم عليه شرح الله له صدره ، وجعل له من كل ضيق مخرجا .

﴿ **الحكيم** ﴾ هو الذي أصاب بقدرته كل شيء وأودع فيه كمال العلم وإحسان العمل . فالحكمة هي مجموعة معان من العدل والتنظيم والتقويم والعلم ، والحكيم صيغة تعظيم لذي الحكمة فيكون معنى الحكيم العظيم في حكمته .

ومن ذكر هذا الإسم ألهمه الله الحكمة وعلمه دقائق العلوم وغرائب المعاني ولطائف الاشارات ، وهو من الأسماء جليلة القدر ، من أكثر من ذكره فهم حقائق أسرار المعاني وهو من الأسرار المخزونة والأنوار المكنونه .

﴿ **الودود** ﴾ الودود من الود وهو الحب ، والله هو المحب للمؤمنين وهو المحبوب لهم (أنا حبيب من أحبني وجليس من ذكرني) ومحبة الله لعباده رحمته بهم ، ومحبة المؤمنين لله تعالى طاعته وذكره وتسبيحه وتهليله ، وقيل في معنى الودود ، أن عباده الصالحين يودونه ويحبونه لما عرفوا من كماله في ذاته وصفاته وغفرانه تعالى .

وهذا الأسم عظيم الشأن لدى العارفين والمحققين ، من أكثر من ذكره ثبت الله تعالى قلوب الخلق على محبته ، وأحيا الله تعالى باطنه بروح المحبة ، وزين ظاهره بأسرار الموده ، وله دعاء عظيم الشأن ، يقرأ في المهمات الصعبة والشدائد المحيطة

(ياودود ياودود يا ودود ياذا العرش المجيد يامبدئ يامعيد يافعال لما يريد ، أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك ، وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت يامغيث اغثني يامغيث اغثني يامغيث أغثني) .

﴿ **المجيد** ﴾ ذو الشرف التام الكامل المفيض على عباده بالمجد والعطايا . والمجد هو الشرف العظيم الرفيع القدر ، والمجيد في اللغة هو الذي عظم كرمه ، وهو الشريف بذاته الجميل بأفعاله ، الجزيل في عطائه ، وقيل في المجيد البالغ المنتهى في الكرم . ﴿ **رحمت ا لله وبركاته عليكم أهل البيت ، إنه حميد مجيد ..** ﴾ .

وللوصول إلى هذا الشرف ، وتجسيداً لهذا الكرم والعطاء اللامتناهيْ ، خلق لنا الائمة المعصومين (ذوي الشرف النير الزاهر) ليكونوا أدلاء عليه وعباداً يوصلون إليه ، وأعرافاً يعرفون الناس بهذا الشرف والمكانة السامية لهذا الإله العظيم .

لذلك ذكر أسم مجيد في القرآن الكريم مرة واحد فقط في سورة هود آية ٧٣ ، حيث تم ربطها بأهل البيت عليهم السلام . فهذا الأسم العظيم الشأن الجليل البرهان من داوم على ذكره لاترد كلمته ، وأحيا ا لله روحه بالمعارف ، وقوي باطنه بلطائف الأسرار .

﴿ **الباعث** ﴾ إنه الباعث لمن في القبور يحييهم وينشرهم للجزاء والبقاء ، وينفع هذا الإسم لمن ضعفت عزيمته عن أمر ، فمن أكثر من ذكره إنبعث إلى كل خير ، ويمدك ا لله بالقوة التي تعينك على الطاعة .

﴿ **الشهيد** ﴾ العليم بظواهر الأشياء ، والخبير العليم ببواطن الأمور ، والمنعم على الإنسان بنعمة المشاهدة ، فرأى من آيات ا لله ماأفهم القلوب بالشهادة ، وهو الشاهد بكل مكان صانعاً ومدبراً .

من لازم على ذكره أثمرت له المراقبه في خلواته ، وإن كان صاحب حاله صادقة تخلق له ذلك وأتصفت نفسه بصفة الوحدة والعزله فيأمن الإفراط والتفريط في كافة أخلاقه لنفسه ، ويصلح لمن يطلب مرتبة الشهادة فإن ا لله يوفقه لها .

﴿ **الحق** ﴾ فهو اليقين الثابت ، وهو الحق ومنه الحق وإليه يرجع كل حق ، ويقال أحق الله الحق اي أظهره وأثبته ﴿ **ويحق الله الحق بكلماته** ﴾ ، فهو القول الثابت الذي لاتبديل فيه ولاتغيير ولاشك ولاريبة ، وكان النبي (ص) إذا تهجد في الليل يدعو (اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض ومافيهن ولك الحمد ، أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق وقولك حق ووعدك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق .. ﴾

ومن أكثر من ذكر اسمه الحق ، ثبته الله تعالى على الطاعات وأظهر له حقائق الأمور وأطلعه على خفيات الأسرار ، وبغض إليه الباطل وجعل كلمته عاليه قاهرة وبه يثبت الله الذين آمنوا وينصرهم على أعدائهم .

﴿ **الوكيل** ﴾ القائم بأمور العباد وحفظهم ، فهو الذي من استغنى به أغناه عما سواه ، وهو المتصرف في الأمور على حسب ارادته ، وهو سبحانه الموكل إليه تدبير أمر كل شيء . فمن أكثر من ذكره كفاه الله وأغناه عن السبب ، ورزقه من حيث لايحتسب ، وإن كان صاحب حاله تصرف في كل شيء بأمر الله وحدة .

﴿ **القوي** ﴾ فهو سبحانه أصل القوة ومصدرها ، فلاحول ولاقوة إلا بالله ﴿ **ألم يروا أن الله أشد منهم قوة ..** ﴾ فهو القوي العزيز وهو القوى شديد العقاب من أكثر من ذكره قويت نفسه على حمل الأثقال الظاهرة والباطنه ، وقويت روحه على تحمل العبادات ولوازمها ، وهو من أذكار عزرائيل عليه السلام .

﴿ **المتين** ﴾ فالله هو الرزاق ذو القوة المتين الذي لاتتناقص قوته ، فهو شديد القوى والقدرة ، سبحانه متمم قدره وبالغ أمره . ومن داوم على ذكر هذه الآيه الشريفة يسر الله رزقه وسهل أمره ﴿ **إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ .

﴿ **الولي** ﴾ هو المتكفل بأمور العباد كلها ، المتولي لعباده الصالحين ، الناصر لمن أطاعه . وقيل الولي هو الذي أحب أولياءه ونصرهم على أنفسهم باجتناب المعاصي ، وقيل هو المتولى لأمر عباده المختصين باحسانه ، كما قيل أن معنى الولي هو القريب وهذا الأسم السنى الباهر والسر الظاهر ، من أكثر من ذكره تولاه الله تعالى وولاه ، وهو من أذكار ملائكة الحضرة العليه ، الذين يقال لهم الكروبيون ، ومن داوم على ذكره متحققا معناه الذي هو رفع الوسائط ، ثبت عند الله تعالى في مقام الولايه العظمى ، وان ذاكره لايستدعيه شيء من أحوال الخلق الا كشف له به .

﴿ **الحميد** ﴾ هو مستوجب الحمد ، وأهل الثناء بما أثنى على نفسه ، فله الحمد كله ومستحقه فمن ذا الذي يستحق الحمد سواه ، وله الحمد كله لالغيره ، وقيل في معنى الحميد هو الذي يوفقك للخيرات ، ويحمدك عليها ويمحو عنك السيئات ، فهذا الدر الوفي العلي والسر الجلي ، من أكثر من ذكره كان محمود الخصال كلها ، مشكور الفعال ، ومن تخلق بهذا الإسم فهو محمود الخلق .

﴿ **المحصي** ﴾ المحصي من الإحصاء وهو الإحاطة بحساب الأشياء ، وما شأنه التعداد فهذا الإسم الشريف من أكثر من ذكره أورثه الله تعالى المراقبة ، ويصلح لما يصلح له الحسيب .

﴿ **المبدي** ﴾ فهو سبحانه منشأ الخلق ومبدأه ، أظهر الموجودات من العدم إلى الوجود ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ..** ﴾ .

وهذا الأسم النوراني من أكثر من ذكره أنطقه الله بالحكمة ، ولايبدو منه لأحد إلا مايحب وهو من الأسماء الجليلة لمن أراد إنجاز أمر عظيم ، وكل من إبتدأ في أمر ذكره كان تاماً مباركاً لكل ما أبتدء فيه ، ويصلح ذكراً لمن يريد الإبتداء في تأليف العلوم السنية .

﴿ **المعيد** ﴾ هو الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات ، ثم يعيدهم بعد الموت إلى الحياة وهذا الأسم الروحاني من أكثر من ذكره وأصلح به كل فاسد .

﴿ **المحيي** ﴾ فهو خالق الوجود ومانح الحياة ، وهو الذي أحيا قلوب المؤمنين بنوره ، وأرسل لهم رسوله هاديا وبشيراً ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ..﴾ .

وهذا الأسم الصمداني الباهر من أكثر من ذكره أحيا الله تعالى قلبه وأحيا به كل صفة محموده ، وهو من أذكار اسرافيل عليه السلام .

﴿ **المميت** ﴾ خالق الموت والحياة ﴿ **إنه هو أمات وأحيا** ﴾ مخرج الميت من الحي ومخرج الحي من الميت ، ومحيي الأرض بعد موتها . وهذا الأسم الشريف ينفع في هلاك الظالمين والفاسقين . ومن أكثر من ذكره ودعا على ظالم مستحق هلك باذن الله .

﴿ **الحي** ﴾ سبحان الله الحي الموجود الواجب الوجود ، الباقي الدائم من أزل الأزل إلى أبد الأبد ، فهو موجود حيث لازمان . وهو من أسماء الله القديم في الأزل حيث لاموجود غيره تعالى ، والحي سبحانه هو الذي لايموت ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ .

والحي من الأسماء سريعة الإجابة سيما لو ذكرت مع اسمه القيوم (الحي القيوم) ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾ .

وذاكر هذا الأسم الجليل يزيد بقاؤه في الدنيا ، ويطول عمره ويحيي الله تعالى قلبه بنور التوحيد ، وهو من أذكار جبرائيل عليه السلام .

﴿ **القيوم** ﴾ هو القائم بنفسه تبارك وتعالى ، الغني عن غيره (كان الله ولاشيء معه) وقيل القيوم هو الدائم الباقي الذي لايزول ، فيكون تأكيدا للحي ، ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ فهو القائم بتدبير الخلق وحفظه ، والقائم بتدبير خلقه ، وهو المقيم لكل شيء ، وكل شيء قائم بأمره ، وهو سبحانه القائم أي الرقيب على كل نفس بما كسبت ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ .

ومن أكثر من ذكر هذا الاسم أقام الله تعالى أمره ظاهراً وباطناً ، فإن كان صاحب حاله صادقه أقام الله به كل شيء ، والحي القيوم إسمان عظيمان وهما ذكر لأهل الحضرة وهما من أذكار إسرافيل عليه السلام وملائكة الصور أجمعين .

﴿ **الواجد** ﴾ سبحان الله المتعالى الواجد الذي لايضل عنه شيء ، ولا يفوته شيء وقيل الوجد بمعنى العلم بالشيء وإدراكه ، فسبحان الذي يعلم كل شيء ومدركه ، وكل شيء في مملكته عليم به ، فلا يعجزه شيء ولايفوته شيء ، وهذا الإسم الجليل القدر من أكثر من ذكره لايفقد له شيء أبداً مما يريد وجوده ، وبه يعرف السالكون نفوسهم ، ومن واظب على ذكره إلى أن يغلب عليه منه حال وجد في باطنه حاله لم يعهدها من العلوم والمعالم .

﴿ **الواحد** ﴾ الله الواحد الذي لاقسيم له ولا ثان ، ولانظير له ولاشريك ، والواحد هو المنفرد في ذاته وصفاته وأفعاله ، فهو واحد في ذاته لايتجزء أو لايتناهى وهذا السر الروحاني من أكثر من ذكره استوحش من الكثرة ، وهو من أقرب الأسماء إلى الذات ، وإذا أضيف إلى الإسم الجامع (الواحد الأحد) كان من أعظم الأذكار وأجلها للسالكين المتعلقين بأسرار التوحيد ، ومن أكثر من ذكره نور الله قلبه بنور التوحيد .

﴿ **الصمد** ﴾ ومعناه السيد ، وكذلك هو المصمود إليه في الحوائج ، أي هو منبع القصد في الحوائج والمهمات ، والصمد ليس بجسم ولاجوف له ، وهذا الأسم العظيم والسر الكريم من أكثر من ذكره قل افتقاره إلى الأبد ، وينبغي أن يلازم على ذكره أرباب الرياضات الروحية .

﴿ **القادر** ﴾ سبحان الله القادر ذو القدرة التامة الذي لايعجزه شيء ، بل يستتب له مايريد على مايريد ، والقادر بمعنى بالغ الشيء ﴿ ماقدروا الله حق قدره ﴾ أي ماوصلوا وبلغوا جزء من نعم الله وما عظموه حق تعظيمه .

وهذا الأسم العلي الزاهر من ذكره قوى به على مايريد إظهاره في كل مايريد وفيه سر بديع لتقوية الأرواح .

﴿ **المقتدر** ﴾ ذو العظمة المسيطر بقدرته البالغة على خلقه ، وعلى كل ممن أعطاه حظاً من قدرته ، فالأمور تجري بقدرة الله ومقداره وتقديره واقداره ومقاديره .

من أكثر من ذكر هذا الأسم يسر الله تعالى له جميع أعماله ، وأسماؤه تعالى (الشديد والقوي والقاهر والمقتدر) أسماء القهر والغلبه والإستيلاء ، لايدعو بها أحد على ظالم بصدق نية وإختيار الوقت المناسب الا أخذ الله له حقه ، شريطة أن يكون الدعاء على الظالم بقدر المظلمه ولابد من الحذر والتقوى من الدعاء على غير المستحق .

﴿ **المقدم** ﴾ سبحانه بيده ملكوت السماوات والأرض ، قدم مايريد تقديمه على سائر الأشياء والمخلوقات ، المقدم في الأشياء بالتقوى والإنابه والصدق والاستجابه ، الذي قدم الأبرار وأخر الفجار ، والذاكر على الجاحد ، كما إنه يعلم ماقدمت يد الإنسان ﴿ ينبأ الانسان يؤمئذ بما قدم وأخر .. ﴾ .

وذاكر هذا الأسم الجليل الزاهر يرى رحمة الله تحيطه في كل تصرفاته وسكناته .

﴿ **المؤخر** ﴾ فهو المؤخر لأي شيء أراده بقدرته وسطوته على خلقه ، فأخر الكفار والمنافقين على الأبرار والصالحين ، فهو المقدم وهو المؤخر وهو على كل شيء قدير ﴿ ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ .

﴿ **الأول** ﴾ هو الأول قبل كل شيء بلا بداية ، والآخر بعد كل شيء بلا نهاية فهو الموجود الواجب الوجود الأول لكل ماسواه المتقدم على كل ماعداه ، وهذه الأوليه وهذا التقدم ليس بالزمان ولا بالمكان ،.ولا بأي شيء في حدود العقل أو إحاطه العلم .

وهذا الإسم الشريف والسر العالي اللطيف ، من داوم على ذكره كان سباقاً إلى كل المقاصد بإذن الله تعالى .

﴿ **الآخر** ﴾ فالله سبحانه هو الأبدي الباقي بعد فناء الأشياء ، الدائم بلا نهاية ، وهذا الأسم الشريف من أكثر من ذكره كان عمره أطول من أعدائه ، وأورثه الله تعالى أرضهم وديارهم وأموالهم من بعدهم ولايعاديه أحد الا أهلكه الله تعالى ، ومن لازم على ذكره أعطاه الله من القوة والنصره على الأعداء ماتعجز عنه الاوصاف .

﴿ **الظاهر** ﴾ سبحان الله الظاهر الغالب العالي ، وهو الظاهر بحجته الباهره وبرهانيته النيره وشواهد أعلامه الداله على ثبوت ربوبيته وصحة وحدانيته ، والظاهر بحكمته وبينات آياته التي عجز الخلق عنها .

وهذا الإسم العلي القدير من أكثر من ذكره أظهر الله تعالى له خفايا الأمور وبه تستعلم بواطن النفوس .

﴿ **الباطن** ﴾ فهو الذي إحتجب عن إدراك الحواس مع شدة ظهوره ، وكمال نوره فسبحانه الذي أسبغ علينا نعمة ظاهرة وباطنه ، وقد ذكر الله عز وجل في كتابه الحكيم الظاهر والباطن مرة واحدة في سورة الحديد ..

﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ..** ﴾ ، فهو الذي بطن عن الأوهام ، فهو باطن بلا إحاطه .

وهذا الأسم العظيم الرباني ، من أكثر من ذكره آمنه الله مما يخاف ، وأطمأنت نفسه وأتسع قلبه ونور باطنه ، وفيه أسرار أهل التوحيد .

﴿ **الولي** ﴾ سبحانه الله وبحمده المالك للاشياء ، والمتولي لها والمتصرف فيها كيف يشاء وهو المتفرد بالتدبير ، والقائم على كل شيء فلا دوام ولابقاء الا بإذنه ، وكذلك يكون الولي بمعنى المنعم بالعطاء الدافع للبلاء . وذاكر هذا الأسم الشريف يتولاه الله بعنايته ورحمته .

﴿ **المتعالي** ﴾ هو البالغ في العلو ، المتعالي بوجوب وجوده ، رفيع الدرجات ذو العرش ، وقيل المتعالي معناه المرتفع في كبريائه وعظمته ، وعلو مجده عن كل مايدرك أو يفهم من أوصاف خلقه ، وقال رسول الله (ص) : (بئس عبد تخيل وأختال ونسي الكبير المتعال) ، وذكرت كلمة المتعال مرة واحدة في القرآن في سورة الرعد ﴿ **عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال** ﴾ . وذاكر هذا الأسم تعلو همته بمقدار يقينه بربه وإيمانه بالكبير المتعال .

﴿ **البر** ﴾ سبحان العطوف على عباده بلطفه ، والبر بفتح الباء معناه فاعل البر ، أي الإحسان ، وهي كلمة جامعة لكل صفات الخير ، والبر في اللغة هو الأتساع والصله والخير والإحسان والصدق ، ويجوز أن يكون معناه الكثير الطاعة ، والبار هو من يصدر عنه البر والطاعه ، ومن أكثر من ذكر هذا الأسم الشريف كان ملطوفاً في جميع أحواله ، وكان محفوظاً في أهله وماله ، وإذا عصفت الريح على أهل السفينة وأشرفت على الغرق ، وأكثروا من ذكره جاءتهم الريح الطيبه ، وإذا أكثر من ذكره شارب الخمر أو فاعل المعاصي فإنه يوفق للتوبه والإبتعاد عن طريق الشيطان .

﴿ **التواب** ﴾ فهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، وفي اللغة تاب بمعنى غفر وأنقذه من المعاصي ، والتوبة هى الرجوع عن الذنب ، وا لله تعالى يتوب على من يشاء من عباده برجوعه ، فمن أكثر من ذكره سهل ا لله تعالى عليه العود إلى مبدئه ، فينبغي لكل أحد أن لايخلو من ذكره في يومه وليلته .

﴿ **المنتقم** ﴾ هو الذي ينكل بالجناة والعاصين والطغاة ، بعد المهلة والإنذار والتمكين ، ليستحقوا غاية النكال في العقوبة . ويدعو بهذا الأسم على الظلمه والمستحقين لغضب ا لله وانتقامه ، وليحذر الأنسان أن يدعو به على المؤمنين وليتقي ا لله ربه .

﴿ **العفو** ﴾ الحمد لله الذي يمحو الذنوب ، ويتجاوز عن السيئات ، وهو المريد لمحو الزلة والمتجاوز عنها بكرمه ، والعفو إزالة الأثر ، وقيل في معناه الذي يعطي الكثير ويهب الجزيل ﴿ **أولئك عسى ا لله أن يعفو عنهم ، وكان ا لله عفواً غفورا**﴾

وذاكر هذا الأسم يحبب ا لله إليه مكارم الأخلاق ، ولايصيبه ندم ولافزع ولايذوق نوائب الدهر ، ويغفر له ذنبه وإن كان عظيماً ، ومن عمل ذنباً أو خاف حاكماً وداوم على ذكر هذا الأسم آمنه ا لله تعالى مما يخاف ويحذر .

والغفور والغافر والعفو أسماء متقاربة تصلح لدفع المؤلم من الأمور العظام ، خصوصاً من أمور الدنيا والآخرة ، فسبحان الذي أودع أسراره في أسمائه .

﴿ **الرؤوف** ﴾ المشفق على عباده برحمته ولطفه ، والرأفة أشمل من الرحمة ، لذلك كانت رأفة ا لله بعباده كبيرة ﴿ **وا لله رؤوف بالعباد** ﴾ .

فمن أكثر من ذكر هذا الإسم رق قلبه ولطفت روحه ، وازدادت شفقته ورحمته على خلق ا لله .

﴿ **مالك الملك** ﴾ ذو القدرة المتينه ، صاحب التصرف المطلق في كل شيء ، الذي تنفذ مشيئته في ملكه كيف يشاء ، وكما يشاء ، لامرد لقضائه ولامعقب لحكمه . والملك بمعنى السلطان والقدرة ، والمالك بمعنى القادر التام القدره ، وقد ذكرت مالك الملك مرة واحدة في القرآن الكريم ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾ وهي من الآيات جليلة القدر عظيمة الشأن لمن يعرف أسرارها الروحية .

﴿ **ذو الجلال والأكرام** ﴾ سبحان الله ذو الجلال والأكرام ذو الصفات الكاملة المنزهة عن النقص . فلا جلال ولا كمال ولاشرف إلاهو له ، ولا كرامة ولا إكرام إلا صادر منه ، وقد أشارت بعض الروايات أنه أسم الله الأعظم وهو من الأسماء الجليلة . من أكثر من ذكره لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه ، وفي الحديث الشريف (الحوا ـ ألظوا ـ بياذا الجلال والأكرام) ، وقيل أن الرسول (ص) كان ماراً في الطريق فسمع أعرابياً يقول : (اللهم إني أسألك باسمك العظيم الأعظم الحنان المنان مالك الملك ذو الجلال والأكرام) فقال النبي (ص) : (إنه دعا بأسم الله الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى) .

وقد ذكر (ذو الجلال والأكرام) في القرآن مرتين في سورة الرحمن أية ٢٧ ـ ٧٨ ولذلك سميت السورة بعروس القرآن ـ والله أعلم ـ .

﴿ **المقسط** ﴾ هو القائم بالقسط ، المقيم للعدل ، العادل في الحكم الذي ينتصف للمظلوم من الظالم ، وكماله أنه يضيف إلى إرضاء المظلوم إرضاء الظالم . ومن أكثر من ذكر هذا الأسم الجليل ألهم العدل بين الناس ، وكفى نفسه شر التفريط .

﴿ **الجامع** ﴾ سبحانه جامع الكمالات كلها ، ذاتاً وصفاتاً وفعالاً ، فليس كذاته ذات ولا كصفاته صفات ولا كفعله فعل ، وهو القادر على إحاطه الناس وجمعهم للنشور ، وسبحانه القادر على جمع قلوب المؤمنين ، ﴿ وألف بين قلوبهم ﴾ .

﴿ **الغني** ﴾ سبحان الذي لايحتاج إلى شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، وهو المستغني عمن سواه ، والمفتقر إليه كل ماعداه ﴿ ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغني الحميد ﴾ وقيل في معنى الغني أنه الكامل بماله وماعنده ، فلا يحتاج معه الى غيره . وذاكر هذا الأسم وجد أصل الغنى في نفسه ، ويصلح ذكراً لأهل البدايات .

﴿ **المغني** ﴾ سبحان معطي الغنى والكفاية لمن يشاء من عباده ، فهو يعطي السائلين سؤلهم ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ ، ومن عرف أن الله تعالى هو الغني المغني ، أستغنى بالأعتماد عليه ، كما قال موسى (ع) : (عجبت لمن عرفك كيف يهتم لرزقه) ، ﴿ **وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله** ﴾ .

وذاكر هذا الأسم ييسر الله مراده ، ومن قال بعد صلاة الجمعة (اللهم ياغني ياحميد يامبدي يامعيد ، يافعال لما يريد يارحيم ياودود ، أكفي بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك) سبعين مرة وواظب على ذلك أغناه الله ويسر أموره .

﴿ **المانع** ﴾ هو الذي يمنع عن عباده البلاء حفظاً وعناية ، ويمنع العطاء عمن يشاء إبتلاء وحماية ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلاكاشف له إلا هو ﴾ ، فمن أكثر من ذكره وهو خائف ضرر أو مكيدة حماه الله وآمنه ، كما أنه يبعد ذاكره عن الشهوات المحرمه .

﴿ **الضار** ﴾ الخير والإحسان بيد الله عز وجل ، والضرر من صنع الإنسان نفسه ﴿ وأنفسهم يظلمون ﴾ ، ﴿ وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾ ، وكل حالات الضرر التي تصيب الإنسان إنما تكون إبتلاء ومحنة ، يثاب عليها ، كما أوحى الله إلى الملائكة (انزلوا إلى عبدي فصبوا عليه العذاب صباً ..) لأنه يشتاق إلى سماع صوته وهو يناجيه . فيجب التسليم لأمر الله والتصديق بوعده ، فكل شيء في قبضته .

﴿ **النافع** ﴾ سبحان من بيده النفع والضر وهو على كل شيء قدير ، فهو العالم بما ينفع الإنسان ولو بعد حين ، كما جاء في دعاء زين العابدين : (ولعل الذي أبطء عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور) ، وقد يكون من الضر نفعاً ، أو نوعاً من أنواع العلاج للذين هم بربهم لايشركون ﴿ ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ﴾ ، ﴿ ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ﴾ ، وهذا الأسم الجليل فيه شفاء لكل سقيم ومعافاة لكل مبتلى .

﴿ **النور** ﴾ فهو سبحانه النور ، وهو موجد النور ، وهو نور النور ﴿ **الله نور السماوات والأرض** ﴾ .. وقيل في النورانية الهادي الرشيد الذي يرشد بهدايته من يشاء . وقيل في النور هو الظاهر الذي ظهر كل الظهور ، فهو الظاهر في ذاته المظهر لغيره ، وسمي نوراً لأنه مظهر لكل شيء ، ولكل موجود وإخراجه من العدم إلى الوجود . وكما جاء في دعاءِ الصديقة الطاهرة (فاطمة الزهراء) عليها السلام : (بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله النور ، بسم الله نور النور ، بسم الله نور على نور ، بسم الله الذي هو مدبر الأمور ، بسم الله الذي خلق النور من النور ، الحمد لله الذي خلق النور من النور ، وأنزل النور على الطور ، في كتاب مسطور في رق منشور بقدر مقدور على نبي محبور ، الحمد لله الذي هو بالعز مذكور وبالفخر مشهور ، وعلى السراء والضراء مشكور ، وصلي على سيدنا محمد وآله الطاهرين) .

وهو من الأدعية الجليلة التي تحفظ الأنسان من الأذى . وهذا الأسم العظيم من أكثر من ذكره نور الله تعالى قلبه بنور الإيمان ، وأنار الله باطنه ، ونور ظاهره ، وإذا داوم عليه الذاكر ظهر نور من قلبه على وجهه وفمه حال الذكر حتى يملأ خلوته ، وفي ذكره أسرار لأرباب البدايات وأنوار لأهل النهايات .

﴿ **الهادي** ﴾ فهو مسبب أسباب الهداية ، وهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، فهو المرشد لهم والدال على طريق النجاح والفلاح ، ﴿ وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ﴾ وهذا الأسم الظاهر العلي ، والسر الباهر السني ، يصلح لكل سالك إلى طريق الهدى مادام مخلصاً إلى ذلك النور ، وهو من الأسماء الجليلة ، ومن ضل عن الطريق فليذكره يهديه الله تعالى إلى الصواب في كل أمر أراد ، وهو من أذكار إسرافيل عليه السلام ، وفيه سر بديع لمن أراد أن يرتقي بروحه إلى عالم السالكين المقربين .

﴿ **البديع** ﴾ فهو سبحانه البديع المطلق ، الذي أبدع الخلق من غير مثال سابق ، فهو مبدع السماوات والأرضين ، أي خالقها دون مثال ، أظهر عجائب صنعه فيها وغرائب حكمته ، وذاكر هذا الأسم لايزال مبدعاً في العلوم الألهية ، وتنبع العلوم من قلبه علي لسانه .

﴿ **الباقي** ﴾ فهو دائم الوجود الأبدي والباقي الأزلي .. من أبد الأبد .. إلى أزل الأزل ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ وقيل في معنى الأزل هو مالايكون مسبوقاً بالعدم ، وهذه الصفة من صفات الله وحده ، كما أن كل شيء يستولي عليه الفناء ، وكل شيء هالك إلا وجهه .

وهذا الأسم الرباني والذكر الحكيم النوراني هو المعول عليه في البقاء ، ولايذكره أحد إلا وسلم من الآفات المرديه .

﴿ **الوارث** ﴾ سبحان من لـه مـافي السـماوات والأرض رب كـل شـيء ووارثـه ورازقه وراحمه ، وهذا الأسم ينفع ذكراً لمن حرم من الذريـة الصالحـه ، فيكـرر الآيـة الشريفة ﴿ رب لاتذرني فرداً وأنت خير الوارثين ﴾ ـ كما ذكـره نـبي ا لله زكريـا ـ الى أن يرزقة ا لله ما يشاء .

﴿ **الرشيد** ﴾ والرشـد هـو الصـلاح والأسـتقامه ، وهـو الهـادي إلى الرشـاد والى السعاده ، فمن أكثر من ذكر هذا الأسم حمدت عاقبته في جميع تصرفاته .

﴿ **الصبور** ﴾ فهو الذي يمهل ولا يهمـل ، ينظـر ولايعجـل ولايعـاجل بالعقوبـة ، والصبور ملهم الصبر لجميع خلقه ، وهذا الأسم الجليل البهي والسر الجميل السني من أكثر من ذكره رزقه ا لله تعالى الثبات عند المصائب ، ولايعجز عـن إتمـام عمـل أبتـدأ فيه ، ويصلح ذكراً لأهل المجاهدات في تحمل العبادات .

وجاء في رواية أخرى عن سلمان بن مهران ، عن الصادق بن محمد (ع) عن أبيه محمد بن علي (ع) عن أبيـه علي بن الحسين (ع) ، عن أبيـه الحسـين بن علـي (ع) ، عن أبيه علي بن أبي طالب (ع) قال : قال رسـول ا لله (ص) : (إن لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين إسماً ، مائة إلا واحدة ، من أحصاها دخل الجنة ، وهـي (ا لله الإله ، الواحد الأحد ، الصمد ، الأول ، الآخر ، السميع ، البصير ، القديـر ، القاهر ، العلي ، الأعلى ، الباقي ، البديـع ، البـاريء ، الأكـرم ، الظـاهر ، البـاطن ، الحي ، الحكيم ، العليـم ، الحليـم ، الحفيـظ ، الحـق ، الحسـيب ، الحميـد ، الحفـي ، الرب ، الرحمن ، الرحيم ، الذاري ، الرزاق ، الرقيب ، الرؤوف ، الرائي ، السـلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، السيد ، السبوح ، الشـهيد ، الصـادق ، الصانع ، الطاهر ، العدل ، العفو ، الغفور ، الغني ، الغياث ، الفاطر ، الفرد ، الفتاح ، الفالق ، القديم ، الملك ، القدوس ، القوي ، القريب ، القيوم ، القابض ، الباسط ،

قاضي الحاجات ، المجيد ، المولى ، المنان ، المحيط ، المبين ، المقيت ، المصور ، الكريم ، الكبير ، الكافي ، كاشف الضر ، الوتر ، النور ، الوهاب ، الناصر ، الواسع ، الودود ، الهادي ، الوفي ، الوكيل ، الوارث ، الباعث ، البر ، التواب ، الجليل ، الجواد ، الخبير ، الخالق ، خير الناصرين ، الديان ، الشكور ، العظيم ، اللطيف ، الشافي) .

ونتناول الأسماء التي لم يرد ذكرها في الحديث الأول :

﴿ **الحفي** ﴾ سبحان الله عالم الخفايات ظاهرها وباطنها ، وقيل في الحفي هو العالم ، ومنه قوله ﴿ يسألونك كأنك حفي عنها ﴾ أي كأنك عالم بوقت مجيىء الساعة ، وقيل كذلك في معناه أنه اللطيف .

﴿ **الذاري** ﴾ سبحان من ذرأ الخلق وبرأهم أي خلقهم من العدم ، وقيل أن الذرية مشتقه من الذاري ، فهو الخالق واليه يرجع الأمر كله ﴿ وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ﴾ .

﴿ **الرائي** ﴾ فهو المبصر للموجودات ، العالم بها من أدناها إلى أقصاها ، الرائي لها برحمته ومّنه ، والمنعم عليها بجوده وكرمه .

﴿ **السيد** ﴾ سبحان الملك المتوحد في مملكته ، العظيم الذي بسط سلطانه على خلقه فالسيد هو الملك . ويقال لملك القوم وعظيمهم سيدهم ، فقد سادهم ويسودهم ، وروي عن الرسول (ص) : قال : علي سيد العرب ، فقالت عائشة : يارسول الله ألست سيد العرب ؟ فقال : أنا سيد ولد آدم ، وعلي سيد العرب ، فقالت يارسول الله ، وما السيد ؟ قال : من أفترضت طاعته كما أفترضت طاعتي . فالسيد هو الملك الواجب الطاعه .

﴿ **الصادق** ﴾ فهو الصادق بوعده ووعيده ، صادق في الثواب وإدخال محبيه الجنة ، وصادق في العقاب وإدخال معانديه النار ، وهو الصادق بتحقيق ما وعده الله لبقية الله في أرضه ، وصادق في إنجاز وعده ، إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً .

﴿ **السبوح** ﴾ سبحان الله المنزه عن النقص ، الكامل في كل أفعاله وصفاته ، وسبحان الله تنزيها به عن كل مالاينبغي أن يوصف به . وسبوح قدوس من الأذكار جليلة القدر عظيمة الوقع على ذاكرها ، سيما لو واظب عليها بعد صلاة الفجر وقبل طلوع الشمس ، وقيل أنها جزء من أسم الله الأعظم لما لها من عظيم الأثر في النفوس البشرية والملكات الروحية .

﴿ **الصانع** ﴾ فهو صانع كل مصنوع ، وخالق كل مخلوق ، ومبدع جميع البدائع ، وكل ذلك دل على أنه لايشبهه شيء من خلقه ، فكل ما يقع عليه البصر أو يدركه الفؤاد فهو من صنع الله ، فاللحم والعظم والشعر والدم والعصب والعروق وأعضاء الجوارح وأجزاء النور والظلمة والأرض والسماء والحجر والشجر .. وغير ذلك من صنوف الخلق ، كل ذلك فعله وصنعه عز وجل ودليل وحدانيته وشاهد على انفراده وعلى أنه بخلاف خلقه ، وأنه لاشريك له .

﴿ **الطاهر** ﴾ فهو المنزه عن الأشباه والأنداد والأضداد والأمثال والحدود والزوال والأنتقال ، ومعاني الخلق من الطول والعرض والأرتفاع والوزن والخفه ، والرقة الغلظة ، والدخول والخروج ، والملازقة والمباينة ، والرائحة والطعم وغيرها من الصفات ، لأن جميع ذلك مخلوق وعاجز ضعيف من جميع الجهات ، دليل على محدث أحدثه وصانع صنعه قادر قوي ، فهو طاهر أي لايشبه شيئاً منها ،لأنها محدثه ومصنوعه ، وتعالى الله علواً كبيراً .

﴿ **الغياث** ﴾ سبحان الواحد الأحد المتفرد ، المغيث لأوليائه حين يدعونه في دلج الليل اذا عسعس ، وفي الصبح إذا تنفس ، يقول العبد : ياغياث المستغيثين أغثني ، فيقول الرب الجليل : لبيك عبدي ، ناديت حبيباً ، وكيف لايجيب حبيباً حبيبه ، فهو الآمان الذي يلجا إليه المريدون والعارفون ، عند الشدائد والكرب وتفريج الهموم والغموم .

﴿ **الفاطر** ﴾ هو الخالق ، ابتدع الخلق وصوره وأوجده ، فطر الخلق أى خلقهم وابتدأ صنعة الأشياء ، وابتدعها فهو فاطرها أي خالقها ومبدعها ﴿ فاطر السماوات والأرض ﴾ .

﴿ **الفرد** ﴾ سبحان المتفرد بالربوبية والأمر دون خلقه ، ومعنى ثان ؛ أنه موجود وحده لاموجود معه .

﴿ **الفالق** ﴾ الفالق أسم مشتق من الفلق ، ومعناه في أصل اللغة الشق ، فسبحان الذي خلق كل شيء ، فانفلق عن جميع ما خلق ، فلق الأرحام فأنفلقت عن الحيوان وفلق الحب والنوى فانفلقت عن النبات ، وفلق الأرض فانفلقت عن كل ما أخرج منها ، وهو كقوله عز وجل ﴿ والأرض ذات الصدع ﴾ صدعها فأنصدعت ، وفلق الظلام فأنفلق عن الإصباح ، وفلق السماء فأنفلقت عن القطر ، وفلق البحر لموسى ﴿ فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ .

﴿ **القديم** ﴾ هو المتقدم للأشياء كلها ، وكل متقدم لشيء يسمى قديماً إذا بولغ في الوصف ، ولكنه سبحانه قديم لنفسه بلا أول ولانهاية ، وسائر الأشياء لها أول ونهاية ، ولم يكن لها هذا الأسم في بدئها فهي قديمة من وجه ومحدثة من وجه ، وقيل أن القديم معناه أنه الموجود لم يزل ، وإذا قيل لغيره عز وجل إنه القديم كان على المجاز لأن غيره محدث وليس بقديم .

﴿ **القريب** ﴾ قيل في القريب أنه المجيب ، لدلالة الأية الكريمة ﴿ فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان ﴾ ، ومعنى ثاني أنه عالم بوساوس القلوب فلاحجاب بينه وبينها ولا مسافة ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ ويؤيد هذا المعنى قوله عز وجل ﴿ ولقد خلقنا الأنسان ونعلم ما توسوس إليه نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ فهو القريب بغير مماسه ، بائن من خلقه بغير طريق ولا مسافة ، بل هو على المفارقة لهم في المخالطة ، والمخالفة لهم في المشابهة ، وكذلك التقرب إليه من وجهة الطرق والمستأنف ، إنما هو من جهة الطاعة وحسن العبادة ، فا لله تبارك وتعالى قريب دان دنوه من غير سفل ، لأنه ليس بإقتطاع المسائف يدنو ، ولاباجتياز الهواء يعلو ، كيف وقد كان قبل السفل والعلو وقبل أن يوصف بالعلو والدنو .

﴿ **قاضي الحاجات** ﴾ فهو متمم ومنجز الحاجات التي تطلب منه ، ويتوجه بها العبد إليه دون غيره ، وهو قاضي المشكلات ومحل المعضلات ومنفس الكربات ، سواء أكانت من حاجات الدنيا أو الآخرة ، وهذا الأسم لايذكره صاحب حاجة وداوم عليه إلا قضى ا لله حاجته ويسر أمره وكشف كربته .

﴿ **الكافي** ﴾ هو الكافي عبيده المتكفل بهم في حياتهم وقضاء حوائجهم ، وكل من توكل عليه كفاه ولا يلجئه الى غيره ﴿ **ومن يتوكل على ا لله فهو حسبه** ﴾ ، فهو المحامي والحافظ والمتكفل والكافي لمن أيقن به وأنس بقربه وأطمئنت روحه إليه ، وصغر مادون ذلك عنده .

﴿ **كاشف** ﴾ سبحان كاشف الضر والبلاء عن عبيده ، سبحان مجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، ويذكر هذا الأسم لدفع البلاء وكشف السوء عن الإنسان سواء كان مرضاً أوبلاءاً أو مصيبةً أو غيره من الإبتلاءات .

﴿ **الوتر** ﴾ فهو الوتر الفرد الصمد ، الواحد الأحد ، فلامعبود سواء ، ولا إلـه غـيره فهو الإله الفرد ، لاثاني له ولاشفع ، فهو خالق متوحد ﴿ لو كان فيهما آلـه إلا ا الله لفسدتا ﴾ .

﴿ **الناصر** ﴾ هو المعين لأوليائه والناصر لهم في الشدائد ، والمؤيد لهم في الأزمات ، والنصرة تعني المعونة ﴿ وما النصر إلا من عند ا الله ﴾ ، وينفع هذا الاسـم الجليـل في الغلبة والنصر على الأعداء والتمكن منهم .

﴿ **الوفي** ﴾ هو المنجز لعهده ولو بعد حين ، ومن هذه العهود التفريج عن المؤمنـين ، وتحقيق العدالة التي وعدنا ا الله بها في كتابه ﴿ ونريد أن نمن على الذين إسـتضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ .

﴿ **الجواد** ﴾ جاء في معنى الجواد أنـه المحسـن المنعـم ، كثير الإنعـام والإحسـان ، ويقال جاد السخي من الناس يجود جوداً ، ولايقال لله عز وجل سخي ، لأن أصـل السخاوة راجع إلى اللين ، ، يقال أرض سـخاوية إذا كـانت لينـة ، فسـبحان الـذي جاد بعطائه وكرمه وإحسانه علينا ، وجعل ذكره على السنتنا وانسه في قلوبنا .

﴿ **الشافي** ﴾ سبحان من بيده شفاء العليل ، وإبراء السقيم ، فهو أصل الشفاء ومنبعه وكل الطرائق راجعة اليه ، وكلها أسباب متصله به واليه ، فهو مسببها وموجـــدها ﴿ وإذا مرضت فهو يشفيني ﴾ فهو وحده الشـافي بواسـطه أسـبابه ﴿ وجعلنـا مـن كل شيء سببا﴾ ، وهذا الأسم الشريف العلـي فيـه شـفاء مـن كـل داء ، مـاعرفت أسبابه الوضعية أم لم تعرف بعد ، من اتخذه ورداً أمن من جميع الآفات والأمـراض ، سيما لو ذكرت مع آيات الشفاء .

هذه الأسماء المباركة ، والدرر الثمينة الزاهر ، من تبصر بها بصرته ومن داوم على ذكرها وجد حلاوة القرب والأنس في قلبه ووجدانه وجميع جوارحه . ولا أستطيع مهما أوتيت من عظيم الكلمات والمفردات أن أعبر ولو بجزء عما يلاقيه الذاكر بهذه الأسماء وغيرها من الكرامه والرفعة عند الخالق تبارك وتعالى .

على أن يراعي الذاكر حين الذكر عدم الإلتفات إلى الأثار الحياتية وما تفيضه هذه الأسماء والصفات عليه . حتى وإن وجد آثارها في الحقيقة ، وتلمس أبعادها سواء في قضاء الحوائج وتفريج الكروب ـ وإن كان هذا مباح شرعاً واستحباباً ، كما صرحت به الآية الشريفة ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعو فله الأسماء الحسنى ﴾ فالله عز وجل أمرنا أن ندعوه بهذه الأسماء في الشدائد والمحن والفقر والمرض وما أشبه ـ إلا أن القيمة الحقيقية لذكر الأسماء عندما تكون خالصة لوجه تبارك وتعالى .

وهذه الأسماء هي الأسماء المتداوله والمعروفه ، وتبقى الأسماء الضامره الخاصه التي يصل إليها خواص السالكين والمريدين ، بعد المجاهده والأخلاص وتنقيه النفس والروح .

وإذا كنا قد ألقينا الضوء على جزء من عوالم أسماء الله الحسنى وأسرارها المكنونة فإنا نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمنا الصواب والصدق ، ويجنبنا الزيغ والضلال ، في هذا البحث . فما ذكرناه عن الأسماء وجواهرها هو ما صرحت به كتب العقيدة والعرفان لعلمائنا الأعلام ، وتوصلوا إلى مكنونها بالبحث والتحقيق والعلم والتوفيق .

ذكرناها بشيء من الإختصار والتركيز والتهذيب ، إضافة إلى ما تلمسناه من بركاتها الروحية ، لتعم الفائدة ، والله أعلم على كل حال .



الفصل السابع

- سـيد الأذكـار
- مفردات من الأذكار الروحية
- اسم ا لله الأعظم
- الصلاة على الرسـول وآله

قال تعالى

(لو أن السماوات والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا ا لله في كفة مالت بهن لا إله إلا ا لله)



شهادة التوحيد : (لا إله إلا ا لله)

قال تعالى : (**من جاء منكم بشهادة لا إله إلا ا لله بإخلاص دخل حصني ، ومن دخل حصني أمن من عذابي**)(١) .

وقال رسول ا لله (ص) : (**إذا قال العبد : لا إله إلا ا لله ، يقول ا لله تعالى : إشهدوا سكان سماواتي ، أني قد غفرت لقائلها**)(٢).

جاء جبريل (ع) إلى رسول ا لله (ص) فقال : (**يامحمد : طوبى لمن قال من أمتك : لا إله إلا ا لله وحده وحده وحده**)(٣) .

إثنا عشر حرفاً ، جمعت كنوز الإخلاص ومفاتيح العرفان وسعادات الأيام ، أثنا عشر حرفاً يخترق بها الذاكر حجب الظلام ، ويقشع بها سحب الغمام ، ويحلق بها عالياً في عمود من النور القدسي .

بها تشبع العقول الدالة ، وبها تستنار النفوس القالة ، وبها تستهدي الضمائر العليلة ، وبها يستهدي المريد طريقه القويم ، ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا ا لله** .. ﴾(٤) .

كلمات تحول كيان الأنسان ، وتقلب مفاهيمه ، وتستنطق حياته وتؤطرها بفيوضات التوحيد .

وليس لي وأنا العبد الفقير الضعيف المسكين المستكين ، قليل الحيلة والزاد ، ضعيف الفكرة والإحاطة ، في الحديث عن سيد الأذكار ، ودرة الكلام وجوهر الأسلام ، والحديث عن فضلها ومعانيها وشواهدها ، ويكفي أن نذكر الأحاديث المروية بفضلها لكي نشير في هذا الباب إلى شيء يسير لهذا اللفظ الباهر والخير الوافر ، إلى فضائل هذه الحروف القدسية والأنوار السنية .

وقبل ذكر فضائلها نقول : أن ا لله عز وجل فتح باب رحمته لعباده بهذه الدرة السنية ، والكلمة الزاهرة القدسية ، والأحرف النورانية ، فمن قالها دخل في رحمة ا لله وغفرانه .

ولكن على عظم هذه الرحمة ، وجزيل هذه العطيه الرحمانية من الباري تبارك وتعالى ، لابد أن نسأل أنفسنا ونحن من يدعي الأسلام أو الإيمان .. كم مرة في اليوم نشهد بشهادة التوحيد ، وكم مرة ندخل في حصن ا لله المنيع ، والتقرب إليه بأحب الأذكار .

فالغالب هو ذكر الشهادة في أوقات الصلاة المكتوبة فقط ، والإكتفاء بهذا القدر اليسير ، مع مالذكرها من عظيم الأجر والثواب عند ا لله عز وجل ، كما جاء عن الرسول (ص) في خطاب ا لله تعالى لنبيه موسى (ع) : (**لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفه ولا إله إلا ا لله في كفه ، مالت بها لا إله إلا ا لله**)(٥) .

فالبعض يتهاون حتى عند قراءة فضائل الأذكار ، وكأنها أمور لاتعنيه ، وكأن الأذكار التي تعظم الخالق وتقدسه لاتخصه ، فهو يبحث عن الثقافة السليمة ، والسياسة الحكيمة ، متجاهلاً أو متناسياً أو لاهياً عن البحث حول الأذكار التي تشخص بهمته ، وتعلو بروحه إلى السعادة الحقه .

لقد جعلنا شهادة التوحيد والأقرار بالربوبية باباً منفضلاً ، لما توصلنا إليه بعد بحث وتحقيق من أهمية هذا الذكر عند الخالق ، وعلو شأن الذاكين بهذا الأسم .

وتعالى معي عزيزي القاريء لنبحر في رحاب هذا الذكر ، ونتناول الأحاديث التي وردت في فضله .

وقد عمدنا إلى تصنيف الأحاديث الواردة في فضائلها ، حتى ندرك سعة هذا الذكر وشموله وعطائه اللامتناهي ، وحتى أصل بالقاريء الكريم إلى عظيم هذه الدرة القدسية التي وهبها لنا الخالق تبارك وتعالى .

أفضل ما قاله الأنبياء :

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول ا لله (ص) : (**ما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل لا إله إلا ا لله**)(٦) .

وعن النبي (ص) : (**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي (لا إله إلا ا لله وحده لاشريك له**)(٧) .

أفضل العبادة :

عن أبي عبد ا لله جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول (ص) : (**خير العبادة قول لا إله إلا ا لله**)(٨) .

عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر (ع) : سمعته يقول : (**مامن شيء أعظم ثواباً من شهادة أن لا إله إلا ا لله ، لأن ا لله عز وجل لا يعدله شيء ولا يشركه في الأمر أحد**)(٩) .

الوقاية من النار :

عن أبي عبدا لله (ع) قال : (**إن ا لله تبارك وتعالى حرم أجساد الموحدين على النار**)(١٠) .

وعن الرسول (ص) قال : (لن يوافي عبد يوم القيامة يقول : لا إله إلا ا لله يبتغي وجه ا لله ، إلا حرم ا لله عليه النار)(١١) .

وروي ابن عساكر عن علي (ع) مرفوعاً قال حدثني جبريل (ع) قال : (**يقول ا لله تعالى لا إله إلا ا لله حصني ، فمن دخل حصني أمن من عذابي**)(١٢) .

الإستكبار الحقيقي :

عن الحسن بن الصباح قال : حدثني أنس أن النبي (ص) قال : (**كل جبار عنيد من أبى أن يقول لا إله إلا ا لله**)(١٣) .

وعنه (ص) قال : (**ليدخلن الجنة كلكم إلا من أبى ، وشرد على ا لله شرد البعير على أهله ، فقيل : يارسول ا لله من الذي يأبى ؟ قال : من لم يقل لا إله إلا ا لله ، فأكثروا من قول لا إله إلا ا لله قبل أن يحال بينكم وبينها ، فإنها كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص ، وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة ، وهي دعوة الحق ، وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة**)(١٣/١) .

كلمة ثمنها الجنة :

عن أبي عبدا لله (ع) : قال : (**قول لا إله إلا ا لله ثمن الجنه**)(١٤) .

قال رسول ا لله (ص) : (**إن لا إله إلا ا لله كلمة عظيمة كريمة على ا لله عزوجل ، من قالها مخلصاً أستوجب الجنة ، ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه ، وكان مصيره إلى النار**)(١٥) .

وعنه (ص) قال : (**أربعة تدعو إلى الجنة : كتمان المصيبة ، وكتمان السر ، وبر الوالدين ، والإكثار من قول لا إله إلا ا لله**)(١٦) .

أحب الكلام إلى ا لله :

عن إبن عباس ، عن النبي (ص) قال : (**ما في الكلام كلمة أحب إلى ا لله عز وجل من قول لا إله إلا ا لله**)(١٧) .

عن ابان بن تغلب ، عن أبي عبدا لله قال : (يا ابان ، إذا قدمت الكوفة فأرو هذا الحديث (من شهد أن لا إله إلا ا لله مخلصاً وجبت له الجنة) قلت له : يأتيني من كل صنف من الأصناف ، أفأروي لهم هذا الحديث ، قال : نعم ، يا ابان إنه إذا كان يوم القيامة وجمع ا لله الأولين والأخرين فتسلب لا إله إلا ا لله منهم إلا من كان على هذا الأمر)(١٨) .

غفران الذنوب :

عن أمير المؤمنين (ع) قال : (**ما من عبد مسلم يقول : لا إلـه إلا ا الله ، إلا صعـدت تخرق كل سقف ، لا تمر بشيء من سيئة إلا طمستها حتى تنتهي إلى مثلهـا في الحسـنات فتقف**)(١٩) .

وعن الصادق (ع) قال : قال رسول ا الله (ص) : (**ما من عبد يقـول لا إلـه إلا ا الله يمد بها صوته فيفرغ ، إلا تناثرت ذنوبه تحت قدميه كما يتناثر ورق الشجر تحتها**)(٢٠) .

عن الرسول (ص) قال : (**من قال لا إله إلا ا الله في ساعة من ليل أو نهار طلست (محيت) ما في صحيفته من السيئات**)(٢١) .

وعنه (ص) قال : (إن الله عزوجل عمود من ياقوته حمراء رأسه تحت العرش ، وأسفله على ظهر الحوت في الأرض السابعة السفلى ، فإذا قال العبـد : لا إلـه إلا ا الله إهـتز العـرش وتحرك العمود وتحرك الحوت ، فيقول ا الله تبارك وتعالى : أسكن ياعرشي ، فيقول ، كيـف أسكن وأنت لم تغفر لقائلها ، فيقول ا الله تبارك وتعالى : أشهدوا سـكان سمـاواتي أنـي قـد غفرت لقائلها)(٢٢) .

وعنه (ص) : (**لا إله إلا ا الله لاتترك ذنباً ولايسبقها عمل**)(٢٣) .

وعنه (ص) قال : (**ما على الأرض أحد يقول لا إله إلا ا الله ، وا الله أكـبر ولا حـول ولاقوة إلا با الله ، إلا كفرت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**)(٢٤) .

روي عن أبي جعفر (ع) ، أن رسول ا الله (ص) قـال : (**لقنـوا أمواتكـم لا إلـه إلا ا الله ، فإنها تهدم الذنوب ، فقالوا : يارسـول ا الله ، فمـن قـال في صحتـه فقـال : فـذاك أهدم وأهدم**)(٢٦) .

خاتمة الأعمال :

عن الصادق (ع) قال : (من ختم صيامه بقول صالح أو عمل صالح تقبل الله منه صيامه ، فقيل يابن رسول الله ، وما القول الصالح ؟ قال شهادة أن لا إله إلا الله ، والعمل الصالح إخراج الفطرة)(٢٧) .

أفضل الأعمال :

عن أبي عبدالله (ع) قال : (**من قال لا إله إلا الله مائة مرة كان أفضل الناس ذلك اليوم عملاً إلا من زاد**)(٢٨) .

جزاء الاحسان :

قال تعالى ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ جاء عن ابن عباس : هل جزاء من قال : لا إله إلا الله إلا أن يدخله الله الجنة) ، وقال هل تدرون ما قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : (يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة)(٢٩) .

أشجار الجنة :

عن الرسول (ص) قال : (**من قال لا إله إلا الله غرست له شجرة في الجنة من ياقوت أحمر ، منبتها في مسك أبيض ، أحلى من العسل وأشد بياضاً من الثلج ، وأطيب ريحاً من المسك ، فيها أمثال ثدي الأبكار تعلو على سبعين حلة**)(٣٠) .

أول شعبة من شعب الإيمان :

عن الرسول (ص) قال : (**الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان**)(٣١) .

تجديد الإيمان :

عن الرسول (ص) قال : (**جددوا إيمانكم ! قيل : يارسول ا لله كيف نجـدد إيماننـا ؟ قال : أكثروا من قول لا إله إلا ا لله**)(٣٢) .

أفضل الحسنات :

عن أبي ذر (رضي ا لله عنه) قال : قلت يارسـول ا لله أوصـني ، فقـال (ص) : (**إذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحوها ، فقلت يارسول ا لله ، أمن الحسنات لا إلـه إلا ا لله ؟ قال (ص) : هى أفضل الحسنات**)(٣٣) .

وحشـة القـبر :

عـن الرسـول (ص) قـال : (**ليـس علـى أهـل لا إلـه إلا ا لله وحشـة في قبورهـم ولا منشورهم ، وكأني أنظـر إلى أهـل لا إلـه إلا ا لله وهـم ينفضـون الـتراب عـن رؤوسـهم ويقولون (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن**) وفي رواية (ليس علـى أهـل لا إلـه إلا ا لله وحشة عند الموت ولا عند القبر)(٣٤) .

مفاتيـح الجنـة :

عن الرسول (ص) قال : (مفاتيح الجنة شهادة لا إله إلا ا لله)

وعنه (ص) : (**لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة لا إله إلا ا لله**)(٣٥) .

وعنه (ص) : (**ماقال عبد لا إله إلا ا لله قط مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما أجتنب الكبائر**)(٣٦) .

وعنه (ص) قال : (**ما قال عبد قط لا إله إلا ا لله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، مخلصاً بها روحه ، مصدقاً بها قلبه ، ناطقاً بها لسانه إلا فتق ا لله عزوجل له السماء فتقاً حتى ينظر إلى قائلها من الأرض ، وحق لعبد نظر ا لله إليه أن يعطيه سؤله**)(٣٧) .

الكلمة الكريمة :

عن الرسول (ص) : (إن لا إله إلا ا لله كلمة على ا لله كريمة ، لها عند ا لله مكان وهي كلمة من قالها أدخله ا لله بها الجنة ، ومن قالها كاذباً حصنت ماله ودمه ولقي ا لله غداً فحاسبه)(٣٨) .

كلمة أعظم من السماوات والأرض :

عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي (ص) أنه قال : قال موسى (ع) : (**يارب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به قال ، قل لا إله إلا ا لله ، قال** : **يارب كل عبادك يقول هذا قال** : **قل لا إله إلا ا لله ، قال** : **إنما أريد شيئاً تخصني به ، قال** : **ياموسى ، لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا ا لله في كفة مالت بهن لا إله إلا ا لله**)(٣٩).

عن أم هاني رضي ا لله عنها قالت : مر بي رسول ا لله (ص) ذات يوم فقلت يارسول ا لله : قد كبرت سني ، وضعفت ، فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة ، فقال : **قولي لا إله إلا ا لله مائة مره ، فهو خير لك مما أطبقت عليه السماء والأرض**)(٤٠) .

وعنه (ص) قال : (ألا أخبركم بوصية نوح لابنه ، قالوا بلى ، قال : أوصى نوح ابنه فقال : يابني إني أوصيك بأثنتين وأنهاك عن إثنتين .. أوصيك بقول : **لا إله إلا ا لله** فإنها لو وضعت في كفة ووضعت السماوات والأرض في كفة لرجحت بهن ، ولو كانت حلقة لقصمتهن حتى تخلص إلى ا لله تعالى ، وسبحان ا لله وبحمده ، فإنها صلاة كل شيء ، وبها يرزق كل شيء ..)(٤١) .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول ا لله (ص) : (**إن موسى كان يناجي ربه فقال : (رب كيف المعرفة بك ، قال : تشهد أن لا إله إلا ا لله ، قال : يارب كيف الصلاة ، قال : لا إله إلا ا لله ، قال : يارب فأين الصلاة ، قال : قل لا إله إلا ا لله ، وكذلك يقولها عبادي الى يوم القيامة ، من قالها فلو وضعت السماوات والأرضون السبع في كفه ووضعت لا إله إلا ا لله في كفه أخرى ، لرجحت بهن ، ولو وضعت عليهن أمثالها**)(٤٢)

أفضل الأذكار :

عن جابر الأنصاري عن الرسول (ص) قال : (أفضل الذكر لا إله إلا ا لله ، **وأفضل** الدعاء الحمد لله)(٤٣) .

ذاكرها كالقمر ليلة البدر :

عن الرسول (ص) قال : (**ليس من عبد يقول لا إله إلا ا لله مائة مرة إلا بعثه ا لله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، ولم يرفع يومئذ لأحد أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أو زاد**)(٤٤) .

الباقيات الصالحات :

عن الرسول (ص) قال : (استكثروا من الباقيات الصالحات ، قيل وماهي يارسول ا لله ؟ قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولاحول ولاقوة إلا با لله)(٤٥) .

وقال : (**إن مما تذكرون من إجلال ا لله : التسبيح والتهليل والتحميد ، ينعطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل ، تذكر صاحبها ، أما يحب أحدكم أن يكون له من لايزال يذكر به**)(٤٦) .

ترجيح الميزان :

قال رسول ا لله (ص) : (يؤتى بعمل العبد يوم القيامة فيوضع في كفة الميزان فلا يرجح حتى يؤتى بصحيفة مختومة من يد الرحمن عزوجل فتوضع في كفة الميزان فترجح وهي لا إله إلا ا لله)(٤٧) .

وروي عنه في حجة الوداع : (إن ا لله عزوجل قد وهب لكم ذنوبكم عند الاستغفار ، فمن استغفر بنية صادقة غفر له ، ومن قال لا إله إلا ا لله رجح ميزانه ، ومن صلى علي كنت شفيعه يوم القيامة)(٤٨) .

رفع الحجاب :

عن الرسول (ص) قال : (التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا إله إلا ا لله ليس لها دون ا لله حجاب حتى تخلص إليه ، وعند ذلك ليس شيء إلا بينه حجاب إلا قول لا إله إلا ا لله ، ودعاء الوالد)(٤٩) .

هلاك الشيطان :

عن الرسول (ص) قال : (عليكم بلا إله إلا ا لله والأستغفار ، فأكثروا منها فإن إبليس قال : أهلكت الناس بالذنوب ، **وأهلكوني بلا إله إلا ا لله والأستغفار ، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء وهم يحسبون أنهم مهتدون**)(٥٠) .

كما جاء في الخطبة الثانية في نهج البلاغة للأمير (ع) : (.. وأشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لاشريك له ، شهادة ممتحناً إخلاصها .. فإنها عزيمة الإيمان ، وفاتحة الإحسان ، ومرضاة الرحمن ، ومدحرة الشيطان) .

ولو تمعنا ملياً في حديث الإمام الرضا (ع) وهو في طريقه إلى نيسابور لأيقنا بعظيم هذه الكلمة ، وشدة تأكيد الإمام عليها .

والحديث يرويه إبن عقيل عن إسحاق بن راهويه قال : لما وافى أبو الحسن الرضا (ع) بنيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون إجتمع إليه أصحاب الحديث ، فقالوا له يابن رسول الله : (ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيد منك ، وكان قد قعد في العمارية (الهودج) ، فأطلع رأسه وقال : سمعت أبي موسى بن جعفر يقول : سمعت أبي جعفر بن محمد يقول : سمعت أبي محمد بن علي يقول : سمعت أبي على بن الحسين يقول : سمعت أبي الحسين بن علي يقول : سمعت أبي علي بن أبى طالب يقول : سمعت حبيبي رسول الله (ص) يقول : سمعت جبريل يقول : سمعت الله عز وجل يقول : (**لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي ، قال : فلما مرت الراحله ، نادانا وقال : بشروطها وأنا من شروطها**)(٥١) .

فالإمام لم يذكر مسألة شرعية ، مع حاجة المجتمع إليها .. ولم يتحدث عن معضلة إجتماعية دنيوية مع إختلافهم حولها .. ولم يتناول موضوعاً تشريعياً مع كثرة الفتن والأقاويل .. ولكنه صرح بحديث شمل الإيمان كله ، والتشريع كله ، لأن من جرت كلمة التوحيد على لسانه ، يوفق لمسلك الخير والصلاح في الدنيا والآخرة .

وهذا قليل من كثير حول عظيم كلمة التوحيد ، وشهادة العدل وميزان الحكمة ، ولو تفحصنا بعضاً من مفرداتها التي جاءت في القرآن والسنة المطهرة لوجدنا العديد من الأسماء والصفات التي عنيت بهذه الكلمة النورانية ، ومنها :

أنها الشهادة الباقية :

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً باقسط .. ﴾(٥٢) .

وهي القول الثابت :

﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾(٥٣)

وهي الكلمة الطيبة :

﴿ مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾(٥٤) .

وهي الكلمة الباقية :

﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾(٥٦) .

وهي كلمة التوحيد :

(من قال لا إله إلا ا لله وكفر بما يعبد من دون ا لله حرم ا لله ماله ودمه وحسابه على ا لله)(٥٧) .

وهي كلمة التقوى :

﴿ وألزمهم كلمة التقوى ﴾(٥٨) .

وهي كلمة الأخلاص :

(.. و لا إله إلا ا لله كلمة الأخلاص)(٥٩) .

وهي المثل الأعلى :

﴿ وله المثل الأعلى ﴾(٦٠) أي الوصف الأعلى وهو لا إله إلا ا لله .

وهي دعوة الحق :

﴿ له دعوة الحق ﴾(٦١) عن الأمير (ع) قال : (إنها كلمة التوحيد لا إله إلا ا لله) .

وهي كلمة العهد عند ا لله :

﴿ لا يملكون الشفاعة إلا من إتخذ عند الرحمن عهدا .. ﴾(٦٢) حيث روي عن الرسول (ص) : (انها شهادة أن لا إله إلا ا لله ، وأن من قال لا إله إلا ا لله كان له بها عهد عند ا لله)(٦٣) .

وهي الكلمة العليا :

﴿ وكلمة ا لله هي العليا ﴾(٦٤) ، فعن أبن عباس عن النبي (ص) قال : (كلمة الذين كفروا الشرك ، وكلمة ا لله شهادة أن لا إله إلا ا لله) .

وهي كلمة العدل :

﴿ إن ا لله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء دى القربى ... ﴾(٦٥) فعن الرسول (ص) قال : (إنها شهادة ان لا إله إلا ا لله) .

وهي الذكر المبارك :

﴿ وهذا ذكر مبارك أنزلناه ... ﴾(٦٦)

إن كلمة التوحيد لا تحتاج منا إلى بيان فضائلها وتناول شواهدها ، فهي الكلمة التي أبقاها ا لله في نسل الموحدين والعارفين منذ الخليقة ﴿ **كلمة باقية في عقبه** ﴾ سواء تكلمنا عنها أم تجاهلناها ، فهي باقية بقاء الكون والوجود .

ولكن ما يحز بالنفس ويدمي الفؤاد ، أن الأنسان ذلك الكائن الذي أكرمه ا لله ، ذو الإرادة والعقل ، ذو الروح والنفس ، يجهل هذه الكلمات ، ويستصغر قدرها ، غافلاً عن عميق أثرها .

ويزداد إستغرابنا ودهشتنا إذا عرفنا أن كل مافي الكون يهلل ا لله ، فالطير في الهواء والسباع في الأوكار ، والوحوش في الغابات ، والحيتان في أعماق البحار ، وحتى الحجر في الصحاري والقفار ، وكل ما على الأرض يهلل ا لله ب (لا إله إلا ا لله) ، إعترافاً للخالق بالتوحيد وإقراراً بالمخلوقية لهذا الإله العظيم ، وحتى الذرة المجهرية إكتشف العلم الحديث أنها تدور في فلك إثنى عشر جسماً يشكلون أحرف (لا إله إلا ا لله) .

ومع كل الدلالات والبراهين التي تؤكد هـذا المعـني ، يبقـى الإنسـان شـاكاً ومـترددا في دلالة هذه الكلمات ﴿ **وقليلاً من عبادي الشـكور** ﴾ وفي عروجـه وسـلوكه طريـق الخـير بهذه النفحات .

ولا تنصب المشكلة في الإعتراف بأهميتها وثواب قائلها ، بل تكمن المشـكلة في جعلهـا أداة للسلوك والعروج الى الله ، وعميق عطائها الروحي والعرفاني للمؤمن السالك الى الله

فالاقرار بالتوحيد القلبي ، والتلفظ اللساني بكلمـة التوحيـد بوابـة السـلوك والعـروج إلى عالم الروحانيات ، لأن الأعتراف بالرب والإله والإلتجاء اليـه ، ونبـذ مادونـه مـن تعلقـات مادية ، من شأنه إزالة الحجب الظلمانية والكدورة المترسبة عن النفـس البشـرية ، فيجعلهـا تتطلع نحو عالم الملكوت والقرب الإلهي .

منتخب من الأذكار الروحية :

بالإضافة لشهادة التوحيد و (سيد الكلام) إنتخب الله تبارك اسمه ، مفردات من الأذكار خصها بالتعظيم والإجلال . لأنها دلت على ذاته العليه ، وأشارت إلى صفاته السنية . فكانت عظيمة معظمة لوصفها لذات الخالق تبارك وتعالى ، كالبسملة والتسبيحات الأربعة والإستغفار والصلاة على سيد الخلق وأشرفهم .

كما ارتبطت هذه الأذكار أيضاً بشهادة التوحيد في العديد من الأحاديث والروايات ، مما يدل على عظمها ، وشمول عطائها .

نتناول في هذا الباب هذه المفردات كما صرحت بها الأحاديث القدسية والشريفة المروية عن الرسول (ص) وأهل بيته عليهم السلام ، عسى الله أن ينفعنا بها جميعاً .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

إن بسم الله الرحمن الرحيم هي أقرب الى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضه ، كما جاء في الحديث الشريف المروي عن الرسول (ص) . وهي مركبة من أربع مقاطع ، بسم ولفظ الجلاله والرحمن الرحيم ، فالكلمة الأولى عبارة عن الأسم المضمر الذي يدل على أن ما بعده الأسم الأعظم ، وهو الله ، لأن الأسم الأعظم هو الجلاله وهو قطب الأسماء ، وإليه يرجع ، وهو في الأسماء كالعلم ، لأنك إذا سئلت من الرحمن فتقول الله ، وإذا سئلت من البارىء فتقول : الله .. وهكذا بقية الأسماء تضاف إليه ، والرحمن الرحيم صفتان لهذا الإسم الشريف ، ولكل من الأسماء الثلاثة من الخواص والأسرار مالا يحصيها إلا الله سبحانه وتعالى .

وكما روي عن أمير المؤمنين (ع) قال : (إن سر القرآن في الفاتحة ، وسر الفاتحة في البسملة وسر البسملة في البسم ، وسر البسم في الباء ، وسر الباء في النقطة التي تحت الباء) .

وذاكر هذا الإسم الشريف يتقلب في رحمة ا لله ونعيمه ، ويزداد يقينه وإتصاله الروحي والغيبي ، وتنجلى عنه الهموم والغموم ، لأنه توكل على الرحمة المطلقة والإله الأوحد ، كما جاء في الحديث القدسي : (**لايتكل العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها لثوابي ، فإنهم لو أجتهدوا وأتعبوا أنفسهم (وأفنوا) أعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين ، غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي ، فيما يطلبون عندي من كرامتي ، والنعيم في جناتي ، ورفيع درجات العلى في جواري ، ولكن برحمتي فليثقوا ، وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا فإن رحمتي عند ذلك تدركهم ، ومني يبلغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي ، فإني أنا ا لله الرحمن الرحيم ، وبذلك تسميت**)(٦٧).

كما جاء في حديث آخر عنه تبارك وتعالى : (**إذا قال العبد بسم ا لله الرحمن الرحيم ، قال ا لله عز وجل ، بدأ عبدي باسمي ، وحق عليّ أن أتمم له أموره ، وأبارك له في أحواله**)(٦٨) .

التسبيحات الأربعة :

عن أبي عبدا لله (ع) قال : (جاء الفقراء إلى رسول ا لله (ص) فقالوا : (يارسول ا لله إن الأغنياء لهم ما يعتقون وليس لنا ، ولهم ما يحجون وليس لنا ، ولهم ما يتصدقون وليس لنا ، ولهم ما يجاهدون وليس لنا فقال رسول ا لله (ص) : (**من كبر ا لله تعالى مائة مرة كان أفضل من عتق مائة رقبة ، ومن سبح مائة مرة كان أفضل من سياق مائة بدنه ، ومن حمد ا لله مائة مرة كان أفضل من حملان مائة فرس في سبيل ا لله بسرجها ولجامها وركابها ومن قال لا إله إلا ا لله مائة مرة كان أفضل الناس عملاً ذلك اليوم إلا من زاد**)(٦٩) .

وعن المعصوم (ع) قال : (أكثروا من التهليل والتكبير فإنه ليس أحب إلى ا لله من التهليل والتكبير)(٧٠) .

وعن أمير المؤمنين (ع) قال : (**التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله يملأ الميزان ، والله أكبر يملأ مابين السماء والأرض**)(٧١) .

وعن أبي جعفر (ع) قال : (مر رسول الله (ص) برجل يغرس غرساً في حائط له ، فوقف عليه ، وقال : ألا أدلك على غرس أثبت أصلاً وأسرع إيناعاً ، وأطيب ثمراً وأبقى ، قال : بلى فدلني يارسول الله قال : إذا أصبحت وأمسيت فقل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، فإن لك إن قلته بكل تسبيحة عشر شجرات في الجنة من أنواع الفاكهة **وهن الباقيات الصالحات**)(٧٢) .

وعن أبي جعفر (ع) قال : (ما من عبد يقول إذا أصبح قبل طلوع الشمس (الله أكبر الله أكبر كبيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، والحمد لله رب العالمين كثيراً ، لاشريك له ، وصلى الله على محمد وآله) إلا بتدرهن ملك وجعلهن في جوف جناحه وصعد بهن إلى السماء الدنيا ، فيقول له الملائكة : ما معك ، فيقول : معي كلمات قالهن رجل من المؤمنين وهي كذا وكذا .. فيقولون رحم الله من قال هذه الكلمات وغفر له ، قال : وكلما مر بسماء قال لأهلها مثل ذلك فيقولون : رحم الله من قال هذه الكلمات وغفر له ، حتى ينتهي بهن إلى حملة العرش فيقول لهم : إن معي كلمات تكلم بهن رجل من المؤمنين وهي كذا وكذا .. فيقولون رحم الله هذا العبد وغفر له ، إنطلق بهن إلى حفظة كنوز مقالة المؤمنين فإن هؤلاء كلمات الكنوز حتى تكتبهن في ديوان الكنوز)(٧٣).

عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبدالله (ع) قال : (من قال : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده ، كتب الله له ثلاثة آلاف حسنة ، ومحا عنه ثلاثة آلاف سيئة ورفع له ثلاثة آلاف درجة ، ويخلق منها طائراً في الجنة يسبح ، وكل أجر تسبيحه له)(٧٤)

وعن الرسول الأعظم (ص) قال لعلي (ع) : (**لما أسري بي لى السماء ، ودخلت الجنة ، فرأيت فيها قصراً من ياقوتة حمراء ، يرى ما داخلها من خارجها ، وخارجها من داخلها ، من ضيائها ، وفيها بنيان من زبرجد ، فقلت : ياجبرائيل لمن هذا العقد ؟ فقال : لمن أطاب الكلام وأدام الصيام ، وأطعم الطعام ، وتهجد بالليل والناس نيام ، ثم**

قال : أتدري ما أطيب الكلام ياعلي ؟ قال ا لله ورسوله أعلم ، قال : من قال : سبحان ا لله والحمد لله ولا إله إلا ا لله وا لله أكبر ..)(٧٥) .

وعن أبي المنذر قال : قلت : يانبي ا لله علمني أفضل الكلام قال : (قل : لا إله إلا ا لله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد يحي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير مائة مرة في كل يوم ، فأنت يوميذ أفضل الناس عملاً إلا من قال مثل ما قلت ، وأكثر من سبحان ا لله والحمد لله ولا إله إلا ا لله وا لله أكبر ولا حول ولا قوة إلا با لله العلي العظيم ، ولاتنسين الاستغفار في صلواتك فإنها ممحاة للخطايات بإذن ا لله)(٧٦) .

عن أبي بصير عن أبي عبد ا لله (ع) قال : قال رسول ا لله (ص) : (أكثروا من قول سبحان ا لله والحمد لله ولا إله إلا ا لله وا لله أكبر ، فإنهن يأتين يوم القيامة لهن مقدمات ومؤخرات ومعقبات وهن الباقيات الصالحات)(٧٨) .

عن يونس بن يعقوب ، عن أبي عبدا لله (ع) قال : التفت رسول ا لله (ص) إلى أصحابه فقال : (**أتخذوا جنات ، فقالوا يارسول ا لله من عدو قد أضلنا ؟ فقال : لا ولكن من النار ، فقالوا : ما الجنة فقال : قولوا سبحان ا لله والحمد لله ولا إله إلا ا لله وا لله أكبر**)(٧٩) .

عن الجارود ، عن أبي عبد ا لله (ع) قال : قال رسول ا لله (ص) : (من قال سبحان ا لله غرس ا لله له شجرة في الجنة ، ومن قال الحمد لله غرس ا لله بها شجرة في الجنة ، ومن قال : لا إله إلا ا لله غرس له بها شجرة في الجنة ، ومن قال : ا لله أكبر غرس ا لله له بها شجرة في الجنة ، فقال رجل من قريش : يارسول ا لله إن شجرنا في الجنة لكثير ، فقال : نعم ، ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها ، وذلك أن ا لله عز وجل يقول : (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا ا لله وأطيعوا الرسول ولاتبطلوا أعمالكم)(٨٠) .

عن أبي جعفر (ع) قال : (**من قال سبحان ا لله من غير تعجب خلق ا لله منها طائراً له لسان وجناحان يسبح ا لله عنه في المسبحين حتى تقوم الساعة ، ومثل ذلك الحمد لله ولاإله إلا ا لله وا لله أكبر**)(٨١) .

وجاء نفر من اليهود إلى رسـول ا لله (ص) فسـألوه عـن الكلمـات الـتي إختـارهن ا لله لأبراهيم (ع) حين بنى البيت ، فقال النبي (ص) : (نعم ، سبحان ا لله والحمـد لله ولا إله إلا ا لله وا لله أكبر .. إلى أن قال اليهود .. أخبرني ماجزاء قائلها ؟ فقال : إذا قال العبد سبحان ا لله سبح معه مادون العرش فيعطي قائلها عشر أمثالها ، وإذا قال : الحمـد لله أنعـم ا لله عليه بنعم الدنيا موصولاً بنعيم الآخرة ، وهي الكلمة التي يقولها أهل الجنـة إذا دخلوهـا وأما قوله : لا إله إلا ا لله فالجنـة جـزاؤه وذلـك قولـه تعـالى ﴿ **وهـل جـزاء الإحسـان إلا الإحسان** ﴾ يقول هل جزاء لا إله إلا ا لله إلا الجنة)(٨٢) .

وعن أبي عبد ا لله (ع) قال : (مـن بخـل منكـم بمالـه ينفقـه ، وبالجهـاد أن يحضـره ، والليل أن يكابده ، فلا يبخل بسبحان ا لله ولا إله إلا ا لله وا لله أكـبر ، ولا حـول ولا قـوة إلا با لله)(٨٣) .

وعن الرسول (ص) قال : (**لما أسـري بـي الى السـماء دخلـت الجنـة ، فرأيـت فيهـا قيعاناً ، ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وربما أمسكوا ، فقلت هم : مالكم قد أمسكتم ، قالوا : حتى تجيئنا النفقة ، قلت : وما نفقتكم ؟ قالوا : قـول المؤمن سبحان ا لله والحمد لله ولا إله إلا ا لله وا لله أكبر ، فإذا قـال بنينـا ، وإذا سـكت أمسكنا**)(٨٤) .

الإستـغفار :

﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشـة أو ظلمـوا أنفسـهم ، ذكـروا ا لله فاسـتغفروا لذنوبهـم ، ومن يغفر الذنوب إلا ا لله** ﴾(١٠٢) .

عن السكوني ، عن أبي عبـدا لله (ع) قـال : قـال رسـول ا لله (ص) : (خـير الدعـاء الأستغفار)(١٠٣) .

وعن الرسول (ص) قال : (من أكثر الاستغفار جعل ا لله له من كل هم فرجاً ، ومـن كل ضيق مخرجاً ، ويرزقه من لايحتسب)(١٠٤) .

وقال (ص) : (إني لاستغفر ا لله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة)(١٠٥) .

وعنه (ص) : (من قال حين يأوي إلى فراشه (أستغفر ا لله الذي لا إلـه إلا هـو الحـي القيوم) ثلاث مرات ، غفر ا لله ذنوبه وإن كانت مثـل زبـد البحـر أو عـدد الرمـل أو عـدد الشجر أو عدد أيام الدنيا)(١٠٦) .

وكما جـاء في الحديث القدسي : (**إن ا لله تعـالى إذا رأى أهـل قريـة قـد أسـرفوا في المعاصي وفيها ثلاث نفر من المؤمنين ، ناداهم ا لله جل جلاله : يـا أهـل معصيـتي ، لـولا مـن فيكـم مـن المؤمنـين ، المتحـابين بجـلالي ، العـامرين بصلواتهـم أرضـي ومسـاجدي ، والمستغفرين بالأسحار خوفاً مني ، لأنزلت عذابي ، ثم لاأبالي**)(١٠٧) .

وعنه (ع) قال : (من أعطي أربعاً لم يحرم أربعاً ، من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابه ، ومن أعطي الأستغفار لم يحرم المغفرة ، ومـن أعطـي التوبـة لم يحـرم القبـول ، ومـن أعطـي الشكر لم يحرم الزيادة)(١٠٨) .

وعنه (ع) قال : (**أكثروا من الإسـتغفار ، إن ا لله لم يعلمكـم الإسـتغفار ، إلا وهـو يريد أن يغفر لكم**)(١٠٩) .

وعن طلحة بـن زيـد ، عـن أبـي عبـد ا لله (ع) قـال : (أن رسـول ا لله (ص) كـان لايقوم من مجلس وإن خف حتى يستغفر ا لله خمساً وعشرين مرة)(١١٠) .

وعن المصطفى (ص) قال : (**الاستغفار وقول لا إله إلا ا لله خير العبادة ، وقـال ا لله العزيز الجبار ﴿ فأعلم أنه لا إله إلا ا لله وأستغفر لذنبك ﴾**(١١١) .

وعن أبي عبد ا لله (ع) قال : (**إذا أكثر العبد من الإسـتغفار رفعـت صحيفتـه وهـي تتلألأ**)(١١٢) .

وعـن الرسـول (ص) قـال : (**إن للقـلوب صـداء كصـداء النحـاس فأجلوهـا بالإستغفار**)(١١٣) .

وعن أبي عبد الله (ع) قال : قال رسول الله (ص) : (من قال بعد العصر في كل يوم مرة واحده (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ، ذا الجلال والإكرام ، وأسأله أن يتوب علي توبة عبد ذليل خاضع فقير بائس مسكين مستجير لايملك لنفسه نفعاً ولاضراً ولاحياة ولاموتاً ولانشوراً) ، أمر الله الملكين بتخريق صحيفة السيئات كائنا ما كانت)(١١٤)

وعن أمير المؤمنين قال : (**العجب ممن يهلك ومعه النجاة ، قيل : وماهو ؟ قال : الإستغفار**) (**وكان يقول : ما ألهم الله عبداً الإستغفار وهو يريد أن يعذبه**)(١١٥) .

أســم ا لله الأعـظـم :

إن العلم والتقصي والبحث عن أسـم ا لله الأعظـم ، مـن أشـرف العلـوم وأجلهـا ، لأنـه جوهر مكنون على غير أهله ، مصون على غير مريديه . فهو في نفـائس الضمـائر مخـزون ، ضربت عليه سرادقات العزة ، وأسدل دونه حجـاب الهيبـه ، ومـد حولـه حمـى الملكـوت ، وضرب عليه مشكلات مسائل الدين ، التي لايحصل عليها إلا من أخلص قلبه لله .

ومن عرف أسمه العظيم ، وشّرفه وكرّمه فيما يتعلق بـه مـن الأوصـاف المنيعـة والنعـوت الشريفة ، وما يقترن به من أسرار مفيدة فقد وصل إلى غايته الكماليه والوجودية .

ولربما نسمع بين الفينة والأخـرى عـن البـاحثين عـن أسـم ا لله الأعظـم ، الذيـن يجربـون الأسماء ، إسماً تلو أسم للوصول إلى أعظمها ، غافلين عن المعني الحقيقي لروح الأسم الأعظم والذي يعني ، اللطف الذي يحيط بالإنسان ويعرج بروحه إلى السماء .

فما الأسم الأعظم إلا أداة تختصر لنا الزمن ، ووسيلة تخترق بنا سحب الغمام إلى حضرة الرب العلام ، وتوصلنا إلى قربه ورحمته .

فهو إذن آلة الوصال بين الخالق والمخلوق ، وسمي بـالأعظم ، لعظيـم سـرعته في الإجابـة لعظم المذكور ، فكلما كان الأسم عظيماً وذو دلالة رفيعة عظيمة الشأن ، كان الأسم أنفذ للإجابة .

المفاضلة في أسماء ا لله الحسنى :

عندما نتناول موضوع أسم ا لله الأعظم لا يعني ذلك تعظيم أسم على آخر ، فكل أسمائـه جليلة وعظيمه ، وكل أسم ، إلا وله كسائر الأسماء من الحكم والفضيلة ، بحيث يسـتجيب ا لله له إذا دعا به ﴿ **قل ادعوا ا لله أو ادعوا الرحمن أياً ماتدعوا فله الأسمـاء الحسـنى** ﴾ فليس شيء في كلام ا لله أفضل من شيء ، لأنه كلام واحد من رب واحد .

وللأنسان أن يدعو بما يشاء من أسمائه المباركة ، والتأكيد الوارد في الأحاديث القدسية والشريف على أسم ا لله الأعظم لايقلل قيمة وعظم باقي أسمائه .

إلا أن هناك أسماء هي أسرع في الإجابة ، وأقصر لطريق السالك ، ولإجابة مسئلة السائل ، وعلى ذلك تم تأكيده من قبل العلماء الأعلام والعارفين .

وهذا الأسم الأعظم موجود في القرآن الكريم لامحاله ، وما كان ا لله ليحرمه محمد (ص) وأمته ، وقد فضله على الأنبياء وفضل أمته على الأمم ، والدليل على ذلك ما جاء في القرآن في ذكر بلعم بن باعورا كما قال تعالى ﴿ **وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فأنسلخ منها ، فمثله كمثل الكلب** ﴾ ، ولهذا يؤكد العارفون على أسم ا لله الأعظم ، وأنه الأسم المخصوص لكل إنسان يدعو به ا لله تعالى فيكون أعظم الأسماء .

ومن ذلك أيضاً ماجاء ذكره في القرآن عن آصف بن برخيا ، وإتيانه بعرش بلقيس إلى نبي ا لله سليمان (ع) قبل أن يرتد إليه طرفه ، وبهذا قال رسول ا لله (ص) أسم ا لله الأعظم الذي دعا به آصف رحمه ا لله (ياحي ياقيوم) .

مما يؤكد وجود أسماء مخصوصه بالإجابة ، سريعة النفاذ ، ذو دلاله لدى البارى جل جلاله .

إن ما أشار اليه أهل العرفان والتحقيق والعلماء الربانيون في بحوثهم حول أسم ا لله الأعظم ، أن الاسم الأعظم في الأسماء الظاهرة هو ﴿ **ا لله** ﴾ . وكاد الإجماع ينعقد عليه لأنه يشير إلى إخراج الأشياء من العدم إلى الوجود . وكل سر من أسرار إسم ا لله جل ذكره في ملك وملكوت قائماً بسر من أسرار اسم ا لله جل جلاله ، وفي كل ذرة من ذرات العالم ومادونه سر من أسرار اسم ا لله ، وبذلك السر فهم عنه وشهد له بالتوحيد ، قال تعالى ﴿ **هل تعلم له سميا** ﴾(١١٩) ، وقال تعالى ﴿ **قل ا لله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** ﴾(١٢٠) .

وهذا الأسم الأعظم لاتخلو منه صفحة من صفحات القرآن الكريم ، لعظمته وقدسـيته ، فهو أصلها وعالمها ، وهو لايثني ولايجمع ، والأسماء كلها تثنى وتجمع ، وذلك دليـل علـى أنه سرت وأستنارت في لفظ هذا الاسم الأعظم سائر الأسماء ، فدل على أنه أعظمها ، قال تعالى ﴿ **و لله الأسماء الحسنى فأدعوه بها** ﴾ فأضاف كافة الأسمـاء إليـه ، ورتبهـا منطويـة في الذكر عليه . وتعتبر سائر الأسماء صفة لهذا الاسـم ، وهـو أسـم للـذات ومـا عـداه أسـم للصفات .

وأسم الذات من أسماء الصفات ، وهذا ظاهر بينّ لأن هذا الأسم الأعظم هو علم الإيمان إذ لايتم الإيمان إلا به لقوله (ص) : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولـوا (لا إلـه إلا ا لله) و لم يتخير سواه فدل على أنه أعظمها ، كما تم التأكيد عليه لكثره معانيه ودلالاتـه وعمـوم إحاطته .

﴿ بسم ا لله الرحمن الرحيم ﴾

اشتملت البسملة على رحمة ا لله الواسعة ، التي ما أن تمسك بهـا العبـد إلا وانفتحـت لـه مدارك الغيب ، حيث قال تعالى (ورحمتي سبقت غضبي) وكما جاء عـن الرسـول (ص) (إن لله مائة رحمة ، واحدة بين الجن والانس والبهـائم فيهـا يتعـاطفون ويـتراحمون ، وبهـا تعطف الوحوش على أولادها ..) .

والرحيم ظاهر الرحمن ، والرحمن ظاهر الألوهية ، والألوهية باطن الرحمـن ، لذلـك قـال ا لله تعالى ﴿ **قل أدعوا ا لله أو أدعوا الرحمـن ..** ﴾ فقـد أختـص الرحمـن عـن غـيره ، فـلا يسمى به غيره ، فقد يطلق أسم الرحيم على غيره (من بـني البشـر) لأن ا لله تعـالى أطلقـه في حق نبينا محمد (ص) في قوله ﴿ بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ .

وبسم ا لله الرحمن الرحيم تحتوي على أسرار البدايات والنهايات ، التي لايعلمهـا إلا ا لله سبحانه كما قال أمير المؤمنين في تفسير البسملة (.. لفسرتها في كتب يحملها سبعين بعيراً)

فالباء هي متعلقات القدرة بسر الجر ، إذ هي تجر الأسماء بإتصالها بأولها ، وهي أول مراتب القدرة ، وهي أصل قيام العلم الحسي ، وبها تعرف الأشياء ، فكأن القائل يقول : بلسان الحق (بي نطقت وبي علمت وبي سمعت وبي تمكنت لقبول أسمائي) ، وهي سر الولاية الحقة ، فبالولاية نطقنا وتعلمنا وتمكنا ، كما جاء في الزيارة الجامعة (بكم علمنا الله معالم ديننا وأصلح ما كان فسد من دنيانا ، وبكم تمت الكلمة وعظمت النعمة ..) أو كما قال الشاعر في أمير المؤمنين (ع) : (وأنت نقطة الباء مع توحدها بها الذي كل مافي الذكر قد جمعا) .

والسين أصل الأسماء الظاهرة لباطن القدرة ، والميم عبارة عن المكان الحاصل للأسماء والمسميات ، فالمكان ظاهر الأسماء ، والأسماء باطن المكان الذي هو عالم الملك والملكوت ، وهذا بحث يطول شرحه ..

فبسم الله الرحمن الرحيم أشرف القواعد وأتم العوالم وأعظم الأسماء ، وهي من أجل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى ، للزوم الرحمة لجميع الخلق ، حيث تستولي عليه أنوار الرحمة بكثرة الأوراد والرياضة الروحية .

بعض ما ذكر عن أسم ا لله الأعظم :

يؤكد علماء العرفان ، أن من عرف ا لله تعالى باسمه المؤثر فيه في حاله ومقامه ، فقد عرف الأسم الأعظم المخصوص به ، كما كان ﴿ **أرحم الراحمين** ﴾ لأيوب عليه السلام ، حيث قال : ﴿ **ربي إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين** ﴾ وكان ﴿**الوهاب**﴾ لسليمان عليه السلام حيث قال : ﴿ **رب هب لى ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب** ﴾ ، وكما كان ﴿ **خير الوارثين** ﴾ لزكريا عليه السلام حيث قال : ﴿ **رب لاتذرني فرداً وأنت خير الوارثين** ﴾ ، كما كان تسبيح يونس في بطن الحوت ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** ﴾ ، فوهب ا لله تعالى الصحة لأيوب ، ولسليمان الملك ، ولزكريا يحيى ، وليونس النجاة من السجن .

وقد كان العلماء قديماً إذا سئل عن الأسم المناسب ذكره ، أجلس السائل أمامه ، وتلا عليه أسماء ا لله الحسنى التسعة والتسعون ، وهو ينظر إلى وجهه عند الذكر ، فيتبين للعالم الأسم اللائق للسائل ، فيأمره بملازمته حتى يفتح عليه منه باب الرحمة .

كما قال بعض الأولياء إذا أرت أن تدعو بأسم ا لله الأعظم فأدع به في حال تعظيمك له وانقطاع قلبك إليه ، فما دعوت به في هذه الحالة أستجيب لك بأي أسم دعوت ، وفاء بقوله ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء** ﴾(١٢١) .

وهنا لامانع من الإشارة الى بعض الأحاديث التي وردت في أسم ا لله الأعظم :

فعن الرسول الأعظم (ص) انه سمع رجلاً يقول : (اللهم إني أشهد أنك أنت ا لله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد ، فقال : (لقد سألت ا لله تعالى بالأسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب) .

وعنه (ص) قال : (إن أسم ا لله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿ **والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** ﴾(١٢٢) و ﴿ **الم . ا لله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾(١٢٣) .

وسمع ذات يوم الرسول (ص) رجل وهو يصلي ويقول : (اللهم لك الحمد لا إله إلا أنت ياحنان يامنان يابديع السماوات والأرض ياذا الجلال والإكرام) ، فقال الرسول (ص) لنفر من أصحابه أتدرون بماذا دعى ، فقالوا : الله ورسوله أعلم قال : دعا ربه بأسمه الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى) .

وقال مجاهد : (اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى هو ﴿ **ياذا الجلال والإكرام** ﴾ .

وقيل أن أسم الله الأعظم في ثلاث آيات من القرآن ، آية الكرسي ، و ﴿ **الم . الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ و ﴿ **عنت الوجوه للحي القيوم** ﴾ .

وعن أمير المؤمنين (ع) قال : إن أسم الله الأعظم ﴿ **الم . كهيعص . حمعسق** ﴾ وماشابههم ، من أحسن كيف يصل الحروف المقطعة بعضها ببعض ، فقد علم أسم الله الأعظم) يريد الإمام بذلك الأحرف النورانية المقطعة التي جاء ذكرها في أوائل السور ، وهي أربعة عشر حرفاً (ص . ر . أ . ط . ع . ل .ي . ح . ق . ن . م . س . ك . ه)

وقال بعض الحكماء أن أسم الله الأعظم هو ﴿ **الأحد الصمد** ﴾ .

وعن أمير المؤمنين (ع) قال : إن أسم الله الأعظم هو ﴿ **ياظاهر** ﴾ .

وعن إبن عباس هو ﴿ **ياقيوم** ﴾

وقيل هو ﴿ **الوهاب** ﴾ لدعاء سليمان (ع) ، وقيل هو ﴿ **خير الوارثين** ﴾ لدعاء زكريا (ع) وقيل هو ﴿ **حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ وقيل هو ﴿ **القريب** ﴾ وقيل هو ﴿ **سميع الدعاء** ﴾ وقيل هو ﴿ **السميع العليم** ﴾ .

وعن أمير المؤمنين (ع) قال : (إذا أردت أن تدعو باسم الله الأعظم ، فأقرأ ست آيات من أول سورة الحديد ، وآخر سورة الحشر ، فإذا فرغت من قراءتها فقل (يامن هو كذلك إفعل لي كذا وكذا) فوالله لو دعى بها شقي لسعد) .

وقيل أنه ﴿ يا الله يارحمن ياقيوم يامنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم ، يامن لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، يارب ياجامع الناس ليوم لاريب فيه ، يامن لايخلف الميعاد ، يامن شهد لنفسه ، وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه ، أنه الله القائم بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، يا الله يامالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ، تولج الليل بالنهار وتولج النهار بالليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ .

في الأذكار المختلفة المروية عن الرسول (ص) والعترة الطاهرة (ع) والعلماء الأعلام ، والتي قيل أن بعضها يحوي على أسم الله الأعظم ، ذكرناها بدون سند للأستفادة والإختصار :

﴿ يابديع السماوات والأرض ياذا الجلال والإكرام ﴾

﴿ ألم ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾

﴿ وعنت الوجوة للحي القيوم ﴾

﴿ يا إلهنا وإله كل شيء ، إلهاً واحداً ، لا إله إلا أنت ﴾

﴿ اللهم أنت الله ، لا إله إلا أنت ياذا المعارج والقوى ، أسألك ببسم الله الرحمن الرحيم ، وبما أنزلته في ليلة القدر ، أن تجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً ، وأسألك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تغفر خطيئتي وتقبل توبتي يا أرحم الراحمين ﴾

﴿ اللهم إني أسألك بأن لك الحمد والملك ، لا إله إلا أنت يا حنان يامنان يابديع السماوات والأرض ياذا الجلال والإكرام ﴾ .

﴿ اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد ﴾ .

﴿ ياهو ياهو يامن لايعلم ماهو إلا هو ﴾

﴿ ياحي ياقيوم ياذا الجلال والإكرام ، يانهاية النهايات ، يانور الأنوار ياروح الأرواح ﴾ .

﴿ أعتصمت با لله ﴾

﴿ اللهم إني أسألك ياكهيعص وياحمعسق إغفر لي وأرحمني ﴾

﴿ وأفوض أمري الى ا لله ، إن ا لله بصير بالعباد ﴾ .

﴿ حسبنا ا لله ونعم الوكيل ﴾

﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾

﴿ ربي إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾

﴿ ربي إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴾

﴿ حسبي ا لله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾

﴿ ماشاء ا لله لاقوة إلا با لله ﴾

﴿ ا لله لطيف بعباده يرزق من يشاء ، وهو القوي العزيز ﴾

﴿ إن ا لله لطيف بعباده إنه هو الحكيم العليم ﴾

﴿ ياعدتي عند شدتي وياغوثي عند كربتي ويامؤنسي عند وحدتي ﴾

﴿ ياعماد من لا عماد له ، ويا ذخر من لاذخر له ، وياسند من لاسند له ، وياحرز من لاحرز له ، وياغياث من لاغياث له ، ويامحسن يامنعم يامفضل ، أنت الذي سجد لك سواد الليل ، ونور النهار وضوء القمر وحفيف الشجر ، يادليل المتحيرين ويا غياث المستغيثين ﴾

﴿ ياصريخ المستصرخين ، ياغوث المستغيثين ، يامفرج كرب المكروبين ، قد ترى مكاني ، وتعرف حالي ، ولا يخفى عليك شيء من أمري ﴾

﴿ بسم ا لله ماشاء ا لله لاقوة إلا با لله ماشاء ا لله ، كل نعمة من ا لله ماشاء ا لله ، الخير كله بيد ا لله عزوجل ، ماشاء ا لله لايصرف السوء إلا ا لله ﴾ .

﴿ اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الحي القيوم الطاهر الطهر نور السماوات والأرض ﴾ .

﴿ اللهم إني أسألك بأسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك ، الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت ، وإذا استرحمت به رحمت ، وإذا أستفرجت به فرجت ﴾ .

﴿ اللهم إني أسئلك بأسمك الله الله الله الله الله الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم يا الله يا الله يا الله يارحمن يارحمن يارحمن يانور يانور ياذا الطول ياذا الجلال والإكرام ﴾

﴿ آمنت بالله الأحد الصمد ﴾

﴿ يامتعالي يامهيمن ياحي ياقيوم يابديع السماوات والأرض ياذا الجلال والإكرام ، أسألك بحق إسمك الأعظم الأكبر الأجل الأكرم العدل النور وهو أسمك ﴾ .

﴿ لا إله إلا الله محمد رسول الله ، الله أكبر ، سبحان الله ، لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ﴾

وغيرها من الأذكار التي لايعلم منتهاها إلا الله ، ولكننا ذكرنا بعضها تيمناً بها وإطلاعاً للأخوة الأعزاء الذين أكدوا على ضرورة إحتواء هذا البحث على بعض الأذكار ذات الأثر الروحي للذاكر المتطلع لطريق الخير والنجاة .

* * *

هل الصلاة على النبي (محمد) وأهل بيته .. من الذكر

أجمعت الفرق الاسلامية على أن التلفظ بأسم الرسول الأعظم (ص) وأهل بيته ، والصلاة عليهم من الأذكار المخصوصة ، لما لهذا الأسم (وهذا البيت) من عظيم الشأن والمنزلة الرفيعة عند الله عز وجل . وجاء هذا التأكيد في العديد من الأحاديث التي تدعو الإنسان للتعلق بروافد هذا الرسول ،وشعابه المتدلية ، وغصونه المورقة . فذكر الوسيلة ، كذكر الأصل ، كما جاء في الحديث (إن ذكرنا من ذكر الله وذكر عدونا من ذكر الشيطان)(١٢٣) .

وأسم الرسول المصطفى (ص) هو الأسم المائة المكمل لأسماء الله الحسنى ، لإختصاصه به ومعناه الوسيلة التي هي درجة في الجنة ، لاينبغي لأحد من عباد الله نيلها ، لأنها لأكمل مخلوق ، وأزكى نفس وأطهر روح ، وهو روح نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم . لأنه بوابة الدخول إلى عالم الأسماء ، ومحق لحالة الغفلة والنسيان التي تحول دون الذكر ، كما جاء عن أبي جعفر محمد بن علي (ع) : أن الحسن (ع) أجاب السائل الذي سأله عن الذكر والنسيان ، فقال (**إن قلب الرجل في حق وعلى الحق طبق ، فإن صلى الرجل عند ذلك على محمد صلاة تامة إنكشف ذلك الطبق عن ذلك الحق فأضاء القلب وذكر الرجل ما كان نسي ، وإن هو لم يصل على محمد وآل محمد أو نقص من الصلاة عليهم إنطبق ذلك الطبق على ذلك الحق فأظلم القلب ونسي الرجل ما كان ذكره**)(١٢٤)

فاسم الرسول (ص) وأهل بيته ذكراً بذاته من ناحية ، ووسيلة للعروج من ناحية أخرى ، (فكل دعاء محجوب عن السماء حتى يصلى على محمد وآل محمد)(١٢٥) .

كما جاء عن أبي عبدالله : (من دعا و لم يذكر النبي (ص) رفرف الدعاء على رأسه ، فإذا ذكر النبي (ص) رفع الدعاء)(١٢٦) .

كما أن أسمه مشتق من اسم الذات العليه والقدرة الربانية ، كما جاء في حديث المعراج عن الرسول (ص) : (**قال الرب تبارك وتعالى ، أنا المحمود وأنت محمد ، شققت لك إسماً من اسمي ، من وصلك وصلته ومن قطعك بتكته ، أنزل الى خلقي فأعلمهم بكرامتي إياك**)(١٢٧) .

وفي حديث قدسي آخر : جاء إبليس إلى موسى وهو يناجي ربه ، فقال له ملك من الملائكة : ما ترجو منه وهو في هذه الحال يناجي ربه ، قال : أرجو منه مارجوت من أبيه آدم وهو في الجنة ، وكان فيما يناجي ا لله به موسى (ع) :

(ياموسى لا أقبل الصلاة إلا ممن تواضع لعظمتي ، وألزم قلبه خوفي ، وقطع نهاره بذكري ، ولم يبت مصراً على الخطيئة ، وعرف حق أوليائي وأحبائي ، فقال موسى : يارب تعني بأوليائك وأحبائك ، إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فقال تعالى : هم كذلك ياموسى ، إلا أني أردت من من أجله خلقت آدم وحواء ، والجنة والنار ، فقال موسى : يارب ومن هو قال :

محمد ، أحمد شققت اسمه من اسمي ، لأني أنا المحمود ، فقال موسى : يارب إجعلني من أمته ، فقال : ياموسى أنت من أمته ، إذا عرفت منزلته ومنزلة أهل بيته ، بأن مثله ومثل أهل بيته فيمن خلقت كمثل الفردوس في الجنان ، لا ييبس ورقها ، ولايتغير طعمها ، فمن عرفهم وعرف حقهم ، جعلت له عند الجهل حلماً ، وعند الظلمة نوراً ، أجيبه قبل أن يدعوني وأعطيه قبل أن يسألني)(١٢٨) .

وكما ورد عن النبي صلى ا لله عليه وآله أنه قال : (**لما خلق ا لله العرش ، خلق سبعين ألف ملك وقال لهم : طوفوا بعرشي النور ، وسبحوني وأحملوا عرشي ، فطافوا وسبحوا وأرادوا أن يحملوا العرش ، فما قدروا ، فقال لهم ا لله : طوفوا بعرشي النور وصلوا على نور جلالي ، محمد حبيبي ، وأحملوا عرشي ، فطافوا وحملوا ، وقالوا : ربنا أمرتنا بتسبيحك وتقديسك ، وأمرتنا أن نصلي على نور جلالك ، محمد ، فننقص من**

تسبيحك ، فقال لهم : ياملائكتي : إذا أنتم صليتم على حبيبي محمد فقد سبحتموني وقدستموني وهللتموني)(١٢٩) .

فالصلاة على النبي تزيدنا شرفاً ورفعة ، وتعظم أجرنا وثوابنا عند الله (وجعل صلواتنا عليكم وما خصنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا وطهارة لأنفسنا وتزكية لنا وكفارة لذنوبنا)

والصلاة على النبي سمة المؤمن وعلامه تقواه ، وبيان إخلاصه ، ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ .

ولو تحققنا من الأحاديث والروايات الدالة على عظيم ثواب الصلاة على النبي (ص) لطال بنا المقام ، إلا أننا نوجز بعض الأحاديث في فضله وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام .

فعن محمد بن مسلم ، عن الإمام المعصوم (ع) قال :(**ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وأل محمد ، وإن الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به فيخرج الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فترجح**)(١٣٠) .

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله (ع) قال : (إذا ذكر النبي (ص) فأكثروا الصلاة عليه فإنه من صلى على النبي (ص) صلاة واحدة ، صلى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة ، و لم يبق شيء مما خلقه الله إلا صلى على العبد بصلاة الله وصلاة ملائكته ، فمن لم يرغب في هذا ، فهو جاهل مغرور بريء الله منه ورسوله وأهل بيته)(١٣١) .

عن علي بن الحسن بن فضال ، عن أبيه ، قال الرضا (ع) : (**من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه ، فليكثر من الصلاة على محمد وآل محمد ، فإنها تهدم الذنوب هدماً**)(١٣٢)

وعنه (ع) قال : (**الصلاة على محمد وآله تعدل عند الله عزوجل التسبيح والتهليل والتكبير**)(١٣٣) .

عن عاصم بن حمزه ، عـن أمـير المؤمنـين (ع) قـال :(الصـلاة علـى النبـي وآلـه أمحـق للخطايا من الماء للنار ، والسلام على النبي وآله أفضل من عتق عشر رقاب)(١٣٤) .

عن عبدالعظيم الحسني قال : سمعت علي بن محمد العسكري (ع) يقـول : (إنمـا اتخـذ الله عز وجل إبراهيم خليلاً لكثرة صلاته على محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم)(١٣٥)

عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن آبائه (عليهم السلام) ، قـال رسـول الله (ص) : (**أنا عند الميزان يوم القيامة فمن ثقلت سيئاته على حسناته جيئـت بـالصلاة علي حتـى أثقل بها حسناته**)(١٣٦) .

وعن الرسول (ص) قال : (**من كان آخر كلامه الصـلاة عليّ وعلى علي دخـل الجنة**)(١٣٧) .

عن أبي عبد الله (ع) قال : (من صلى على محمد مائة مرة صلى الله عليـه وملائكتـه ألفاً ، أما تسمع قول الله عزوجل ﴿ **هو الـذي يصلـي عليكـم وملائكتـه ليخرجكـم مـن الظلمات إلى النور ، وكان بالمؤمنين رحيماً** ﴾(١٣٨) .

عن عبيدالله بن عبدالله الدهقان قال : دخلت على أبي الحسن الرضـا (ع) فقـال لي : ما معنى قوله : ﴿ وذكر اسم ربه فصلى ﴾ ؟ فقلت : كلما ذكر اسـم ربـه قـام فصلـى ، فقال لي : لقد كلف الله عز وجل هذا شططاً ، فقلت : جعلت فداك ، وكيف هو ؟ فقـال عليه السلام : **كلما ذكر اسم ربه صلى على محمد وآله**)(١٣٩) .

وفي وصية النبي (ص) لعلي (ع) فقال :(**ياعلي من نسي الصـلاة علـيّ فقـد أخطـأ طريق الجنة**)(١٤٠) .

عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسـول الله (ص) ذات يوم لأمير المؤمنين (ع) : (ألا أبشرك ! قال : بلى .. (إلى أن قال) أخبرني جبرائيل أن الرجل من أمتي إذا صلى عليّ وأتبع بالصلاة أهل بيتي ، فتحت له أبواب السـماء ، وصلـت عليه الملائكة سبعين صلاة .. ويقول الله تبارك وتعالى : لبيك وسعديك .. ياملائكتي أنتـم تصلون عليه سبعين صلاة ، وأنـا أصلـي عليـه سبعمائة صـلاة ، وإذا صلـى علـيّ و لم يتبع

بالصلاة أهل بيتي ، كان بينهما وبين السماوات سبعون حجاباً ، ويقول ا لله تبارك وتعالى : لا لبيك ولاسعديك ياملائكتي لاتصعدوا دعاءه ، إلا أن يلحق بالنبي عترته ، فلا يزال محجوباً حتى يلحق بي أهل بيتي)(١٤١) .

وغيرها من الأحاديث الكثيرة التي حفلت بها كتب الحديث والعقيدة .

في كيفية الصلاة على النبي وآله :

وإذا كانت للصلاة على النبي (ص) هذه الكرامة والمنزلة الرفيعة ، فلا بد إذن أن نعرف كيفيتها والطرق التي أخبرت عنها الأحاديث لنتخذها ورداً جامعاً حافظاً ، وعروجاً للروح سامياً ، لكل ما فيه سعادة النفس البشرية في الدارين .

وأولها هي الصلاة التي تجري على ألسنة المؤمنين (**اللهم صلي على محمد وآل محمد**) أو (**اللهم صلي علي محمد وعلى أهل بيته**) لقول الرسول (ص) : (**لاتصلوا علي صلاة مبتوره ، بل صلوا الى أهل بيتي ولاتقطعوهم ، فإن كل نسب وسبب يوم القيامة منقطع إلا نسبي**)(١٤٢).

وهناك طرق أخرى للصلاة ، فعن أبي حمزة عن أبيه قال : سألت أبا عبدا لله (ع) عن قوله ﴿ إن ا لله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ قال : الصلاة من ا لله عزوجل رحمة ، ومن الملائكة تزكية (بركة) ومن الناس دعاء ، أما قوله عزوجل ﴿ وسلموا تسليما ﴾ فإنه يعني التسليم له فيما ورد عنه قال : قلت له : فكيف نصلي على محمد وآله ، قال : تقولون : **صلوات ا لله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وآل محمد ، والسلام عليه وعليهم ورحمة ا لله وبركاته** ، قال : فقلت : فما ثواب من صلى على النبي (ص) بهذه الصلوات ، قال الخروج من الذنوب وا لله كهيئته يوم ولدته أمه)(١٤٣) .

ومن الصلوات ذات التأثير الروحي (**اللهم صلي على روح محمد في الأرواح ، اللهم صلي على جسده في الأجساد ، اللهم صلى على قبره في القبور**) .

كما روي عن كعب بن عجـزة قـال : قلـت : يارسـول ا لله قـد علمتنـا السـلام عليـك فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : (قولوا اللهم صلي على محمد وآل محمـد كـأفضل مـاصليت على إيراهيم وآل ابراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد كأفضل مـا بـاركت علـى إبراهيـم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد)(١٤٤) .

وكما جاء في كتب الأدعية والزيارات (اللهم صلي على محمـد وآل محمـد في الأولـين ، وصلى على محمد وآل محمد في الآخرين ، وصلى علـى محمـد وآل محمـد في المـلأ الأعلـى ، وصلى على محمد وآل محمد في المرسلين ، اللهم أعط محمد وآله الوسيلة والفضيلة والشـرف والرفعة والدرجة الكبيرة ، اللهم إني آمنت بمحمد صلى ا لله عليه وآله و لم أره ، فلا تحرمني في القيامة رؤيته وأرزقني صحبته ، وتوفني على ملته ، وأسقني من حوضه مشرباً روياً سائغاً لا أظمأ بعده إنك على كل شيء قدير ، اللهم إني آمنت بمحمد صلـى ا لله عليـه وآلـه و لم أره فعرفني في الجنان وجهه ، اللهم بلغ محمد صلى ا لله عليه وآله مني تحية كثيرة وسلاماً)

وقد حفلت كتب الأدعية بالعديد من أنواع الصلوات على النبي وآله .

الصلاة .. والنبي المختار

إن فضيلة الصلاة على النبي إنما جاءت بهذا المكيال الأوفى ، لعظـم هـذا النبي المختـار ، وعظم أهل بيته الأبرار ، فهم وسيلة العروج إلى عـالم الـروح ، وتحقيـق فلسـفة الوجـود ، فهم حجج ا لله على البرايا ، وبهم تمت الكلمة وعظمت النعمة .

ولسنا هنـا في بحـث شـخصية الرسـول البشـرية أو النورانيـة الروحيـة ، ففيضـه لايقـاس بالمفردات وعطاؤه لاتحويه السماوات ، ورحمته شملـت جميـع الكائنـات ، إلا أن أدل شـيء على عظيم هذا النبي (ص) هو إقتران اسمه بأعظم الأذكار القدسية ، وأعلاها عظمة ورفعة وهي كلمة التوحيد (لا إله إلا ا لله) .

هذه الكلمة التي يهتز لها عرش الرحمن وتصعق لهـا الملائكـة ، إرتبطـت بـأحب الخلـق ، وأبهى الأنوار وأزكى الأرواح ، بروح الرسول محمــد (ص) فـازدادت بهـا تألقـاً ، وشـع نوره في الملك والملكوت وفي عالم الوجود ، الذي ليس إلا جزء من بحر فيضـه عليـه أفضـل الصلاة والسلام .

فعن محمد بن عبدالحميد عن أبي عبـدا لله (ع) قـال : (**من ذكـر ا لله كتـب ا لله لـه عشر حسنات ، ومن ذكـر رسـول ا لله (ص) كتـب لـه عشـر حسـنات لأن ا لله قـرن رسوله بنفسه**)(١٤٥) .

فلا إله إلا ا لله ، تسـتلزم أن يكـون محمـد رسـول ا لله ، لأنـه الوسـيلة للخلـق ، النـاطق الصادق عن الحق ، فهو وأهل بيته الأدلاء على ا لله ، الذين بينـوا للنـاس طريـق ا لله ، كمـا قال أميرالمؤمنين :(**نحن الأعراف الذين لايعرف ا لله إلا بنا**) .

واقتران أسم الرسول (ص) بسيد الأذكار ، دليل المحبه ، والقـرب ، والتفـاني في ذات ا لله ، فالرسول (ص) كان أكثر الخلق ذكراً لله ، وأشدهم تعلقاً به ، فاختاراسمـه ليكـون مقرونا باســم ا لله ، وهكذا رفعه علـى ســائر أنبيـاءه ﴿ **ورفعنـا لـك ذكــرك** ﴾(١٤٦) ، و﴿ **ورفعناك مكاناً عليـاً** ﴾(١٤٧) . واقـتران أسمـه (ص) بشـهادة التوحيـد أشـارت إليـه الأحاديث الشريفه .

فعن أبي جعفر (ع) قال : (**من قال أشـهد أن لا إلـه إلا ا لله وحـده لاشـريك لـه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كتب ا لله له ألف حسنه**)(١٤٨) .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال : (من شهد أن لا إلـه إلا ا لله و لم يشـهد أن محمداً رسول ا لله (ص) كتب ا لله له عشر حسنات ، فإن شـهد أن محمـد رسـول ا لله كتب ا لله له ألف ألف حسنة)(١٤٩) .

وعن سهيل بن سعد الأنصاري ، عن الرسول (ص) : (**إن ا لله نادى يا أمه محمد مـن لقيـني منكـم يشـهد أن لا إلـه إلا أنـا ، وأن محــمداً عبـدي ورســولي أدخلتـه الجنــــة برحمــتي**)(١٥٠) .

كما روي الحاكم عن إبن عباس قال : (**أوحى ا لله تعالى إلى عيسى: آمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا ا لله محمد رسول ا لله فسكن**)(١٥١) .

وجاء في دلائل النبوة للبيهقي ، أن الرسول (ص) قال : (لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد وآل محمد صلى ا لله عليه وآله إلا ما غفرت لي ، فقال ا لله تعالى : (يا آدم وكيف عرفت محمداً و لم أخلقه ــ أي لم أخلق جسده ــ فقال : يا رب إنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيّ من روحك ، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا ا لله محمد رسول ا لله ، فعلمت أنك لم تضف إلى إسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال ا لله تعالى : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ ، وإذا سألتني بحقه قد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك)(١٥٢) .

وروي أبو النعيم في الحلية عن إبن عباس (**ما في الجنة شجرة عليها ورقة إلا مكتوباً عليها : لا إله إلا ا لله محمد رسول ا لله**)(١٥٣) .

هذا الحب المتبادل بين الخالق والرسول (ص) نرى له تجليات عديده في القرآن الكريم ، نذكر منه صورة واحدة ـ كشاهد ـ تيمناً بهذا الرسول العظيم .

ففي قضية تولي أمر الخلافة ، وتنصيب الخلفية أو الرسول على الخلق ، نجد ا لله عزوجل يقول في خلافة آدم (ع) : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** .. ﴾ وفي مرحلة خلافة الخليل إبراهيم (ع) يقول : ﴿ **قال : إني جاعلك للناس إماماً** ﴾ ، وفي بيان خلافة نبي ا لله داود (ع) يقول ا لله : ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض** ﴾ .. وهكذا بقية الأنبياء عليهم السلام ، إلا أن الحبيب المصطفي حاز أعلى وسام في تقليد الخلافة والرسالة ، حيث يقول ا لله :

﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون ا لله ، يد ا لله فوق أيديهم** ...﴾(١٠٤) فأي تكريم ، وأي رفعة ، وأي عظمة هي عظمة هذا النبي الذي يماثل ا لله (يده) وقدرته بيد حبيبه (ص) .

لذلك كانت إرادة الرسول (ص) من إرادة ا لله عز وجل ، لقوة الوصالة ، والتفاني في الذات العليه ، كما جاء في الحديث الشريف : (**إن لله رجال إذا أرادوا أراد ا لله**) ، أو كما جاء في الحديث القدسي : (**إن لله عباداً أطاعوه فيما أراد ، فأطاعهم فيما أرادوا ، يقولون للشيء كن فيكون**) ، وكان الرسول (ص) سيد هؤلاء الرجال من ولد آدم إلى يوم القيامة .

كما جاء في وصية الخالق تبارك وتعالى لعيسى (ع) عندما سأله عن الرسول : (هو محمد رسول ا لله إلى الناس كافة ، أقربهم مني منزلة وأوجبهم عندي شفاعة ، طوبى له من نبي ، وطوبى لأمته إن هم لقوني على سبيله . يحمده أهل الأرض ، ويستغفر له أهل السماء ، أمين ميمون طيب مطيب خير الباقين عندي . دينه الحنيفيه ، وقبلته مكيه ، وهو من حزبي وأنا معه ، فطوبى له ثم طوبى له .

يسمي عند الطعام ، ويفشي السلام ، ويصلي والناس نيام ، له كل يوم خمس صلوات متواليات ، ينادي إلى الصلاة نداء الجيش بالشعار ويفتح بالتكبير ويختم بالتسليم ، ويصف قدميه في الصلاة كما تصف الملائكة أقدامها ، ويخشع لي قلبه ورأسه . النور في صدره ، والحق على لسانه ، وهو على الحق حيثما كان ، تنام عيناه ولا ينام قلبه ، له الشفاعة وعلى أمته تقوم الساعة ، **ويدي فوق أيديهم إذا بايعوه** ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه وفيت له الجنة)(١٥٥) .

فلا يستغرب المؤمن من عظيم ثواب ذكر الرسول (ص) والصلاة عليه ، فانظر إلى المذكور ولا تنظر إلى أحرف الذكر وبساطة قولها ، فأنت تذكر أسم نبي من أجله قامت السماوات السبع والأرضين ، وأستقرت الجبال وتفجرت الأنهار ، وقام الخلق ، وبثت الأرواح وأنفتق الليل من النهار .. ألا يكون جفاءاً منا ونحن من أمته أن نتهاون بذكره وننسى فضله ، ونتغاضى عن عطائه الروحي ، ونقطع حبائل الحب والود مع هذا الرسول العظيم ، الذي جاء رحمة للعالمين ، وجنة للعابدين ، ومحجة للسالكين .

وليت شعري .. لو يدرك الناس معنى الصلاة وأثرها الروحي في حياتهم ، وبعد مماتهم ، ففي حياتهم ، إنفراج وسمو ورفعة وكرامة ووصالة وحب وعشق ، وبعد مماتهم رحمة وغفران وملاقات وجنة نعيم .

فلماذا إذن يغفل الناس في مجالسهم ، وفي أعملهم ، وفي خلواتهم ، وعند أنسهم ، وفي أيام فرحهم ، وأوقات حزنهم .. ما يمنعهم من ذكر الرسول والصلاة عليه .

الخـــاتمـــة :

كنت معي عزيزي القاريء في رحلة شيقة بين دفتي هذا الكتاب ، إنطلقنا بك من رحاب القرآن والسـيرة المطهـرة ، وعرجنـا بـك إلى عـوالم الغيـب ، ومـاوراء الحجـاب . وانتقلنـا بروحك مـن مسـتقرها البدنـي .. إلى منزلهـا السـرمدي القدسـي . لأطلعـك علـى حقيقـة وجودها ، وسعادتها ، ومبدءها ، ومنتهاها ، وكيفية عروجها بمنهج الذكر .

هذه الرحلة التي هدفنا منها ، سبر أغوار هذا المفهوم الإسلامي الـذي أكـدت عليـه جميـع رسالات السماء . وأن أسبح في هذا البحر اللجي ، لكشف بعض أسراره ، وحـل طلاسمـه الغامضة ، والوقوف على آثاره الروحية ، التي لازالت إلى يومنا هذا موضع جهل وتشكيك عامة الناس . وأن أؤكد بالحقائق الروحية ، والأحاديث القدسية ، عظمـة مفهـوم الذكـر ، ورفعة شأن الذاكرين عند ا لله عز وجل .

أحببت في هذا العمل المتواضع ، الذي أرجو فيـه رحمـة ربـي ، تنبيـه الغـافلين ، وتوجيـه المشككين ، وتبصرة النازحين ، عن البعد الغيبي للإنسان ، وتأكيد علاقـة الوصـال والحـب والأنس بالخالق . بعد أن طغى إخطبوط المادة ، ومد أياديه الخبيثة ، ليمس فكـر المؤمنـين ، ويغزو نفوسهم الضعيفة ، ويخترق وجدانهم المتذبذب .

وفي الختام .. أسألك عزيزي القاريء ، لتجيب على نفسك بنفسك !!

لماذا لايسعى الإنسان ليكون ذاكراً على الحقيقة ؟ ولمـاذا هـذا الجفـاء ، وهـذه القسـوة ، وهذه اللامبالاة تجاه نداءات الخـالق لنا ، بالتقرب إليه ، وطاعته ..وذكـره ، كمـا يقـول (**عبدي أنا لك محب ، فبحقي عليك كن لى محباً ..**) ؟

ولماذا لا ينفض الواحد منا عن نفسه تثاقله إلى الأرض .. ويلملم مـا بعثرتـه الأيـام ، مـن ضياع ولهو وزينة وتفاخر وإنشغال وغيرها من متعلقات الدنيا ؟

ولماذا لاتتحول نفوسنا الأمارة بالسوء .. إلى نفوس مطمئنة طاهرة مطهرة ، يتولى الباري بنفسه العلية قبضها ، ويأمر الملائكة باستقبالها ، ولايكون بينها وبين خالقها ترجمان .. ؟

وإذا كنا من خلال بحثنا حول موضوع الذكر ركزنا على عدة حقائق منها ، أن الذكر :

ـ يضمن لنا السعادة الحقيقية ، والحياة الفضلى ...

(اذكروا الله ذكراً خالصاً تحيوا به أفضل الحياة وتسكوا به طرق النجاة) .

ـ وأنه حياة القلوب وسبب رقتها ولطافتها ...

(بذكر الله تحيي القلوب ، وبنسيانها موتها) .

ـ وأنه نور العقول ، وإثارة للألباب ...

(من ذكر الله سبحانه أحيا قلبه ونور لبه) .

ـ أنه قوت الأرواح وزادها وماؤها ، وسبيلها للعروج ...

(مداومة الذكر قوت الأرواح ومفتاح الصلاح) .

ـ أنه نور البصائر ، التي تنظر بنور الله تبارك وتعالى ...

(من ذكر الله استبصر) .

ـ أنه مفتاح الأنس واللذة الروحية مع الخالق ...

(الذكر مفتاح الأنس) .

ـ أنه دعامة الإيمان ، وعصمة من الشيطان ...

(ذكر الله دعامة الإيمان ، وعصمة من الشيطان) .

ـ أنه براءة من النفاق وعصمة للإنسان ...

(من أكثر ذكر الله فقد بريء من النفاق) .

ـ أنه وسيلة وأداة الحب بين الخالق والمخلوق ...

(من أكثر ذكر الله أحبه) .

وغيرها من الآثار التي أشرنا إليها في الكتاب ..

بعد كل هذه الحقائق ، والتأكيد عليها من رب العزة - الذي لايخلف الميعاد - نتساءل ، لماذا يتهاون الإنسان عن ذكر ربه آناء الليل وأطراف النهار ..؟

أترك لك عزيزي القاريء حرية الإجابة على هذه التساؤلات التي تفتح الباب على مصراعية لإثارة الفكر والقلب والروح والضمير والعقل ، لأنها تحدد بالتالي عمق العلاقة بينك وبين خالقك .. وتوصلك إلى بر الأمان ، وتعرفك بمفهوم (السعادة الحقيقية) .

فالسعادة .. كل السعادة لمن عرف الحق واتبعه .. وعرف الباطل وإجتنبه .. وتوصل إلى حقيقة الخلق والوجود (العبادة) فأعتنقها .. وترك ما سواها ورفضه .

فا لله لايريد منا سوى الوصول إلى القرب والمجالسه والوجد ، التي تسمو بالنفس إلى كمالها ، وكشف أسرارها ، فيعرف نفسه ، ويعرف ربه ، ومن عرف ربه فقد أقر بالعبودية الحقة ، التي تعلو قداستها على الرسالة (أشهد أن محمد **عبده** ورسوله) .

وإذا كان الذكر هو وسيلتنا للوصول إلى هذه الأبعاد الإيمانية ، والنفحات الرحمانية ، فحري بنا أن نسلك طريقه ، ونتبع إشاراته ، وننتهج سبيله .

وفي الختام .. أسأل ا لله العلي القدير أن يكتبني وإياكم من الذاكرين ، ويحشرنا مع أهل الذكر ، الذين أذهب ا لله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، صلوات ا لله عليهم أجمعين .

إنه سميع مجيب

الهوامش

هوامش المقدمة :

(١) الأنبياء ١٦ (٢) يس ٣٨ (٣) الرعد ١٣ (٤) الأعراف ٥٤ (٥) النحل ٨٨ (٦) الكافي /الكليني ج٢ (٧) فاطر ٣ (٨) الاسراء ١٨٣ (٩) الفرقان ٤٤ (١٠) هود ١٦ (١١) طه ٤١ (١٢) مريم ٥٩ (١٣) السجدة ٢ (١٤) النحل ١١٨ (١٥) طه ٢٤ (١٦) العنكبوت ٤٥ (١٧) الأحزاب ٣٥ (١٨) الزمر ٢٣ (١٩) الكهف ١٠٤ (٢٠) الكافي / الكليني عن جعفر بن محمد (ع) .. (٢١) النساء ٣٢ (٢٢) عدة الداعي / أحمد بن فهد الحلي (٢٣) (٢٤) بحار الأنوار / المجلسي (٢٥) مناجاة الذاكرين (٢٦) الفرقان ٤٤ (٢٧) الجمعة ٥ (٢٨) الأعراف ١٧٦ (٢٩)(٣٠) الاسراء ٧٠ (٣١) الاسراء ٨٥ (٣٢) الكافي / الكليني ج٢ .

هوامش الفصل الأول :

* كنز العمال ١٨٧١ عن الرسول (ص) (١) الأنبياء ٢٤(٢) عدة الداعي / الحلي وكلمة الله الشيرازي٦٠٠ (٣) مسكن الفؤاد / الشهيد الثاني في أخبار داود (٤) الدرر والغرر السيد المرتضى علم الهدى (٥) غرر الحكم عن أمير المؤمنين (ع) (٦) غرر الحكم (١/٦) غرر الحكم (٧) جامع السعادات / النراقي ١٥١ (٨) كلمة الله / الشيرازي (٩) طه ٨٤ (١٠) مناجاة الذاكرين (١١) جامع السعادات / النراقي ١٥٤ عن الصادق (ع) (١٢) جامع السعادات ١٥٥ (١٣) كلمة الله / السورة ٣٠ (١/١٣) الرعد ٢٨ (١٤) المائدة ٩١ (١٥) النور ٣٧ (١٦) النساء ٣٧ (١٧) مريم ٣١ (١٨) طه١٤ (١٩) النساء ١٤٢ (٢٠) بحار الأنوار ج٩٣ ص ١٥٢ (٢١) المعارج ٢٣ (٢٢) كنز العمال خ١٩٢٧ (٢٣) الرعد ٢٨ (٢٤) العنكبوت ٤٥ (٢٥) الذاريات ٥٦ (٢٦) بحار الأنوار ج٩٣ ص ١٥٧ (٢٧) البقرة ١٥٢ (٢٨) أصول الكافي / الكليني ج٢ ص ٥٠١ (٢٩) الفرقان ٧٧ (٣٠) الترمذي ج٢ ص ٢٦٦ (٣١) الكافي ج٢ ص ٤٦٩ (٣٢) الآداب والسنن ج٢ / الشيرازي (٣٣) المحجة البيضاء / الكاشاني ج٢ (٣٤) الكافي ج٢ ص ٤٦٧ (٣٥) بحار الأنوار (٣٦) الكافي ج٢ ص ٤٦٨ (٣٧) الكافي ج٢ ص ٤٦٨ عن ابن فضال عن الرضا (ع) (٣٨) بحار الأنوار (٣٩) الكافي ج٢ ص ٥٢٤ (٤٠) الكافي / الكليني ج٢ ص٥٢٤ (٤١) الكافي ص ٥٢٥ (٤٢) الكافي ص ٥٢٥ (٤٣) الكافي ج٢ ص ٥٢٤ (٤٤) كلمة الله / الشيرازي (٤٥) المؤمن ٤٠ (٤٦)من أدعية المعصومين (١/٤٦) الجمعة ١٠(٤٧) طه ١١٣ (٤٨) آل عمران ٥٨ (٤٩) ق ٤٥ (٥٠) الأنعام ١٢٦ (٥١) ص ١ (٥٢) الزمر ٢٣ (٥٣) الزمر ٢٣ .

هوامش الفصل الثاني :

(١) مسكن الفؤاد/ العاملي (٢) الأحزاب ٤١ (٣) البقرة ١٥٢ (٤)الأعراف ٦٩ (٥) المنافقون ٩ (٦) البقرة ١٩٨ (٧) البقرة ٢٠٠ (٨) آل عمران ١٩١ (٩) النساء ١٠٣ (١٠) الأعراف ٢٠٤ (١١) العنكبوت ٤٥ (١٢) الأنفال ٢ (١٣) الرعد ٢٨ (١٤) المحجة البيضاء/ الكاشاني ٢٦٦ (١٥) بحار الأنوار ج٧٧ ص ٨٤ (١٦) المحجة ٢٦٧ (١٧) المحجة ١٩٩ (١٨) المحجة / الكاشاني ٢٦٧ (١٩) المحجة ٢٦٧ (٢٠) صحيح مسلم ج٨ ص ٦٧ (٢١) الكافي / الكليني ج٢ (٢٢) المحجة الكاشاني ٢٦٨ (٢٣) الكافي ٥٠٢ (٢٤) صحيح مسلم ج٢ ص ٥٠٠ (٢٥) بحار الأنوار ج٩٣ ص ١٦١ وعدة الداعي (٢٦) بحار الأنوار ج٩٣ ص ١٦٢ (٢٧) الكافي ج٢ ص ٤٩٨ (٢٨)(٢٩)(٣٠)(٣١) الكافي / الكليني ص ٤٩٧ (٣٢) كلمة الله ١٤٩ (٣٣) الكافي ٤٩٦ (٣٤) بحار الأنوار ج٩٣ باب الذكر (٣٥) بحار الأنوار ج٩٣ (٣٦) بحار الانوارج٩٣ (٣٧) بحار الأنوار ج١٠٣ ص ١٠٢ (٣٨) الكافي عن الباقر (ع) (٤٠) عدة الداعي

أحمد الحلي (٤١) كلمة الله / الشيرازي ١٥٢ (٤٢) بحار الأنوار ج٧٧ ص٢٠٩ (٤٣) كلمة الله ٤٧٩ (٤٤) كلمة الله ٤٧٧ (٤٥) كلمة الله ٤٧٨ (٤٦) كلمة الله ٤٦٧ (٤٨) ارشاد القلوب / الديلمي (٥٠) مسكن الفؤاد/ العاملي في أخبار داود (٥١) كلمة الله ٤٠٦ (٥٢) ارشاد القلوب / الديلمي عن الصادق (٥٣) الأمالي / الصدوق عن زين العابدين (٥٤) الأمالي للصدوق والكافي للكليني (٥٥) الأمالي للصدوق (٥٦) الأمالي للصدوق (٥٧) الكافي / الكليني وكلمة الله للشيرازي (٥٨) كلمة الله ٣٦٨ (٥٩) كلمة الله ٣٧١ (٦٠) صحيح مسلم ج٨ ص ٧٢ (٦١) المحجة البيضاء ج٢ ص ٢٧٠ (٦٢) وسائل الشيعة ج٢ ١١٨٠ (٦٣) المحجة / الكاشاني ج٢ ٢٧٠ (٦٥) صحيح البخاري ج٨ ص ١٠٨ (٦٦) الكافي ج٢ ص ٤٩٦ (٦٧) الكافي ج٢ ص٤٩٧ (٦٨) كلمة الله ١٨١ (٦٩) مناجاة العارفين (٧٠) كنز العمال دعاء علمه أمير المؤمنين للحارث (٧١) مناجاة الذاكرين (٧٢)(٧٣)(٧٤)(٧٥) دعاء كميل (٧٦) من أدعية أمير المؤمنين (٧٧) دعاء الافتتاح (٧٨)المناجاة الشعبانية للأمير (٧٩) بحار الأنوار ج٩٤ ص ٩٨ (٨٠) من أدعية شهر رمضان (٨١) الصحيفة السجادية ١١ (٨٢) بحار الأنوار ج٩٤ ص ٩٨ .

هوامش الفصل الثالث :

* ارشاد القلوب / الحسن الديلمي (١) الأنبياء ٢٤ (٢) الأعراف ١٧٢ (٣) الأحزاب ٢٣ (٤) الكهف ٦٣ (٥) يوسف ٤٢ (٦) الأعراف ٢٧ (٧) طه ٢٠ (٨) طه ٣٣ (٩) طه ١٤ (١٠)الأنبياء ١٠٥ (١١) بحار الأنوار ج١٧ نقلا عن قصص الأنبياء (١٢) كلمة الله / الشيرازي ص٤٠٦ (١٣) الأمالي / الصدوق عن الصادق (ع) (١٤) الزخرف ١٥ (١٥) النحل ٤٤ (١٦) الكافي للكليني ج٢عن الباقر (ع) (١٧) المحاسن / أحمد البرقي عن الصادق (ع) (١٨) المجالس / محمد بن علي الصدوق عن الرضا (ع) (١٩) النساء ٤٣ (٢٠) الحج ٤١ (٢١) النساء ٩٥ (٢٢) الذاريات ٥٦ (٢٣) كلمة الله / السورة الثلاثون ص٤٧٩ (٢٤) كلمة الله ص٤٧٧ (٢٥) الاسراء ٣٦ (٢٦) فاطر ١٠ (٢٧) الكافي للكليني ج٢ عن الصادق (٢٨) الحج ٣٧ (٢٩) الكهف ١٠٣ (٣٠) الفرقان ٢٣ (٣١) ابراهيم ٢٧ (٣٢)(٣٣)(٣٤) الآداب والسنن ٥١٠ (٣٥) كلمة الله ص ٤٨٤ (٣٦) بحار الأنوار ج٧٧ص٢٩٠ (٣٧) كنز العمال خ٤٤٠٦٠ (٣٨) كنز العمال خ١٩٢٧ (٣٩) الآداب والسنن للشيرازي ج٢ (٤٠) نفس المصدر (٤١) غرر الحكم عن أمير المؤمنين (ع) (٤٢) الآداب ج٢ ص ١٢٦ (٤٣) بحار الأنوار ج٩٣ ص١٥٧ (٤٤) كنز العمال خ٤٤١٥٤ (٤٥) بحار الأنوار ج٩٣ ص١٦٤ (٤٦) طه ١٤ (٤٧)البقرة ١٥٨ (٤٨) الأحزاب ٣٥ (٤٩) كلمة الله للشيرازي (٥٠) الآداب ص ١٣٨ (٥١) الحجر ٩٩ (٥٢) الأنعام ١٢١ (٥٣) الأنعام ١١٩ (٥٤) الصافات ١٤٢ (٥٥) الأنبياء ٨٧ (٥٦) الأنبياء ٨٨ (٥٧) الصافات ١٤٤(٥٨) الأنبياء ٨٣ (٥٩) الأنبياء ٨٤ (٦٠) الأنبياء ٨٩ (٦١) الأنبياء ٩٠ (٦٢) الأنبياء ٨٢/٨١ (٦٣) ص ٣٥ (٦٤) ص ٣٦ (٦٥) عدة الداعي أحمد بن فهد الحلي (٦٦) يوسف ١٩ (٦٧) ص ٤٩ (٦٨) الأعراف ٤٣ (٦٩) غرر الحكم (٧٠) بحار الأنوار ج٩٣ ص١٥٨ (٧١) الزمر ٢٢ (٧٢) المنافقون ٩ (٧٣) النور ٣٧ (٧٤)(٧٥) الكهف ٤٦ (١/٧٥) مسكن الفؤاد / الشهيد الثاني (٢/٧٥) الحج ٢٩ (٣/٧٥)الكافي للكليني (٤/٧٥) ثواب الأعمال للصدوق عن السجاد (ع) (٧٦) أصول الكافي للكليني عن الصادق (ع) (٧٨) كنز العمال خ ١٧٨٧ (٧٩) الفرقان ٢٨ (٨٠) كنز العمال خ ١٧٨٧ (٨١) نفس المصدر خ١٧٨٤ (٨٢) الأعراف ١٦ (٨٣) محمد ٢٥ (٨٤) الأنعام ١١٢ (٨٥) تنبيه الخواطر ص٤٠٤ (٨٦) الأعراف ٢٠١ (٨٧) غرر الحكم عن الأمير (٨٨) يوسف ١٠٠ (٨٩) المائدة ٩١(٩٠) بحار الأنوار ج٧٣ ص١٥٧ (٩١) الفرقان ١٨ (٩٢) غرر الحكم (٣٩) مصباح الشريعة عن الصادق (ع) (٩٤) الآداب والسنن ج٣ ص٢٧ (٩٥) المحاسن ص٥ (٩٦) وسائل الشيعة ج٥ ص٥٣٩ (٩٧) بحار الأنوار للمجلسي (٩٨) النور ٣٧ (٩٩) المائدة ١١٩ (١٠٠) ابراهيم ٢٧ (١٠١) آل عمران ١٤٤ (١٠٢) الحشر ١٩ (١٠٣) الكافي للكليني عن الصادق (١٠٤) طه١٢٤ (١/١٠٤) الجن ١٧ (١٠٥) الزخرف ٣٦ (١٠٦)(١٠٧) غرر الحكم (١٠٨) الأنعام ١٥٣ (١٠٩) الجن ١٦ (١١٠) سبأ ١٣ (١١١) التوبة ١٢٨ (١١٢) البقرة ١٢٤ (١١٣) المائدة ٣ (١١٤) الكهف ٦٦ (١/١١٤) الكافي للكليني عن أحد الصادقين (١١٥) كلمة الله للشيرازي ٢٦٢ (١١٦) أصول الكافي للكليني عن الصادق (ع) (١١٧) آل عمران ٦١ (١/١١٧) الأمالي / محمد بن علي الصدوق عن ابن عباس (١١٨) الزيارة الجامعة (١١٩) الأسراء ٨١ (١٢٠) القصص ٥ (١٢١)(١٢٢) الآداب والسنن /باب الذكر للشيرازي (١٢٣) مناجاة الذاكرين لزين العابدين

(١٢٤) النحل ٤٣ (١٢٥) تفسير نور الثقلين (١٢٦) بحار الأنوار ج٩٣ ص١٦١ (١٢٧) روضة الكافي ص٣،٤ (١٢٨) الزيارة الجامعة

(١٢٩) النور ٣٦ (١٣٠) تفسير الدر المنثور (١٣١) تفسير نور الثقلين (١٣٢) تفسير نور الثقلين (١٣٣) بحار الأنوار ج٤٢ ص٢٠٣ .

هوامش الفصل الرابع :

(١) الجمعة ٩ (٢) البقرة ١١٤ (٣) الحج ٣٤ (٤) الأمالي / الصدوق عن سليمان بن داوود المنقري عن الصادق (ع) (٥) كتاب التحصين وصفات العارفين / أحمد بن فهد الحلي (٦) الصافات ٣٥ (٧) الزخرف ٣٦ (٨) بحار الأنوار ج٧٧ص١٠٧ (٩) الاحزاب ٤١ (١٠) معاني الأخبار عن جراح المدايني (١١) بحار الأنوار ج٩٣ ص١٦١ وعدة الداعي عن الرسول (ص) (١٢) أماني الصدوق عن الرسول (ص) (١٣) كنز العمال خ٤٤١٥٤ (١٤) جامع السعادات للنراقي (١٥) المحجة البيضاء / الفيض الكاشاني (١٦) بحار الأنوار ج٩٣ ص١٥٨ (١٧) ابراهيم ٧ (١٨) الرحمن ٦٠ (١٩) يوسف ٥٤ (٢٠) الطلاق ٣ (٢١) الطلاق٣ (٢٢) الحجر ٤٩ (٢٣) فاطر ٤٣ (٢٤) كلمة الله ص ١٤٩ للشيرازي (٢٥) حديث وجدته في كتاب لا أذكر مصدره (٢٦)(٢٧)(٢٨)(٢٩) غرر الحكم عن الأمير عليه السلام (١/٢٩) كلمة الله ص٥٩ (٢/٢٩) الدرر والغرر / المرتضى علم الهدى عن الرسول (ص) (٣٠)(٣١)(٣٢) غرر الحكم (٣٣) خطبة ٢٢٣ في النهج (٣٤)بحار الأنوار ج٩٣ ص١٦٠ عن زين العابدين (٣٥) الأمالي / محمد بن علي الصدوق عن الصادق (ع) (٣٦) ارشاد القلوب للديلمي / وبحار الأنوار للمجلسي (٣٧) كلمة الله للشيرازي (١/٣٧) النور ٣٥ (٣٨) التوبة ٣٢ (٣٩) الى (٤٦) غرر الحكم (٤٧) بحار الأنوار ج٩٢ ص١٩٨ عن الرسول (ص) (٤٨) كلمة الله ص٣٧٩ (٤٩) المصدر ص٣٧٨ (٥٠) البقرة ٢،١ (٥١)غرر الحكم (٥٢) المصدر (٥٣) دار السلام ج٣ النوري (٥٤) بحار الأنوار ج٧٧ ص١٩٩ (٥٥)غرر الحكم (٥٦) المصدر (٥٧) الكافي للكليني عن الباقر (ع) (٥٨) المصدر عن الصادق (٥٩) بحار الأنوار ج٧٧ ص٣٦٩ عن الأمير (ع) (٦٠) المصدر ج٩٣ ص١٥٦ (٦١) المصدر ج٩٣ ص١٥٧ (٦٢) المصدر ج٩٣ ص ١٦٢ عن الرسول (ص) (٦٣) العنكبوت ٢ (٦٤) بحار الانوار ج٨١ ص٢٤٠ / المجلسي (٦٥) عدة الداعي / أحمد بن فهد الحلي (٦٦) بحار الأنوار ج٧٨ ص ٣٩ (٦٧) المصدر ج٩٣ ص ١٦٢ (٦٨) كنز العمال خ ١٨٧٢ (١/٦٨) الى (٦/٦٨) غرر الحكم (٦٩) الى (٧٦) غرر الحكم (٧٧) بحار الأنوار ج٧٧ ص٢٩٠ عن الأمير (٧٨)(٧٩) غرر الحكم (٨٠) محمد ١٩ (٨١) فاطر ٢٨ (٨٢) البقرة ٢٦٩ (٨٣) النحل (٨٤) آل عمران ١٩٠ (٨٥) البقرة ٢٦٩ (٨٦) آل عمران ٧ (٨٧) الزمر ٢١ (٨٨) ق٢٢ (٨٩)(٩٠) غرر الحكم (٩١) الزمر ٩ (٩٢)(٩٣)(٩٤) كلمة الله / وصية الله لنبية محمد (ص) في ميراث الصمت والجوع والعزلة .

هوامش الفصل الخامس :

(١) الأحزاب ٣٢ (٢) السيد بن طاووس في سعد السعود (١/٢) التوحيد /الصدوق عن النبي (ص) (٣) كلمة الله السور الثالثة والثلاثون ص٤٧٠ (٤) الأعراف ٢٠١ (٥) عدة الداعي /أحمد بن فهد الحلي عن كعب الأحبار (٦) مسكن الفؤاد / الشهيد الثاني ،كما جاء في أخبار داود (٧) السورة الثالثة والثلاثون كلمة الله للشيرازي (٨) النساء ١٢٦(٩) الأنبياء٢٧(١٠) عدة الداعي / أحمد فهد الحلي (١١) السجدة ٢٧ (١٢) البقرة ٧٤(١٣) الحشر١٩ (١٤) الحشر ١٩(١٦) الاحزاب ٤١ (١٧) طه ٣٤ (١٨) غرر الحكم للأمير (١٩) غرر الحكم للأمير (٢٠) نفس المصدر (٢١) كنز العمال عن الرسول (٢٢) بحار الأنوار ج٩٤ ص٩٨ (٢٣)آل عمران١٩١ (٢٤) النساء١٠٣ (٢٥) بحار الأنوار ج٨٠ ص١٧٦ عن الرسول (٢٦) بحار الأنوار ج٧٨ ص٢٠٠ (٢٧) بحار الأنوار ج٤٢ ص ٢٠٣ (٢٨) الخصال / محمد علي الصدوق ج١ ص٧ (٢٩) ارشاد القلوب / الديلمي (٣٠) بحار الأنوار ج٩٣ ص١٦٢ عن عدة الداعي (٣١) يوسف ٥٥ (٣٢) التوبة ٢٤ (٣٣) من توراة موسى (ع) / كلمة الله ص٤٥٢ (٣٤) المحاسن أحمد البرقي ،عن جعفر بن محمد (ع) (٣٥) كلمة الله ص ٤٧٧ (٣٦) الكافي للكليني عن محمد البرقي عن الباقر (ع) عن الرسول (ص) (٣٧) كلمة الله للشيرازي ص٤٧٨ (٣٨) النحل ١٠٠ (٣٩) عدة الداعي / محمد الحلي (٤٠) نفس المصدر (٤١) الكافي للكليني عن حفص بن غياث (٤٢) الذاريات ١٨ (٤٣) الكافي ج٢ ص٤٩٨ عن الصادق (٤٤) نفس المصدر ص٤٩٧ رقم ٦،٧،٨ (٤٥) بحار الأنوار ج٩٣ ص١٦٥ (٤٦) الأحزاب

٤١ (٤٧) بحار الأنوار ج٩٤ ص٩٨ (٤٨) المصابيح للبغوي ج١ ص١٤٨ (١/٤٨) المحجة البيضاء للكاشاني ج٢ ص٢٦٦ (٢/٤٨) بحار الأنوار ج٩٣ص١٥٤ (٤٩) الأنفال ٤٥ (٥٠) بحار الأنوار ج٩٣ص١٥٤ (٥١) آل عمران ١٧٣ (٥٢) بحار الأنوار ج١٠ص٩٢ (٥٣)المصدر ج١٠٣ ص١٠٢ (٥٤) المصدر ج٧٧ص١٧٩ (٥٥) المصدر ج٧٥ ص٣٢١ (٥٦) يوسف ٩٨ (٥٧) علل الشرائع / الصدوق عن عبدالله بن جعفر (٥٨) الأمالي / الصدوق عن جعفر بن محمد (ع) (٥٩) عدة الداعي / أحمد الحلي عن الباقر (ع) (٦٠) مكارم الأخلاق / من وصايا الرسول لأبي ذر (٦١) ارشاد القلوب للديلمي (٦٢) المصدر عن الصادق (٦٣) مسكن الفؤاد / علي بن أحمد العاملي (٦٤) الأمالي للصدوق عن الصادق (٦٦) ارشاد القلوب للديليمي (١/٦٦) أصول الكافي للكليني ج٢ ص٥٤٩ (٢/٦٦) المصدر ص٥٤٣ (٣/٦٦) المصدر ص٥٤٩ (٦٧) مريم ٤٩ (٦٨) مريم ٤٨ (٦٩) الدخان ٢١ (٧٠) الكهف ١٦ (٧١) مصباح الشريعة ص٧ الباب الثاني (٧٢) مصباح الشريعة ٢٣ (٧٣) كلمة الله للشيرازي ٣٨٥ من وصايا الله لنبيه عيسى (٧٤) الكهف ١٦ (٧٥) الكهف ٩ (٧٦) بحار الأنوار ج٩٣ ص١٦٢ عن الصادق (٧٧) الآداب والسنن للشيرازي ص١٥٠ (٧٨) علل الشرائع ص١٣٧ (٧٩) الآداب والسنن ص١٥١ (٨٠) المصدر ص١٥١ (٨١) فاطر ٢٨(٨٢) الأعرف ٣١ (٨٣) العنكبوت ٢ (٨٤) الحديد ١٦ (٨٥) أصول الكافي للكليني (٨٦) بحار الأنوار ج١٥ ص٤٩٥ (٨٧) يوسف ١٠٥(٨٨) كلمة الله ص٣٨٣ (٨٩) معاني الأخبار للصدوق عن عطاء الليثي (٩٠) كلمة الله ص٤٥٣ (٩١) المصدر ص٤٥٣ (٩٢) الزخرف ٣٨،٣٩(٩٤) البقرة ١٤٣ (٩٥) كلمة الله في ميراث الصمت والعزلة (٩٦) الأعراف ٣١ (١/٩٦) بحار الأنوار ج٨٧ص١٢٩ (٩٨) كلمة الله ص٣٦٢ (٩٩) المصدر ص٤٧٥ (١٠٠) ارشاد القلوب للحسن الديلمي عن الصادق (ع) (١١١) اصول الكافي للكليني ج٢ ، عن ابراهيم القمي .

هوامش الفصل السابع :

(١) عيون أخبار الرضا عن الرسول (ص) (٢) التوحيد للصدوق عن الأمير (٣) التوحيد للصدوق عن الباقر (ع) (٤)(٥) ثواب الأعمال ص٢/ التوحيد ٢٠ (٦) ثواب الأعمال ص٣ (٧) الترمذي ج١٣ ص ٨٣ (٨) المحاسن ص٣٠ (٩) ثواب الأعمال ص٣ (١٠)المحجة البيضاء/ الكاشاني (١١) الترغيب والترهيب للمنذري (١٢) كنز العمال (١٣) الترغيب للمنذري (١/١٣)البخاري والحاكم (١٤) التوحيد للصدوق وثواب الأعمال ص٤(١٥) الجامع الكبير لابن النجار (١٦)بحار الأنوار (١٧) المحجة / الكاشاني (١٨)الكافي / الكليني ج٢(١٩) ثواب الأعمال ص٣ (٢٠)ثواب الأعمال والتوحيد (٢١) الآداب والسنن للشيرازي ج٢ (٢٢) الحافظ المنذري/ الترغيب والترهيب (٢٣) سنن ابن ماجه (٢٤) مسلم والترمذي في الترغيب والترهيب (٢٥) المحجة / الكاشاني (٢٦) الآداب والسنن ج٢ (٢٧)بحار الأنوار (٢٨) الآداب والسنن للشيرازي (٢٩) تفسير ابن كثير (٣٠) الكافي ١٧٥والمحاسن٣٠ (٣١) صحيح مسلم (٣٢)مسند أحمد والطبراني والترغيب (٣٣) الترغيب للمنذري (٣٤) الآداب والسنن ص ١٤٠ (٣٥) مجمع الزوائد (٣٦) الترغيب للمنذري (٣٧) الترغيب للمنذري (٣٨)الجامع الكبير للسيوطي (٣٩) النسائي وابن ماجه في صحيحه (٤٠) الطبراني الأوسط (٤١) الترغيب للمنذري (٤٢)كلمة الله للشيرازي (٤٣)الطبراني في الدر المنثور (٤٤) الترغيب للمنذري (٤٥)(٤٦) الترغيب للمنذري (٤٧) الحلية لابي نعيم (٤٨)جلاء الافهام أخرجه الحسن بن أحمد البنا (٤٩)(٥٠) الترغيب للمنذري (١٥) عيون أخبار الرضا (٥٢) آل عمران ١٨ (٥٣) ابراهيم ٢٧ (٥٤) ابراهيم ٢٤ (٥٦) الزخرف ٢٨(٥٧) صحيح مسلم عن أبي مالك الاشجعي (٥٨) الفتح ٢٦ (٥٩) نهج البلاغة (٦٠) الروم ٢٧ (٦١) الرعد ١٤ (٦٢) مريم ٦٢ (٦٣) الترغيب للمنذري (٦٤) التوبة ٦٤ (٦٥) النحل ٩٠ (٦٦) الأنبياء ٥٠ (٦٧)الكافي / الكليني (٦٨) عيون أخبار الرضا عن الصادق (ع) (٦٩)(٧٠)(٧١)(٧٢)(٧٣) المحجة ص٢٧٤ ،٢٧٥،٢٧٧ (٧٤) ثواب الأعمال ص٨ (٧٥) تفسير القمي ص١٩ (٧٦) المجالس ٢٢٠ (٧٧) الكافي ج٢ ص٥٠٠ (٧٨) الآداب والسنن ١٢٢ (٧٩) الآداب والسنن ١٢٢ (٨٠) ثواب الأعمال ص٧ (٨١) ثواب الأعمال ص٨ (٨٢)علل الشرائع ص٤٩ (٨٣) المحاسن ص ٣٧ (٨٤) الأمالي للصدوق ص٣٠٢ (٨٥) كلمة الله للشيرازي (٨٦) كلمة الله ٤٥١ (٨٧)(٨٨) المحجة ٢٧٥،٢٧٦ (٨٩) الكافي ص٥٣٣ (٩٠)المحجة ٢٧٦ (٩١) ثواب الأعمال ص٨ (٩٢) المحاسن ص٤٢ (٩٣) ثواب الأعمال ص٩٩ (٩٤) المجالس ص٣٣٢ (٩٥) الآداب ١١٤ وثواب الأعمال ص٦ (٩٦) المجالس ص٣٢٤ (٩٧) المحجة ٢٧٦ (٩٨)المحاسن ص٤٢ (٩٩) الآداب ١٤٢ (١٠٠) الآداب ١٤٢ (١٠١) الآداب ١٤٤ (١٠٢)آل عمران ١٣٥ (١٠٣) أصول الكافي ٥٣٣ (١٠٤) عدة الداعي ص١٩٤ (١٠٥)

الطبراني الأوسط٣١٥ (١٠٦) الترمذي ج١٢ ص ٢٨٤ (١٠٧)كلمة الله ٧٦ (١٠٨) الأمالي ٥٤ (١٠٩) وسائل الشيعة ج٢ ص١٢٠٠ (١١٠) الآداب ١١٨ (١١١) الكافي ٥٠٥ (١١٢) المحجة ٣١٧ والكافي ٥٠٧ (١١٣) عدة الداعي ١٩٤ (١١٤) عدة الداعي عن هارون بن مسلم (١١٥) الأمالي ٥٤ (١١٦) الكافي ٥٠٤ (١١٧) الأعراف ١٧٥ (١١٩) مريم ٦٥ (١٢٠) الأنعام ٩١ (١٢١) النمل ٦٢ (١٢٢)البقرة ١٢٢ (١٢٣) آل عمران ١،٢ (١٢٤) علل الشرائع ٤٣ والآداب والسنن ١٣١ (١٢٥)(١٢٦) الكافي /الكليني (١٢٧) كلمة الله ٩١ (١٢٨)(١٢٩) كلمة الله ٩٧ (١٣٠) أصول الكافي ٥٢٨ (١٣١) أصول الكافي ٤٠٠ (١٣٢) روضة الواعضين ج٢ ص٣٢٢ (١٣٣) عيون الأخبار ١٦٣ (١٣٤) ثواب الأعمال (١٣٥) علل الشرائع ٢٣ (١٣٦) ثواب الأعمال ٨٥ (١٣٧) عيون الأخبار ٢٢٣ (١٣٨) أصول الكافي ص ٥٢٨ (١٣٩) الكافي ٥٢٩ (١٤٠) ثواب الأعمال ص٤ (١٤١) ثواب الأعمال ٨٦ (١٤٢) وسائل الشيعة ج٢ ص١٢٢٢ (١٤٣) معاني الأخبار ١٠٤ (١٤٤) الآداب والسنن ج٢ ١٣٠ (١٤٥) علل الشرائع ١٩٣ (١٤٦) الانشراح ٤ (١٤٧) مريم ٥٧(١٤٨)(١٤٩)(١٥٠) الآداب والسنن ١٤١ (١٥١) شفاء السقام/ للسبكي والبلقيني في فتاويه (١٥٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (١٥٣)الحلية لأبو نعيم عن إبن عباس (١٥٤) الفتح ٤٨ (١٥٥)كلمة الله ٣٩٦ للشيرازي .

فهرس الكتاب